

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

التِّرَاثُ الْعَرَبِيُّ

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العدد : ٣٢ - ذي القعدة ١٤٠٨ هـ - تموز « يوليو » ١٩٨٨ م - السنة الثامنة

المدير المسؤول:

علي عقلة عرسان

رئيسي التحرير:

د. عبد الكريم اليافي

أمين التحرير:

عبداللطيف أرناؤوط

هيئة التحرير:

د. ابراهيم الكيلاني

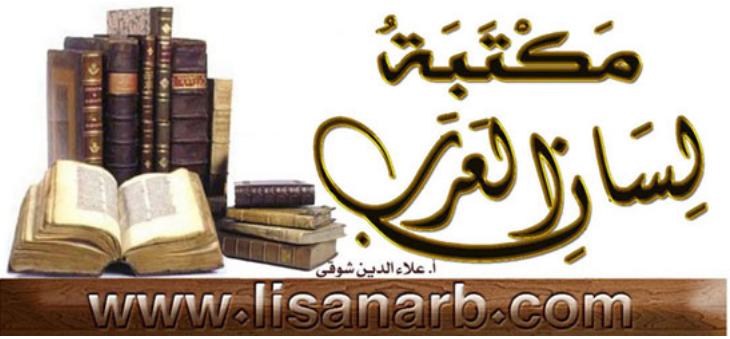
د. نشأت الحمارنة

د. عدنان درويش



ترسل المواد والمراسلات الى العنوان التالي :

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب : ٢٢٣٠ - ٢٤٤٢٩٩ - ٢٤٤٢٢٩



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



المواضيع المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها

الاشتراك السنوي

دollar American	: ١٠٠ L.S.	للأفراد
دollar American	: ٢٠٠ L.S. أو (١٠) دلار أمريكي	في الأقطار العربية
دollar American	: ٣٠٠ L.S. أو (١٥) دلار أمريكي	خارج الوطن العربي
دollar American	: ٢٠٠ L.S.	الدوائر الرسمية داخل القطر
دollar American	: ٣٥٠ L.S. أو (٢٠) دلار أمريكي	الدوائر الرسمية في الوطن العربي
دollar American	: ٥٠٠ L.S. أو (٢٥) دلار أمريكي	الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي
دollar American	: ٥٠ L.S.	أعضاء اتحاد الكتاب

■ الاشتراك يرسل حوالات بريدية او شيئاً او يدفع نقداً الى : (محاسب مجلة التراث العربي) ■

الاخراج الفني : أكرم أفادار

المحتويات

- النهاة والقياس صلاح الدين الزعبلاوي ٧
- هل يمكن معرفة معدل المواليد في زمن النبي محمد للمستشار الفرنسي : شارل بيللا ترجمة : فاطمة عصام صبري ٣٤
- الغيل ٠٠ في شهر تغلب « في العصر الجاهلي » على أبو زيد ٦٩
- ظاهرة الانتقام والانتقام في القمية الجاهلية حسين سلمان جمعة ٧٩
- سوق ساروجا بدايات نشوء حي بدمشق خلال القرن السادس الهجري عبد الرزاق معاذ ٨٩
- التعاون الثقافي الإسباني العربي راشد الكيلاني ٩٦
- الطواف حول البحر الأحمر « القسم الثاني » ابراهيم خوري ١٠٦
- استدراك على ديوان « ديك الجن » خير الدين شمسي باشا ١٢٩
- من التجوم النوارب - الشاعر صالح طه عمر طه ١٣٩
- فهرس السنة الثامنة - تشرين الأول ١٩٨٧ - ايلول ١٩٨٨ اعداد: عبداللطيف ارناؤوط ١٥٣

النحو و القياس

صلاح الدين الزعبلاوي

على آئمة اللغة أن يعوا اللغة المعاكية عن العرب من يتعجب بهم من الفصحاء ويتحقق بهم من الرواة فيستوعبوا في لوح محفوظ ليؤدوها كما وعوها ، لا يهونهم منها ذكر ، أو يضيق عن ضبطها حفظ .

كان

في من يتعجب لكل منهم :

وقد اجتمعت كلمتهم على الاحتجاج بأشعار الجاهليين ، وتلاقت آراؤهم وتضارفت على الاستشهاد بأشعار المخضريين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، وقد أسموا الجاهليين أصحاب الطبة الأولى ، والمخضريين أصحاب الطبة الثانية .

اما الاسلاميون المتقدمون كجريب والفردق فأكثرون على صحة الاستدلال بأشعارهم ايضا ، وقد أسموهن أصحاب الطبة الثالثة . ولو أن من الآئمة من لحن الفرزدق خطأ الكثيرون واذا الرمة كابي عمرو بن الملاء وابن أبي اسحاق الحضرمي والحسن البصري .

واما المؤذون والمحدثون ك بشّار وأبي نواس ، وهم أصحاب الطبة الرابعة فقد أخذوا الأكثرون بعدم الاعتداد بأشعارهم . قالوا انما استشهد سيبويه والأخفش بشعر بشّار اتقاء لهجوه . واتسع جار الله المخشي فرأى الاستشهاد بكلام من يوثق بعربيته كابي تمام ، قال « وهذا وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » . وترخيص الرضي فهذا حذوه واستن بسته ، على ما فصله البغدادي في خزانته (١/٦٧) . ونوج نهجهما أحمد شهاب الدين الغفاجي في شرح درة الفوّاصن اذ قال : « اجعل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » . ويمضي هذا المست ابن السيد البطليوسى في الاقتضاب اذ اورد في الاستشهاد على صحة اضافة (ألل) الى القمير قوله المتنبي :

وَالله يُسْعِد كُلَّ يَوْم جَدَه وَيُزِيد مِنْ أَعْدَاهُ فِي الْأَلْه

وقال : « وأبو الطيب وان كان من لا يتعجب به في اللغة ، فان في بيته هذا حجّة من جهة أخرى ، وذلك أن الناس عنّوا بانتقاد شعره ، وكان في عصره جماعة من المتفقين كانوا خالوبيه وابن جني وغيرهما ، وما رأيت منهم أحدا انكر عليه اضافة آل الى المضمر . وكذلك جميع من تكلم في شعره من الكتاب والشعراء . كالواحدي وابن عبادوالحادي وابن وكيع ، ولا اعلم لأحدٍ منهم اعتبر اضافة على هذا البيت » .

وليس غرضنا هنا أن ننسط الرأي في من يتعجب بأقوالهم ، وإنما وطأتنا بهذا لمنقول انه كان على آئمه اللغة أن يجمعوا اللغة المحكية عن العرب من هؤلاء الفصحاء حرصاً على الاحتاطة بها ، وخوفاً على سلامتها من أن تثبت بها الأهواء ويتسرب اليها الفساد فتبعد عن نقاوتها وتتأنى عن صفائتها .

استحکام بنیان اللغة :

وانمة اللغة لم يعوا اللغة المحكية حتى كان قد استحکم بنیانها واستوت کاکمل ما تكون اللغة ، وأدق ما يكون نسجها في ملابسة المفظ للمعنى . وقد أصبح الثلاثي وحلة الكلمة وجرت عليه صنوف من الاشتقاد والتصريف والتقليل دارت حول جامع معنوي ، فاغتلت المادة اللغوية ثم اكتمل نماؤها بتولد الرياعي من الثلاثي وهكذا . وأضحت العربية ذات فقه خاص واضح واشتقاق ثابت مطلقاً . وقد سايت لغة قريش ما أسموه باللهجات الشمالية فكانت اللسان المبين الذي نزل به القرآن . بل كان القرآن حين اعتد لغة قريش سبباً إلى الأخذ بالوضع التعرفي الأرقي فهو السبيل للانتماء باللغة إلى مستقرها الكامل . وقد اعتد القرآن آية البيان العربي فكان التبرام الذي يستضاء به والأمام الذي يُنْهِي ن Howe ويُتَلِّي تلوه ، فجروا على منهاجه واستنوا بسننه وطبعوا على غراره .

تدوین اللغة المحكية :

ولا يظن ظان ان آئمه اللغة قد عمدوا الى وعي اللغة المحكية وحفظها ساذجة وقمشها مخطوبة ، على حد تعبير ابن جني في التصانص (١٢٥/٢) فهو قد تأثروا بهذه اللغة وتلطفوا في جمها وضمها وملاءمة ذات بينها، كما هو خاص اللغة وسرها . فكان ثمة منهج الغليل في معجم العين ، وقد أخذ أخذه ابن سیده في المعكم وابن دريد في الجمهرة . وكان منهج ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة ، وكان أسبيق الآئمة اليه غير مدافع . وقد بذلت اللغة منهجه هذا في أکمل صورة من التهذيب والتلاؤم والتصنيف ، وقد أثمرت بهده المصاحب ابن عباد في المحيط فكان تلميذ ابن فارس ، وجرى في محاکاته الرمعثري في أسماء . وثمة منهج الجوهري في صحاحه وقد تجلى فيه حقيقة اللغوی وبراعته الصرفية ، وهذا حذوه الصناني في المباب وain منظور في اللسان والقبروزابادي في القاموس ..

استقراء اللغة والكشف عن نظمها :

ثم أتى النعاء فاطلعوا على ما انتهى اليهم من كلام العرب . وقد كان عليهم أن ياخذوا بتأمله وتدبره ، ويصلحوا إلى تقسيمه وتصنيفه ، ويضموا في تتبّعه واستقرائه ذلك ليستفسروا النظم التي صيفت بها اللغة الملكية ويكتشفوا عن متن ما جرت به السنة العرب على السليقة وطاعت به قرائتهم على السجية .

وهكذا عكت النعاء على اللغة ينعمون فيها النظر ، يسبرون غورها ويجمون عودها فاستبطناها دخائلها واستجلوها غواصتها . أحصوا مسائلها واستقرروا دقائقها . فما جرى من كلام العرب على متن استنبطا حكمه وحملوا غير المنقول على المنقول منه وجعلوه قياساً لنظرائه . ومضوا يملؤن هذا القياس ويسببوه . فإذا سمع شيء ياباه قياسهم هذا اتسعوا له ، وأخذوا به اذا اشتهرو شاع . فإذا ندر أغلقوه وأنجذبوا فيه القياس ، حملوا على أمثاله ، وتأصيلاً لما استثنوه من حدود وقوانين . وقد عقب البغدادي فيما حکاه المزهر (٣٧/١) على هنا فقال : « اعلم أن اللغو شأنه أن ينقل ما نطق به العرب ولا يتعداه . وأما التحوي ف شأنه أن يتصرف فيما ينتقله اللغو ويقيس عليه » .

ما يدرك من اللغة بالقياس :

قال ابن جني في التصانص (٤٢/٤) : « لكن القوم بحكمتهم وزرروا كلام العرب فوجدوه على ضربين : أحدهما ما لا بد من تقبيله كهيئته ، لا بوصية فيه ولا تنبية عليه ، نحو صحراء ودار وما تقدم ، ومنه ما وجدهم يدرك بالقياس وتخف الكلفة في علمه على الناس فقتنهوا وفصّلوا اذ قدروا على تداركه من هذا الوجه الت قريب ، المفتني عن المذهب العزن البميد » . وأوضح ذلك فقال : « كان يسمع سامع ضرّل ولا يسمع مصارعه فانه يقول فيه يضّرّل ، وان لم يسمع ذلك ، ولا يحتاج الى ان يتوقف الى ان يسمعه . لأنه لو كان متاجراً الى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وعمل بها المتأخرةون معنى يقاد ولا غرض يتعيشه الاعتماد ، ولكن القوم قد جاؤوا بجميع المواضي والمضارعات وأسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر وأسماء الأزمنة والأمكنة » .

البصريّة وأصولهم

الأصل الذي جرى عليه النعاء في استنباط أحكامهم أخذهم بالأكثر والأغلب ، وترك ما عداه . ففي طبقات النحوين لأبي يكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) أن ابن نوبل روى عن أبيه أنه سال أبياً عمر وبن الملاع (ت ١٥٤هـ) « أخبرتني عما وضعت مما سميت عربية » ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا فقلت كيّت تصنّع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال أحمل على الأكثر ، وأسمى ما خالفني لغات » .

رأس البصرية وأول من وضع أصول النحو :

وبيدو عند التحقيق ان اول من وضع اصول النحو وقياسه هو عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) . ذلك ان سيبويه قد سمي في كتابه من روی عنهم اصول النحو من الآئمة ولم يتجاوز الحضرمي الى امام قبله ، فالحضرمي على هذا هو رأس المذهب .

وقد حكى السيوطي في المزهر (٢٤٦/٢): «أبو الأسود الذهبي أول من نظم المصحف .. قال أبو حاتم .. وأما فيما روينا عن الخليل فإنه ذكر أن أربع أصحاب أبي الأسود عنبسة الفيل، وأن يسمونا الآقرنأخذ عنه»، واردف «.. ثم توفى وليس في أصحابه أحد مثل عبد الله بن أبي اسحاق العضرمي .. وكان يقاتل عبد الله أعلم أهل البصرة وأتقنهم .. ففرغ النحو وقامه وتكلم في الهمز حتى عمل كتاباً مما أملأه .. وكان رئيس الناس واحد لهم ..».

وهكذا كان العضري اقدم من انتهى القياس وارتاح اليه واحداً بالاكثر والأغلب . ففي طبقات الزبيدي (٢٥) : (قال ابن سلام : عبد الله بن أبي اسحاق العضري كان أول من يصح النحو ومد القياس وشرح الملل) . ونحو من ذلك ما جاء في نزهة الآلباء (٢٦) وفي البركات كتاب الدين بن الأباري ، اذ قال (انه أول من علل النحو) .

اما أبو الاسود الدؤلي ظالم بن عمرو (٥٦٩ـ) فلم تكن خطته تعلو (نقط المصحف) اي الاهتمام الى ما اتخد رمزا للشكل في الرفع والنصب والجر صوتا للسان من اللحن . وليس هذا بالامر اليسيير الذي يُستهان بجهوده فيما عاد منه على اللغة من جزيلفائدة ومورف العائنة فقد كان (الشكل) أرفق على العربية نفذا وارجى عاقبة من أي شيء آخر . وقد وفق الأستاذ أحمد أمين ، رحمة الله ، حين أشار في (ضعى الاسلام) الى ذلك ، وأبيده فيه الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه (أصول النحو) حين قال : « والشكل أعود على حفظ النصوص من حدود النحو : ولعله أعظم خدمة قيمت للعربية حتى الآن » .

شكل المصحف واعجامه :

وقد أجمل الأستاذ محمد عبد العليم الزرقاوي في كتابه (منهال المرفان) الحديث عن ذلك من بعض كتب السلف كم راتب النحوين لأبي الطيب المتفوي وتاريخ اين عساكر ، فقال : واتفاق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون شكل العروف والمكملات فضلا عن أن يشكلوها . ولكن حين دخلت الاسلام أسم جديدة . بدأت الجماعة تخفيف على لغة القرآن . بل قيل ان آيا الاسود الدؤلي سمع قارئا يقرأ قوله تعالى سواعلموا ان الله بريء من المشركين ورسوله - فقرأها بغير اللام من كلمة رسوله ، فأفزع هذا اللعن الشنيع آيا الاسود وقال : عن وجل الله أن يقرأ من رسوله . ثم ذهب الى زياد والي البصرة وقال له : قد أجبتك الى ما سالت ، وكان زياد قد ساله ان يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله ، فبطأ في الجواب حتى رأى هذا العادث . وهنا جدّ جديد وانتهى

به اجتهاده الى أن جمل علامة الفتنة نقططة فوق العرف ، وجعل علامه الكسرة نقططة
اسفله ، وجعل علامه الفضة نقططة بين اجزاء العرف ، وجعل علامه السكون نقطتين
ودامست الحال على هذا حتى جاء عبد الملك بن مروان فرأى بنافذ بصيرته أن يميّز نواف
المعروف من بعضها وأن يتبعذ سبيله الى ذلك التمييز بالاعيام وال نقطط .
اضطر ان يستبدل بالشكل الأول الذي هو النقط ، شكلاً جديداً هو ما نعرفه اليوم من
علامات الفتنة والكسرة والفضة والسكنون .

وهكذا فقد تم نقط العروف لتمييز بعضها من بعض ، وهو ما يسمى بالاعجماء ، على ما هو المشهور ، في عهد عبد الملك بن مروان ، وتندب له امامان هما نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ) ويحيى بن يعمر المدوياني (ت ١٢٩ هـ) وقد تلمذنا لأبي الأسود الدؤلي وتلقينا عنه وأحاطنا بألفاظه خبراً ووسعاً علماء ، فاعجبنا المصطفى الشريف أولمرة ونقط العروف فكان لهذه الخطة في إزالة الاشكال واللتبس في قراءة القرآن ، أثر ايجي آخر . وقيل ان نصرأ قرأ القرآن على أبي الأسود ، كما في نزهة الألباء لابن الأنباري ومجمع ياقوت ، وكان أبو الأسود من القراء ، وتلقى عن نصر أبو عمرو بن العلاء فوافق في رسم التحوار لما لم يوفق له أستاذه ، وتلقى عن يحيى بن يعمر أبو اسحاق الحضرمي فأصحاب في تأصيل التحوار ما لم يصب شيخه .

ومهما يكن من أمر فان الدؤلي لم يعمدالي تأصيل الأصول النحوية وتعييد قواعدها ولو تعلق اسمه بالشحو شكلاً وموضوعاً على ما ذكر ابن الأبياري في نزعة الإلقاء والقطفي في أبناء الرواة، وكذلك تلبيذه نصر الليثي ويعين العدواني ولم يكوننا لأوف عنه حظاً في هذا المفسار . فقد روى سيبويه في كتابه هذه الأصول عن التخليل والأخفش الكبير وعن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وعن عبدالله بن أبي اسحاق المضري لكنه لم يتجلواز الحضرمي الى امام قبله فلم يربو عن أبي الأسود الدؤلي ، أو عاصم الليثي أو يعيين الدواني .

أئمة البصرية :

خلف العضري أئمة أخذوا بالأكثر والأغلب وعونوا على القياس كميسى بن عمر الثقفى (١٤٩ هـ) فقد أحسن أصول كتابه (الجامع) على الأكثر ، وأسمى ما شذ عن الأكثر لغات ، وكذا فعل في كتابه (الامال) وهو من مراجع كتاب سيبويه .

وهكذا فعل أبو عمرو زبيان بن العلاء (١٥٤ هـ) كما تقدم ، وهو أحد القراء السبعة ، ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ، وقد أخذ عنه سيبويه خاصة أصول النحو ، كما أخذ عنه الكسائي والفراء ، وغيرهم ، وكان أمامياً نقد الشعر وفي النحو والملقة .

وَخَلَفَ هَذِينَ الْغَلِيلِ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ (١٧٥ هـ) وَهُوَ يَعْقُبُ عَمِيدَ النَّحَاةِ، قَالَ الزَّبِيلِيُّ الْأَشْبِيلِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي كِتَابِهِ (مُختَصِّرُ كِتَابِ الْعَيْنِ): «فَهُوَ الَّذِي بَسَطَ النَّحْوَ وَمَدَّ أَطْنَابَهُ وَسَبَّبَ عَلَلَهُ وَفَقَعَ مَعَانِيهِ وَأَوْضَعَ الْعِجَاجَ» فِيهِ حَتَّى يَبلغُ أَفْصَى حِدَوَهُ . ثُمَّ لَمْ

يرض أن يؤلف فيه حرقاً أو يرسم فيه رسماً . واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه . ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته ، فحمل ذلك عنه وتقلده ، والثُّق في الكتاب الذي أجهز من تقدم وامتنع على من تأخر بعده » . وقال ابن الأنباري في نزهة الآباء : « وهو الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستغراج مسائل النحو وتتميله » . وقد شفَّتْ أعمال الخليل حقاً عن عبقرية نادرة إذ اخترط للنحو نهجاً سليماً فكان فيه بعيد الفور فسيح الخطوة ، والثُّق أول معجم في العربية وهو (كتاب المين) فكان معييناً فريداً رتب فيه الواد على العروف بحسب مخارجها ، وقد التزم نهجه الأزهري في تهذيبه وأiben عباد في محيطه والتالي في بارعه » .

ورصد الخليل الأصوات اللغوية وصفاتها فكان له فيها رأي متقدم حصيف . وتعلق بموسيقا الشعر فانفرد بوضع العروض واتخذ لأوزان القصيدة ستة عشر بحراً كشف فيها عن حنق في الفن ولطافة في العس . وقال السكاكي في (مفتاحه) في سبق الخليل هنا : « لا يظن أحد الفضول عندهم في هذا الباب من ضمٍ زيادة ٠٠٠ فضلاً عن الإمام الخليل بن أحمد ، ذلك البعر الزاخر مخترع لهذا النوع ، وعلى الأئمة المفترفين منه من العلماء المتقدمين ٢٧٥ » . فلم يشارك الخليل في ميدان من ميادين العلم إلا كانت له القدم المارة فبدا فيه أسيق العلماء غير مدافع وأفضلهم غير معارض . وكان أبو محمد الترجي يقول (اجتمعنا بمكة - أدياء كل أفق - فتقذاكينا أمر العلماء حتى جرى ذكر الخليل ، فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكي العرب ، وهو مفتاح العلوم) (المزهر ٢/٤٦) .

و جاء الأخشن الأكبر أبو الخطاب عبد العميد بن عبد العميد (١٧٧ هـ) وقد روى عنه سيبويه ولم يذكر أحد أنه كان صاحب قياس أو تعليم ، فإذا جاء باستدلال ذهنني كان أدنى إلى خصوص اللغة ، واتخذ وجهاً من وجوه الاعراب كان الصدق بسلامة المعنى .

و جاء سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (١٨٠ هـ) فطلع على الملاً بكتابٍ قد سدِّدَ المنهج ، مطرَّدَ التنسيق ، جامع ، غزير المادة ، يعوَّلُ فيه على الأكثر والأغلب . . ينبع طريق القياس والتعليم ويعتمد البحث فيما ك Mayerlum النحو . وقد اختلف سيبويه إلى مجلس استاذه الخليل في البصرة ، وطلاب العلم فيه كثُر يزخم بعضهم بعضاً ، وقد أقبل على استاذه يطلب الاستماع إليه والتلقى عنه ويتألف لما يميِّز فيتضائِع منه ويستجلِي غواصمه فيقلب فيه الرأي ويصرَّف الفكر . وقد لفت سيبويه نظر استاذه بذلك وفطنته فكان محل عنایته وموضع اختصاصه ، وقد قال له يوماً (مرحبًا زائر لا يمل) وما كان يقوله لسواه .

استوفى سيبويه ما أملَى عليه استاذه رواية ورأياً وتعليقًا وشرحًا فنضل ووازن وأحكم الرأي فادي فاحسن التادية . كان صادقاً فيما أدَّاه . تلقى سيبويه أصول النحو عن (يونس بن حبيب) خاصة كما استوعبه عن الخليل . قال يونس حين قرأ كتاب سيبويه : « يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه ، كما صدق فيما حكاه عنِّي » .

أخذ سببويه بالأكثر والأغلب . فقام عليه ، دون القليل أو الشاذ ، وقال في باب (أي) من كتابه (٣٩٨/١) : « فلا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المذكر في القياس » . وقال في باب (بناء الأفعال المعدية - ٢/٢١٤) : « فانياً هنا الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ولكن الأكثر يقاس عليه » . وقال في باب (ما لعنته الروايات من الأفعال المعتلة - ٢/٣٦٢) : « ولا ينكر أن يجعلوها معتلة في هذا الذي استثنينا لأن الاعتلال هو الكثير المطرد » ، ونظير ذلك كثيف الكتاب .

وجاء الأخشن الأوسط سعيد بن مسدة (٢١٥هـ) ، وقد ارتعل إلى بغداد فاداته الكسائي من مجلسه وعهد إليه بتاديده أو لاده . وقد اختللت آراء الآئمة في الأخشن الأوسط وتفرقت كلمتهم بل تضاربت مذاهبيهم ، لكن من الثابت أنه خالف البصرية في مسائل كثيرة ووافق الكوفية في شيء من الأصول كالاعتدال بالقراءات الشاذة والقياس على القليل فامتدحه الكوفية حتى اعتقد بعضهم سيد علماء العربية . ولا شك أنه كان من كبار المخاطط النقلة ، ولو كان يتكتسب بعلمه .

وجاء قطرب محمد بن أحمد (٢٠٦هـ) فاشتهر بكتابه (العمل في النحو) كما اشتهر بكتبه (الاشتقاق والأضداد ومعنى القرآن) ، وقد أخذ النحو عن سببويه . ثم جاء المازني أبو عثمان (٢٤٨هـ) واشتهر بكتابيه (علم النحو والتصريح) وكان يعتقد المذهب البصري ويقتفي به ، قال : « دخلت بغداد فالقيت على مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبها وبخطوتي على مذاهبيه » أي الكوفيون .

واستمر منهج النحو قائماً على النظر المقللي والاستدلال التهني في المذهب البصري ، على يد الإمام البرد أبي العباس بن أبي يزيد (٢٨٥هـ) لكنه غلا في التعليب والقياس بل نعا بهما نحو المنطق والفلسفة ، على أنتم يغادر مكان عليه الأوائل من مراعاة المعنى . وقد أكثر الانتقال إلى بغداد ، قائدة الخلقة ، من البصرة ، فازدرم فيها مجلسه وعقدت بينه وبين ثعلب الإمام الكوفي مناظرات يدا فيها صاحب منطق وجدل ، إلى بيان واحاطة بكتاب سببويه ، ولو خالفه في سائل كثيرة ، وإلى حدق في فنون الأدب . وقد ألف (المقتضب والكامن) واعتمد كتاب (الكامن) أحد كتب الأدب الرئيسة إلى جانب أدب الكاتب لأن قتبية والبيان والتبيين للجاحظ والتواتر لابي علي القالي البغدادي .

وتلمذ للمبرد الزجاج أبو اسحاق (٣١١هـ) صاحب الاشتقاء والأمالى ، وقد حاول أن يناظر أستاذه البرد مرة فردت عليه حججه . قال الزجاج : « لما قدم المبرد إلى بغداد حيث لأناظره وكانت أقرأ على أبي العباس ثعلب ، ففرمت على اعتناته . فلما فاتحته الجبني بالعجب ، وطالبني بالملء ، وألزمني الزمام لم أهتد إليها » كما جاء في (نزهة الألبام / ٢٩٠) . وهكذا كان أستاذه الأول ثعلب إمام الكوفيين وأستاذه الثاني المبرد . وقد أعجب الزجاج بالمبرد فترك ثعلب إليه ، وانتقلت إليه رياضة البصرية بعد المبرد . لكنه انفرد من المذهبين بآراء خاصة عند بهامؤسس المذهب البغدادي .

وتلمند للمبرد ابن السراج أبو بكر (٢١٦ م) وقد ألف (الأصول) . وانتهت إليه رياضة النحو بعد الزجاج وخلفت البصريين في مسائل كثيرة . وقد صادق الفيلسوف الفارابي فكان قويَّ الصلة به فتلمند له في المنطق ، كما تلمند الفارابي لصاحبِه في النحو .

وأخذ عن هؤلاء أبو سعيد السيرافي (٣٦٨ م) ولهم شرح الكتاب . وقد أحاط بالذهب البصري كما أحاط بالذهب الكوفي ، واستعان بالمنطق والجهاز ، على دعم أصول النحو ولكن لم يتجاوز ذلك إلى الأخذ بآراء المتكلمين والمناطقة فتصدى لناظرة متى بن يونس القنائي ، في مجلس الوزير أبي الفتح بن القراء ، ومن حوله أعلام الفكر كالغالداري وأبن الاشحيد والكتندي .. تصدى لابن يونس يدفع حجه ويدحض أدله حين حاول هذا اخضاع هذه الأصول التحوية للجهاز المقللي . وقد نسب السيرافي على استبعاد المنطق وعلمه النظرية ، كما نبه على وجوب تعلق النحو باللفظ والمعنى جميماً .

وأخذ عن هؤلاء أبو الحسن بن عيسى الرمانى (٣٨٤ م) وقد عرف بالملمه بكثير من العلوم ، فقد كان عالماً في علم الكلام ، إذ كان متكلماً على طريقة المتنزلة ، وكان عالماً في النحو ، وعلمًا في الأدب ، وفي علوم القرآن . فله شرح (معانى القرآن) للزجاج ، ولله (تفسير القرآن) وقد امتدحه الصاحب بن عباد وأثنى عليه . نحو الرمانى نحو المنطق في التعليل فنجز النحو بالمنطق حتى قال أبو علي الفارسي : « إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس منه شيء » ، فكان للرمانى النحو المفاسد . وقد تلمند له أبو حيّان التوحيدي ، في علم الكلام خاصة ، فأشار به فقال إنه لم ير مثله قط علمًا بالنحو وغزاره في الكلام وبصرًا بالمقالات واستغراقًا للوعيin وایضاً للمشكل ، مع تأكيد وتنزيه ودين ويقين وفصاحة وفcame وعفاف ونظافة ، كما ذكر ياقوت في معجمه .

ثم تالق نجم أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧ م) وذاع صيته ، وقد قصد ببغداد حاضرة الغلافة ولم ينهاز العشرين من عمره ، فلقي بها من أعلام البصرية الزجاج أبي اسحاق والسراج ابا بكر تلميذه المبرد ، فاختلط إلى حلقاتهما وقرأ الكتاب عليهما . وقد نزع الفارسي إلى الزجاج خاصة فسلك طريقته في منهجه العلمي ووطئه موضع قدمه .

كان أبو علي شديد العناية بدراسة الأصوات ، وما يتصل بفقه اللغة من تصريف واشتباك ، وقد أوضح عن ذلك جلياً تلميذه أبو الفتح عثمان بن جني ، وكان شديد الاهتمام بالقياس ، فقد ابنتى له كل مسبب والتسمى إليه كل مسامع وقتل فيه وجه الرأى . وقد حبسه ذلك أن يمهر في الرواية اللغوية ويتمكن في توفر حظه منها ، كما فعل أصحابه منذ عهد المبرد . فقد كان السيرافي أروى منه . قال أبو علي : « لأن أخطيء في مائة سالة لغوية ولا أخطيء في واحدة قياسية » وقال : « لأن أخطيء في خمسين سالة مما باه الرواية أهون على من أن أخطيء في سالة واحدة قياسية » . وكان كصاحبِه الرمانى عالماً في علم الكلام على طريقة المتنزلة . وعلمت شهرته حتى قيل أنه فاق المبرد . قال

أبو طالب العبدى : « لم يكن بين أبي علي وبين سبيوبيه أحد أبصر بالنحو من أبي علي ، وأشتهر من مؤلفاته (الإيضاح في النحو) و (التكملة) و (مختصر عوامل الاعراب) . ومن أبغى تلاسيد أبي علي أبو الفتح عثمان بن جنى ، وقد لقيه حين مرّ بجامع الموصل ، فاعجب ابن جنى بأستاذه وأكبّره ولزمه بعذلك ، وكان يقول : « أنا غلام أبي علي الفارسي في النحو » وقال في أبي علي : « وقد انتزع من ملل النحو ثلث ما وقع منه لساائر التحويين » .

وخلف الفارسي أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٩٢ هـ) . وقد استفاضت شهرته فسبق أقرانه وشّاقم قبلغ النروءة في الأصالحة وبعد المغور .

كان ابن جنى يختلف إلى مسجد الموصل فيلتقي فيه مبادئ علوم العربية وقد تلمذ فيه لأحمد بن محمد الموصلي . ولم يك يبلغ الخامسة عشرة حتى شوهد يتصدر حلقة المسجد ، وكان يختلف إليه صغار طلبة المعلم . وبينما هو كذلك إذا بأبي علي يلقاء في المسجد فيستوقفه نبوغ الصبي وحديثه وما انطوى عليه من فصاحة لسان وقوة منطق فيقول له : « تربيت يا بني وأنت حصرم » . وقد قاد هذا ابن جنى إلى أن يتلذّل لأبي علي ويستمر اتصاله به في صحبة علمية امتدت نحو أربعين عاماً .

يختلف ابن جنى أستاذه فيتصدر للتدريس في بغداد ويزدحم مجلسه بطلاب المعلم فيصبح مرجحهم بعد أبي علي .

أندرك ابن جنى الشاو في البراعة والعمق في كل ما ألف من كتبه لا سيما مرّ صناعة الاعراب والخصائص والمحتسب وكان اماماً مقداماً في القياس يحث عليه ويرغب فيه ويرهف العزم على الأخذ به بالتلطف والجعة .

سلك ابن جنى مسلك أستاذه أبي علي الفارسي وكان أعلم بأصول المنطق والفقه ، وقد أداء النظر الثاقب والرأي الناضج إلى فرائد وطراائف في اللغة وفهمها . ماز الملة التحوية من الفقهية والكلامية وجعل اكتفاء التحوية على رهافة الحس وبداهة الطبع ، ورأى أنها ليست في سمت الكلامية لكنها أقرب إليها من الفقهية (الخصائص - علل العربية - ج ١) .

دافع ابن جنى عن علل التحويين ورد على من اعتقد فسادها وادعى ضعفها ، وقد وفق في إنكار العلل الثاني وعلة العلل فارتضى منها ما جاء تتمينا للملة الأولى وشرحها لها ..

وفي الجملة تناول ابن جنى لغة العرب أصواتاً وحروفاً وبعث كيانها نشوءاً واستواءً ، بالعدس تارة والاستدلال الذي تارة أخرى . وعالج أصول تحومها بالتلطف والجعة جميماً متممّقاً متبسّطاً (فلن تجد شيئاً مما علّل به المقوم وجوه الاعراب بالآلة والنفس تقبله والحس منطو على الاعتراف به .. وان علل التحوانى يفرغ في التحاكم بها إلى بديهية الطبع) .

ورازينية الفاظها صرفاً اشتقاقة ، وببحث في سياها أو غل في البحث واتسع فيه . وكان له في كل ذلك القول المعمم والرأي النجيع .

ثم عُرف من آئمه المقياس بعد أبي علي الفارسي وأبي الفتح ابن جنی ، جبار الله أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف والمفصل (٥٢٨ هـ) . وقد كان من كبار المترتبة وبدأ ذلك جلياً في اختلافه المنطلق أداة لتلليل أحكامه وصلماً لتسويبي قياسه ، سواء في كشافه أو مفصله . وابن الشجري هبة الله أبو السعادات الطولي صاحب الأمالي (٥٤٢ هـ) وأبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري (٥٧٧ هـ) وهو صاحب المصنفات التفصية ، لا سيما الأغراض في جدل الاعراب ، والانصاف في مسائل الخلاف (بين البصريين والковفين) ، وملع الأدلة في أصول النحو ، وأمور العبرية . وقد اقتات في تاليقه بأصول الفقه كااقتاتاً بأصول البيدل وعلم الكلام فاحكم النسب بين النحو وعلوم الفقه والكلام فيما نهج ، ثم المكري محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين (٦٦٦ هـ) صاحب الكتاب واعتراض القرآن . وتفصيره . وقد المثل (مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين) ، وتقjamات تنتف منه في كتب الخلف كتاب الأشباه والنظائر في النحو للإمام جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) .

الковية وأصولهم

إذا كان البصريون قد نعوا بالقياس كما نقلنا وفضلنا ومضوا في ذلك وأوغروا حتى تجاوزوا طبيعة اللغة وخصوصها ، فقد كان للكوفيين أصولهم وقياسهم وعلّهم ، فهم لم يقتصروا على الوصف دون الاستدلال والاعتلال كما سيأتي تفصيله .

رأس الكوفية :

ولكن اذا كان الحضرمي (١١٧ هـ) هو رأس البصرية فمن هو رأس الكوفية ؟ أقول اختلاف في هذا فقيل ان بعض آئمة البصرة قد هاجروا الى الكوفة واقاماً بها ، وكان أشهر هؤلاء جعفر الرؤاسي محمد بن أبي مسارة (١٩٠ هـ) . عاش في البصرة وأخذ أصول النحو عن الإمام البصري عيسى بن عمر الشقفي ثم انتقل الى الكوفة فكان أول من وضع كتاباً في النحو من أهل الكوفة . وإذا قال سيبويه في كتابه (قال الكوفي) فقد عنى الرؤاسي . وهكذا يمكن أن يبعد الرؤاسي رأس الكوفية، ويكون المذهب الكوفي قد عرف بعد نحو قرن من المذهب البصري . وقد يضم الى الرؤاسي عنه معاذ بن مسلم الهراء مبدع علم التصريف ، وشيخ الكسانري والفراء ، وقد دعى طويلاً (١٨٩ هـ) ، قال الفيروزابادي في البلنة : « أبو جعفر الرؤاسي أستاذ أهل المعرفة في العربية » .

أعلام الكوفية :

وقد أخذ عن جعفر الرؤاسي وتلمذ له الكسانري أبو الحسن علي بن حمزة (١٨٩ هـ) وهو امام الكوفية كما كان الغليل امام البصرية . وقد أخذ عن الرؤاسي وتلمذ له

الفراء أبو ذكريا يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ) وتلمذ للكسائي بعده بل احتدأه ونوح نهجه وغدا علم الكوفية . وقد كان الكسائي والفراء قطباً الكوفية ، قد أخذنا أصول النحو عن الإمام البصري يونس بن حبيب ، وهذا نهل الرؤاسي والكسائي والفراء جمِيعاً من معنٍ البصرة .

نهج الكسائي حدود المذهب الكوفي في التعويل على النقل خلافاً للبصرية في اعتمادها على النظر العقلي لكنه لم يهمل القياس على كل حال . وشائع الفراء الكسائي فيما استن من أصول فاستمسك بالرواية وأي للتحويم أن ينوح نهج المتكلمين والمنطقة المتفاسفين . وكان القرآن مادةه الأولى في روايته فيما في تفسيره الصدق ما يكون بواقع اللغة أمنياً على خصوصها وطبيعتها ، وقد تجلى ذلك في كتابه الأول (معانى القرآن) اذ نوح فيه نهجاً جديداً نابع عن الفيقيات ونكتب عن اعتماد أي تقدير أو تأويل يضيق النص عن احتماله . ولا يعني كل هذا أن الفراء لم يعن بتحليل أو قيام ، فالذى أباه هو القياس على الشاهد الواحد ، ونكتب عن الأخذ بالقراءات الشاذة مخالفًا في ذلك من تقدمة من المكرفرين ووافق في ذلك البصريين .

وجاء ثعلب أبو الباس أحمد بن يحيى (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) فاقبل على كتب الفراء يقف على أغراضها ويخصي سائلها ويورغل في بعضها . وما ليث أن يهم نوح الفراء اعمداً لأقواله محتجًا بأدائه مخلصاً لنوحه ، غير عادي وبالتحليل . وكان يقول (طلبت العربية واللغة في ستة ست عشرة ومائتين ، وابعدت بالنظر في حدود الفراء وستي شهاني عشرة سنة وبلغت خمساً وعشرين ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا قد حفظته) . وقد تلمذ ثعلب لسلمة بن عامر الضبي وكان هذا قد حضر مجلس الفراء وأعجب به أيماء اعجاب فاغرى به ثعلباً ، وكان سلمة يقول : « لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ، ولو لا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ، ويدعوها كل من أراد ، ويتكلم الناس على مقدار عقولهم وقرائهم فتدبره » ولم يعرف عن ثعلب أنه حاول فلسفة اللغة أو منطقة النحو ، كما حاول البصريون وخصوصاً منهم ، وهو المبرد . ويعزى إلى ثعلب الفضل في إشاعة المذهب الكوفي والت بشير به ، كما يعزى إلى المبرد دعوه إلى البصرية وبيناته في الإغراء بها .

الأخرون بما رجعوا لديهم من أصول البصرية والковية ومسائلهما

وهناك آئمة لم ينحووا نهج البصرية ويسلكوا طريقتها فinctasوا بها ، او ينحووا سبل الكوفية . ويأتموا بهديها فيتسموا بسمتها ، وانما ادأهم البحث والتأمل والفحص الى مواجهة كل منها في بعض الأصول والمسائل ومغالقتها لها في أخرى ، ومن هؤلاء أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٢٧ هـ) وقد أخذ أصول النحو عن الزجاج أبي اسحاق ، والطبرى أبي جعفر ، وابن كيسان أبي المسن ، وابن الخطاط أبي بكر ، وأبى موسى الحامضى ، وابن السراج أبي بكر ، وابن الأنبارى أبي بكر وسماهم ، ومنهم البصري ومنهم الكوفي ، ومنهم من هو بينَ بينَ ، فتلقي الزجاجي علم البصرة كما تلقى علم الكوفة وأعجب بالزجاج

كما أعجب بأستاذ المبرد فكان إلى البصرية أميل ، لكنه لم يتخصص لأحد المذهبين فيحاكي بغير دليل أو يتابع بغير حجة ، فقد كان يقول بما يملئ عليه علمه ويشهد به يقينه فيكون منه على بيته . وهكذا مزج الزجاجي نحو البصريين بنحو الكوفيين واستعاض مصطلحات الجانبيين ، فبدأ بقدادي النزعة . فجماعية البغداديين مؤلأة هم الأئمة الذين اتخذوا طريقهم في اختيار الأجدود من مسائل المذهبين على ما رأوه ، كما فعل الزجاج في كتابه (أعراب القرآن ومعانيه) ولا يزال مخطوطاً ، والزجاجي في كتابه (الإيضاح) . ولم يستنوا نهجاً فرداً دون نهج البصريين أو الكوفيين .

عبد الزجاجي إلى التاليف فكان معكم المنسود ، وعلى ذلك كتابه (الجمل) وقد أتسم بالبيان والوضوح فجاء قرب المثال سهل الأسلوب متمني التفصيل . وقد اشتهر الكتاب وتمددت شروجه وشاعت . وثمة كتاب (الإيضاح في علل النحو) ، وقد بعث فيه القياس والعلل والخلاف بين البصريين والكوفيين ، وجعل الملة تعلمية وقياسية وجبلية نظرية ، وقد بالتعلمية ما أريد به تعليم النحو كقولك رفع الفاعل لأنه فاعل ونصب المفعول لأنه مفعول ، وقد بالقياسية تعليل الحكم في حمل المقياس على المقياس عليه كقولك في (إن وأخواتها) أنها نسبت الفعل لتشابهها الفعل المتعدد ذا المفعول الواحد ، فأشبه اسمها المنسوب المفعول به لفظاً ، وأشبه خبره بالمرفوع الفاعل لفظاً . أما الملة الجبلية النظرية فقد ذهب بها إلى ما وراء ذلك كسؤالك لم رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ وجوابك رفع الفاعل لأن القسم ثقيل ونصب المفعول لأن الفتح خفيف ، والمفعول كثير في كلام العرب فكان أولى بالخلف فاستحق الفتاح ، والفاعل قليل فهو أجدر بالضم ، وإذا كان الزجاجي قد عنى ببحث العلل فقد اهتم فيها غالباً بما أثار أصول النحو واللغة كالملة التعليمية والقياسية ، ولم يعن بالعمل الجبلية فينلو فيها غلوًّا الأنباري أبي البركات ، ويمزج النحو بالمنطق . وإذا كان كتاب (الإيضاح) هنا نموذجاً بينما لا اتصال هذين المسلمين ، فقد كان اتصالاً لم تختلط فيه المندواد أو تلتبس فيه السمات . وقد كان ابن كيسان (٢٩٩ هـ) بصرياً كوفياً ، وهو بالبصرية أعلم ، وكان أبو موسى الحامض (٣٥٠ هـ) كوفياً بصرياً وهو إلى الكوفية أدنى .

القياس حلوه والعااجة اليه

القياس هو حمل الفرع على الأصل لعلة جامدة بينهما باعطاء المقياس حكم المقياس عليه . وقد تشعبت آراء الأئمة عامة في الأذيه في مسائل كثيرة . فنفهم من اشتد فنجه له حدوداً ضيقة لا يمدوها ، ومنهم من تعلق به وتغوص فيه ، فجرى فيه بغير عنان .

وإذا كان لا بد من التوجيه إلى القياس ما سمحت به طرائق العربية فذلك أنه المعلوم عليه في نماء اللغة وارتقائها والسبيل إلى تبني ما تشير فعز من الماء وشاردها لتكتفي اللغة ما تستكفي وتؤدي ما تستادي ، معايرة لشؤون العصر ومستحدثاته . وقد عبّر عن ذلك الأستاذ محمد الغضر حسين ، رحمه الله، في كتابه (دراسات في اللغة العربية)

فقال : « والعلوم تتدفق تدفق السيل ، ومقتضيات المدنية تتجدّد وتتجدد النهار والليل . وكل من المانوي العلمية والمرافق البيوبيّة يحتاج إلى أسماء تلائم معسائر الألفاظ العربية التثام الدرر النقيّة في أسلاكها » ، وقال : « فالقياس طريق يسهل به القيام على اللغة ، ووسيلة تمكن الإنسان من النطق بآلاف من الكلم والجمل دون أن تقرع سمعه من قبل ، أو يحتاج في الوثوق من صحة عبّيتها إلى كتب اللغة أو الدواوين الجامدة لنشر العَرب ومنظومها » .

لكن ما نعنيه بالقياس هنا هو قياس التصريف والاشتقاق ، وقياس النقل والمجاز وما يستتبع ذلك من تدرج المعاني .

اما قياس النحو الذي يراد به الاستدلال الذهني لاستنباط القواعد وتعليلها ، وهو مدار علم النحو عند الأئمة ، فلا بد من التشكّب عن القلو فيه . ذلك أن في تحكيم المقاييس العقلية في كثير من مسائل النحو ما يضيق واسعاً ويمنع سائقاً ، بل يُظرّ صحيحاً فسيغاً . فطرائق العربية لا تقاد بمقاييس عقلية كما تقاد مسائل النطق وقضايا الفلسفة وعلم الكلام . وليس الوجه أن يقول : « النحو كلّه قياس » ، كما قال أبو البركات ابن الأنباري في كتابه (لم الأدلة ٩٥) ، في الرد على من أنكر القياس ، وأضاف : « اذا بطل ان يكون النحو رواية ونقل وجب ان يكون قياساً واعلاً » . فاعتقاد ما للقياس من شأن في نشأة النحو واستنباط احكامه ورسم حدوده وتقدير قواعده ، لا يمنع من التنبيه على أن النحو ليس كلّه قياساً ، وإنما هو قياس من جهة ورواية ونقل قد يستعملان على القياس وينكبان عنه من جهة أخرى .

ولاشك أن المستحب من القياس هو الذي اعتمد لوضع القاعدة واستنباط الحكم قافداً في تهذيب اللغة وتشذيبها ، والتي اتخد لتعميل الظاهرة اللغوية فكان وسيلة الى وهي نظم اللغة وتعليمها فاعتمد على مأسومه (العلة التعليمية) و (العلة القياسية) .
تصنيف العلل :

فالعلة التعليمية ، كما أسلفنا قبل ، أن تقول هذا مرفوع لأنّه فاعل ، وذاك منصوب لأنّه مفصول به . والعلة القياسية هي التي تقوم على اشتراك المقياس والقياس عليه فيما تصوروا أنه علة موجبة للحكم فيها . وقد تشعبت الآراء في تحديد العلة القياسية باختلاف وجهات النظر والاعتبار . فقد تجاذب الحكم الواحد علتان أو أكثر فيبني على قياسين أو أكثر كما يتأتى حكمان متضادان في المسألة الواحدة فتفتن بهما علتان مختلفتان فيبني كل منها على قياس . فمثلاً الأول (المبتدأ) فقد يعتد لرفعه بالابعدان ، أو يعتد له بالغبر أو بما يعود عليه من ذكره . ومثال الثاني (ما) التمييمية والمجازية ، فقد اعتنوا لـ (ما) التمييمية الماءلة بشبهها بـ (هل) في عدم اختصاصها بالدخول على الاسم أو الفعل ، وافتاد كل منها معنى في الكلام هو النفي في (ما) والاستفهام في (هل) ، فجرت (ما) في الامال مجرى (هل) . واعتذروا لـ (ما)

المعجازية العاملة يشبهها بليس في نفي الحال والدخول على الجملة الاسمية فعملت عملها . وهكذا اعتزل للأعمال والآهالى في مسألة واحدة ، لكن كل منها على قياس . ومن ثم ذهب كثير من المجددين في النحو الى انعام النظر في هذه المطل والعمل على الامتداء الى الأشمل منها في الحكم ، والأظهر في التعليل والألصق بالمربيبة .

والقياس الذي استند فيه الى احدى المثلتين التعلميمية والقياسية انتا يجتنب طبيعة اللغة وخصوصها ، دون القياس الذي اعتمد فيه على ما اسموه (الملة الجدلية النظرية) فنعا نحو الفلسفه توافقها وغدا صناعة بل رياضة عقلية ونشاما ذهنيا فجعل التعليل أصلا وغاية ، لا وسيلة وخاصة ، وبين القياسين من التفاوت والتباين ، ما لا خفاء به ولا لبس .

فإذا قلت (إن) تشبه الفعل لفظا لأنها ثلاثة ، ومعنى لأنها تفيد التأكيد ، فإذا خففت ذهب شبه اللفظ فقل عملها ، فقولك هذا تعليل جعل نظري ، ليس وراء مخصوص .

العنایة بالمعنى :

ولا شك أن المعول عليه من التعليل ما قرر فيه صحة الحكم النعوي بسلامة المعنى ، وتحقق المراد منه ، دون التعلق بما تقتاد إليه براعة الصناعة ويفوئ اليه الافتتان بها من الأغراب في العدل والتاویل . فلا جرم أن النحو يتجاوز البحث في أواخر الكلم وعلامات الاعراب .

ذلك أن فضيلة الكلام في الأصل انتا ترجع إلى معناه قبل الفاظه . قال ابن جني في المخصائص : (فإذا رأيت العرب قد أصلحوا الألفاظهم وحسنوها ومحوا واحتاشيهاؤه مدحهم ، وصقلوا غربوها وأرهقوها ، فلا ترين أن المساواة إذا ذاك انتا هي بالاتفاق بل هي عندنا خدمة منهم للمعانى وتنويعه وتشريفه ، ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه متوكيته) وإذا عدنا إلى الأسماء عبدالناصر البرجاني (٤٧١ م) في كتابه (دلائل الاعجاز) الفينا أنه يؤمن بأن نظم العروض من الكلمة لا يتم بمراعاة معنى في النفس وإنما يجري بمجرد تواليها في النطق وضم بعضها إلى بعض ، أما نظم الكلام في التعبير فإنه لا يتم بتواترها كي فيما اتفق ، وإنما يتم ، بافتقاء آثار المعانى فيترتّب على حسب ترتيبها في النفس . فالالأصل إذا أن تعمل الفكر فتتوخى الترتيب في المعانى ، فإذا كان ذلك كذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها . ومتي فرغت من ترتيب المعانى في نفسك لم تحتاج إلى أن تستأنف الفكر في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك فتساقق بحكم أنها خدم للمعاني وتبع لها . وقد أكد البرجاني هذا المعنى فقال : « فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظام أو فساده ، أو وصف بمزية أو فضل فيه ، الا وأنت تجد مرجع تلك المصححة ، وذلك الفساد ، وتلك المزية ، وذلك الفضل إلى معانى النحو وأحكامه ، ووجودته يدخل في أصل من أصوله ويحصل بباب من أبوابه » . ومن ثم كان خطأ كثير من الآئمه في الغلو بالعناية النظرية . وقصر اهتمامهم على ضبط أواخر الكلم .

ولا ريب أن صواب الرأي أن ينبع في النحو نهج البرجاني ، وأن ينطوي به إلى ذلك عن أي تعقيد ينبو عن روح اللغة ، وأي تعليل يبتعد بينه وبين غرضه .

البصرية والковية والقياس

قلنا إن البصريين قد عثروا بالقياس ومضوا فيه وأوغروا حتى تجاوز متاخر وهم طبيعة اللغة وخصوصها ، وإن للkovيين أصولهم وعلمهم وقياسهم ، وإنهم لم يقتربوا على الوصف دون الاستدلال والاعتلال ، فقد أخذ الكسائي بالقياس فقال :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع

وأشيد بمنزلة القراء في التعليل والقياس ، وقد خالف الكسائي في كثير مما ذهب إليه ووافق البصرية في انكار القياس على الشاهد الواحد وانكار القراءات الشاذة . وكان يحتاج بقراءة الكسائي وحمة وابن مسعود ، ولا يصد عن قراءة الأمصار الأخرى قراءة أهل البصرة والمدينة ومكة والشام .

نهج الكوفية :

وهكذا اعتمد الكوفيون على السمع والقياس ، كما فعل البصريون . وكان أوائلهم أعني بالسماع منهم بالقياس وأشد حرصا على الوصف منهم على التعليل ، كما كان أوائل البصريين أنفسهم . وإذا كان الكوفيون لم يذكروا شأوا البصريين في الأخذ بالقياس ، وكانت أدنى إلى التعمد منهم إلى الإيقاف في هذا الضمار فليس صحيحاً أنهم عولوا على كل مسموع كما يفهم مما جاء في (الإنصاف في شرح مسائل الخلاف) وصاحب أبوالبركات وهو من أئمة البصرية . ولو صح أن الكوفيين يميلون بكل شاذ ويقيسون عليه ، لما استقام لهم أصل أو حكم أو قياس . ولست أشایع أو أجاري الأستاذ أحمد أمين ، رحمة الله ، فيما جاء به في كتابه ضعى الإسلام (٢٥٩/٢) حين قال : « أما الكوفيون فلم يروا لهذا المسلك ودوا أن يعتمدوا كل ما جاء عن العرب ويجيزوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، ولو كان الاستعمال لا ينطبق على القواعد العامة . بل يجعلون المتشدد أساساً لوضع قاعدة عامة » . أقول أني لأستكثر هذا القول ولو شد منه ما قال بعض الأئمة في الكسائي خاصة في هذا الصدد . قال ابن درستويه(٢٤٧هـ) في (يعني الوعاة ٢٠٠/٦٤) : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه فاسد بذلك النحو » . وقصاري ما في الأمر أن الكوفيين إذا اعتمدوا مسموعاً وقايسوا عليه فقد اعتقدوا لغة يحسن الأخذ بها لأنها لغة قوم من العرب لا يرقى الشك إلى فصاحتها ولو قللت ، لكنهم لا يموّلون على كل مسموع فقد تخير الكسائي والقراء من فميح الشعر شواهد ليست أدنى منزلة من شواهد سبيوه ، ولها من طابع الفصاحة وهي مبتدأ ما لا خفاء به ، وقد شاعت فيما ألقته المتأخرة من النهاة .

قال الدكتور مهدي المغزومي في كلامه على الكوفيين : «إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جلوه أصلاً وبوّبوا عليه كأنهم يشعرون بأن ما يقوله الأعرابي أو الاعرالية أنها تمثل بيته لنوعية لا يصح أغفالها، حرساً منهم على أن تكون الأصول خاصة في شكلها النهائي للأمثلة المستعملة المسنوعة ، بما معناه في التتبع للغوي ، واستبعادهم أساساً المتعلق ومجاوزاتهم التأويلات التي يغاللها الظاهر » (ص/٤٥٠ - ٤٥١) . وقوله مستقيم ، لكن الكوفيين إذا اعتمدوا مسمواً فقد ثوروا بفصاحة ، فهم أعني بالاستعمال منهم بالقياس .

والكوفية قد تجيز استعمالاً يند عن قواعد البصرية ويشرد عليها ، ولكنها لا تقر استعمالاً يخرج عن قواعدها هي . وقد يكون في ضوابط البصرية ما يمنع مسموعاً ، وفي ضوابط الكوفية ما لا يعافه أو يضيق عنه . ومثال هذا أن البصريين قد منعوا المطف على التسبيح المجرور إلا أن يعاد الجار ، لأن اتصال الجار بالضمير أشنم اتصال الفعل بالفاعل، فيقال مررت بك ويزيد ولا يقال مررت بك وزيد . وخالفهم في ذلك الكوفيون فأجازوا المطف ما هنا ، أعيد الجار أو لم يعد ، وأوردوا على ذلك النصوص القاطعة . ومنها قوله تعالى « واتقوا الله الذي تسلموه به والأرحام - النساء/١ » بمعنط (الأرحام، على الضمير المجرور في (به) ، كما جاء في بعض القراءات السبع ، وقد جاء في الأصل بالتنصب معطوفاً على اسم الله . ورد البصريون حجة الكوفيين في جر الأرحام عطفاً على الضمير وقالوا أنها جر بواه القسم لا بواه المطف ، أو جرّ بباء القسم متدرّة ، وحجة البصريين في الوجهين متكلفة ضعيفة ، وقد ورد النهي عن العطف بالأرحام . وقد جاء المطف على الضمير المجرور كثيراً في الشعر ، قال المشاعر :

اليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب وما بك والأيام من عجب

وجافي التنزيل (وصدة عن سبيل الله وكفر) به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عتاده - البقرة / ٢١٧) بغير المسجد، فقيل انه جرّ لأنّه معطوف على الضمير المبjour ، وردّ البصريون ، وقدروا الآية: (وكفر) به وصدة عن المسجد الحرام (وعلقوا المبرور بعامل معنوف دلّ عليه الصدّ) .

الموازنة بين المذهبين :

فمذهب الكوفية أكثر تشعباً وأوسع رواية، ومذهب البصرية أوسع قياماً وأضيق رواية على أن اتساع القیام البصري البنی على العلل المقلية قد يمنع السائغ ويفسق عن المسنون، كما رأينا . وهذا ما دعا المتأخرین من النحاة إلاّ يجرروا على منهاجهم أو ياخذوا أخذهم . فقد حکى عن أبي همروس بن اللاء أنه ردَّ بعض القراءات القرآنية لخروجها عن قراءة الجمهور ، وكذلك فعل المازني أبو عثمان والمیرد أبو العباس والزجاج أبو إسحاق . وقد نزع المتأخرون إلى مغالفتهم فارتفعوا القراءات جمیعاً واقتاسوا بها ، واتخذوا منها موضع الاستقرار لهم واستنباطاً أصولهم ، شاعت لفتتها أم لم

تشع ولا ريب أن في صحة القياس على ماترد به الآيات الكريمة ثراءً لأساليب القول في اللغة فوق ثرائها ، واغناء لها دهاب الكلام فوق اتساعها وتشعبها واستيعابها . وأي القرآن، بأي قراءة قرئت محسنة من نظر الناقد والمترقب ، مرتفعة عن مقام المتعقب والمستدرك . أما اعتذارهم بأن العرب لم تقصد إلى القياس على الشاذ منها بحسب مذهبهم التحوي ، فليس بشيء .

وما دامت القراءات كلها على اختلافها كلام الله فمن قرأ حرفاً من هذه العروض فقد أصاب شاكلاً الصواب [أيا كان ذلك العرف]، ولا يجوز منع أحد من القراءة بأي حرف ، ذلك أن الوجوه التي أنزل الله بها القرآن تتنقل كل وجه قرأ به النبي عليهما السلام وأقرأه أصحاه .

قال أبو حسان الأندلسي في البحر المحيط (٢٦٢/٢) : « والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه » وقال (٤/٢٧١) : « هؤلاء النحاة يسيئون للظن بالقراءة ولا يجوز لهم ذلك » وقال (٤/٢٧١) : « ولستنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة وإنما تتبع الدليل » :

وقال أبو عمرو الداني في جامع البيان : « وأنمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأشنى في اللغة والأقىء في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل . والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة » .

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل المرفان ٤١٥) : « فإذا ثبتت قرأية القرآن بالرواية المقبولة ، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو ومقدوها من قواعد ، ووجب أن يرجعواهم بقواعدهم إليه ، لأن نزاع عن القرآن إلى قواعدهم المخالفة حكمها فيه ، والا كان ذلك عكساً للذلة ، واما لا للأصل في وجوب الرعاية » .

وهكذا تخل ابن مالك وابن هشام فيما جتهدوا فيه ، من حدود البصرية في كثير من الأحيان ، ولو تهيا للنحو من الآئمة من استنوا بهذه السنة ونهجوا بها السبيل فتمتنعوا على المتابعة والمشابهة ، وفازوا من التعبيدين بهم بخصوص ، ونجوا مما لا تعتمله طبيعة اللغة أو ياباه خصوصها من العدل ، وعنوا ينحو الكوفية كلما أوغلت البصرية في التعليل فتكتبت الجادة ، وعلوها على القرآن وأثروا ما جاء فيه على كل مروي ، أقول لو تهيا للنحو أمثال هؤلاء لكان خطة سديدة سوية في التجديد والاحياء .

القياس والسماع

القاعدة عند النحاة أنه إذا ورد السماع بطل القياس . قال ابن جنی في الغصائص (١٠٣/١ - ط ١٩١٣ م) : « واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال وشُعنَّ القياس ، فلا بد من اتباع السماع الوارد به فيه نفسه » وقال (١/١٣١) : « واعلم أنك إذا أدركت القياس إلى شيء ، ثم سمعت العرب قد نقلت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدفع ما كنت عليه ، إلى ما هي عليه .. » . فيما مررت التعريل على السماع في الأصل ؟ أقول لا شک

أن مرد التمويل على السماع في الأصل هو العرض على ضبط اللغة وضمان سلامتها ،
منذ كان يعمل الأئمة على حصرها وتدوينها . ولكن مهما اشتد الداء على المناية بالسماع
وتعلقه والكلف به والتعمق منه ، فيتبين الآيكون العرض عليه حائل دون ما يمكن أن
يلتتسن فيه علة جامعة في بيان ، في كل ما تدعوه إليه حاجة التبيير والامتصاص
فتاذن به طرائق النقل والمباز وسبل التعریف والاستئقاد . وهذا ما أخذ به مجمع اللغة
العربية القاهري وإذا كان ابن فارس لم يجز قياساً لم يتسع له الأوائل ولا قوله لم يقله العرب ،
رعاية للأصل وتعلقاً به وحياطة له ، فقد يتفق أن يقتاد الاستقراء إلى قياس لم يتبناه
عليه الأئمة ، أو يتتفق أن تتجاوز ملحة الأدباء المتمكنين هذا العدد بعفو الخاطر إذا الجات إلى
ذلك حاجة في الاستعمال ، أو دفعت اليقافة الأداء فتضطمسى الملفظ الذي يقع موقعه
المرجبي ويصير إلى مستقره المطمئن . والقريعة المطبوعة إنما تتدفق بمثله قصد
أحكام الأداء ، ولو خالق الأصل المعروف . فانظر إلى ما قال أبو محمد عبد الله بن سنان
المخاجي المتوفى (٤٦٦ هـ) ، في كتابه (سر الفصاحاة / ٦٢) : « وقد يكون التاليف
المختار في اللفظة على جهة الاستئقاد ، فيحسن أيضاً كل ذلك » . وأوضح مذهبة فقال :
« ومثال لذلك مما يختار قول أبي القاسم الحسین بن علي المفربي في بعض رسائله :
ورعوا هشيمياً تائفت روضه ، فان تائفت ، كلة لأخفاء بعضها لوقوعها الموضع
الذى ذكرته » . وليس في اللغة : تائفت ، ولعل المفربي قد تصور تنزه فاتي بتائث ،
طبعاً وسلامة . قال ابن القوطي في كتابه (الأفعال) : « وأنفت من الشيء إنقاذه
غضبت ، وأيضاً تنزه عنه » .

ورد الخفاجي مثلا آخر فقال : « وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :
إذا سارت الأحداث فوق بيته تفاوح مسك الغانيات ورنده

فإن تفاواح كلمة في نهاية الحسن . وقد قيل إن أبي الطيب أول من نطق بها على هذا المثال ، وأن وزير كافور الأخشidi سمع شاعراً نظمها بعد أبي الطيب ، فقال : أخذتموها * .

وهكذا حكى عن المغربي قوله (تباوح) ، وعن المتنبي قوله (تفاوح) ، ولم يسمعا أو يكونا على قيام معرف لكتنها وقما موقعهما المختار في الأداء ، ولم يخرجوا في الاشتقاء عما ألف عن العرب قوله في أفعال أخرى . إنليس يتاتي أن يدخل هذان اللطفان في قيام لو ابتفينا لم يقتيمه مثل هذا القياس، ببحث وتلطف واستقراء . فالسامعي قد يصير قياساً إذا استخرجت له بالاستقراء قاعدة يعرف بها . والا كان الساع قد يعجز الملفة عن التوالي والانبساط ويقصر خطها عن الاستجابة والمؤاتاة . ولا خفاء بأن سبل التصريف وضوابط الاشتقاء لا يشوبها من معرف التعليل في ذكر الأسباب ومبنياتها ما يشوب القياس في قواعد النحو . ومن ثم لم يفتش التوسيع عليها إلى شيء مما آل إليه الاعتراف في قيام النحو وتعليله ، من الثاني باللغة عن خصوصها وتحريف طبيعتها والازدواج بها عن سبيل المعانى إلى الافتتان بصناعة الاعراب ، حتى انقضى الاعراب عن أن يكون دليل المعانى وسبيل الإبادة والاقصاح .

ولكن ما الحكم عند النحاة اذا اجتمع في المقطة او المسألة سباع وقياس؟
ما الحكم اذا سمع في المقطة او المسألة استعمال على غير قياس فهل يمتنع الأخذ فيه
بالقياس الى جانب السباع؟

أقول لا يكاد الأئمة يجمعون في ذلك على رأي ، وقد تباينت مذاهبهم فكان لكل جماعة
منهم وجهة في كل مسألة . مثال ذلك ما اعتقده الأئمة من أقيسة لمصادر الثلاثي ، بناء على
الأكثر والأغلب .

قال الأشموني في شرحه على الألفية (١٢٢/٣) : « فعل يفتح الفاء واسكان العين
هو قياس مصدر المتعدي من ذي ثلاثة سواء كان مفتوح العين كرداً وأكل أكلـاً
وضرب ضربـاً ، أو مكسورها فهما وأمنـاً وأمنـتاً وضربـاً ولقمـاً » وأردف :
« والمراد بالقياس هنا أنه اذا ورد شيء ولم يعلم كيف تكلموا بمصدره فانك تقيسه على
هذا ، لا أنك تقيس مع وجود السباع ، قال ذلك سيبويه والأخفش ، وعثـبـ على ذلك
الاسم المبيان فقال : « ومذهب الفراء الى أنه يجوز القياس عليه ، وان سـمعـ غيره » .
وحكى السيوطي في الهمع فقال : « لا تدرك مصادر الأفعال الثلاثية الا بالسباع ،
فلا يقاس على فعل ولو عدم السباع » .

وهكذا تشتملت آراء الأئمة في مصدر الثلاثي الى مذاهب ثلاثة مذهب يمنع القياس
ولو لم يكن سباع ، واخر يأخذ بالقياس ولو كان سباع ، وعليه الاسم الرمخشري ،
وثالث لا يأخذ بالقياس حتى يمتنع السباع وقد أجازوا للشاعر غالباً أن يقاس ، ولكن
في ضرورة .

ومثال آخر هو جمع التكسير فإذا سمع لفرد جمع على غير قياس امتنع النطق بقياسه ،
الا أن يأتي به شاعر في ضرورة ، هذا هو الأكثر . . . قال ابن جنبي (١٢٢/١) :
« وأعددت ما كان قياسك أذاك اليه لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة لأنه على قياس
كلامهم ، بذلك وصي أيوب الحسن » .

وقد سمع عن العرب (استصوب واستحوذ) والقياس أن يأتي بالاعلال على
(استصاب واستحاذ) فهل أخذ الأئمة بهذا القياس الى جانب السباع . أقول ذهب جماعة
إلى صحة (استحاذ واستصاب) لأن العرب لم تأت باستقبل بغير اعلال من فعل ثلاثي إلا
نطقت به معتلاً ، أو لأن الأكثر كذلك ، ومن هؤلاء سيبويه ، وهكذا فعلوا في مسائل كثيرة ،
لكن ذلك لم يطرد عنهم .

وقد جاء في اللسان (مادة بدا) : (إذا أمكن في الشيء المنسوب أن يكون قياساً أو شائداً ،
كان حمله على القياس أولى ، لأن القياس أشياع وواسع) . وجاء عن بعض العلماء
قولهم: اذا عارض في النسب القياس السباع، جاز القياس والسباع ، فذلك على هذا ان
تقول ثقفي وثقيفي .

القياس والظاهرية

الظاهرية مذهب فقهي دعا إليه في القرن الثالث الهجري أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني (٢٠٢ - ٢٧٠ هـ) . وهو إمام أهل الظاهر في المشرق . وقد جاء منه بردًا على أصحاب القياس الذين جعلوا (القياس) رابع الأصول المعروفة في الفقه، وهي الكتاب والسنة والاجماع .

أنكر داود القياس جملة ، وجعل أصول الأحكام الكتاب والسنة والاجماع وحدها دون القياس والاجتهاد فخالف بذلك ما مضى عليه عمل الصحابة . وقد اشتدى في الأخذ بعرفية النصوص ومنع التقليد وجعل لكل فاهم للغربية أن يتكلم في الدين بظاهر القرآن والستة . وقد شاع منه بذهنه هذا في الأندلس، وتولى المدعوه إليه والاحتياج له والمنافحة عنه في القرن الخامس الهجري الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) ، وقد تلقى أصول الفقه الظاهري على استاذه أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مغلت (٤٢٦ هـ) فرأى الاعتناء على الكتاب والسنة والاجماع وخالف مدرسة الرأي في رفضه القياس وانكاره التقليد ، معتقداً أن القرآن إنما يجب أن يحمل على ظاهره ، ولا يحال عن ظاهره بالبُيْنَةِ ، اللهم إلا أن يأتني نص أو اجماع أو ضرورة حس على أن شيئاً منه ليس على ظاهره ، وأنه نقل من ظاهره إلى معنى آخر . فالانتقاد حينئذ واجب لما يوحى به ذلك النص والاجماع والضرورة . وقد جاء تفصيل ذلك في كتاب ابن حزم الأندلسي لا سيما كتاب (اطفال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) وكتاب (مسائل أصول الفقه) وكتاب (كشف الالتباس ما بين الظاهرية وأصحاب القياس) .

القياس وابن مضاء

عاش ابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن في القرن السادس الهجري (٥٩٢ - ٥١٢ هـ) فيما اتَّخذ مذهب في أصول النحو على مثال منهِبِ الظاهر في أصول الفقه ، فانكر القياس كما انكرته الظاهرية وعمل على النص كما عَوَّلت ، ذلك في كتابه الشهير (الرد على النحاة) . وليس هذا بداعاً اذاعرنا أن ابن مضاء كان قاضي القضاة في دولته المهدية ، وقد كان مؤلِّفَ أصلاب رسالتة تدعو إلى الموعدة إلى أصول الدين في الكتاب والستة ، قبل أن يكونوا أصحاب سياسة ، وكان مؤسس دولتهم أبا عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي . وأن يعقوب بن يوسف خليفة الموحدين يومئذ ، وهو علم من أعلام الفقه ، قد أمر بعرق كتب المذاهب الأربع وحمل النام على الظاهر من القرآن والمحدث ، كما أمر سلطان المرابطين على بن تاشفين يوماً باحرار كتاب الإمام الفزالي (احياء علوم الدين) . قال الدكتور شوقي ضيف في كتابه (المدخل إلى الرد على النحاة) : (ان المعرَّفَ الذي أتَى فيه كتاب الرد على النحاة كان عصر ثورة على المشرق وأوضاعه ، في الفقه وفروعه . وقد كانت دولته الموحدين ، منذ أول الأمر ، تدعو إلى هذه الثورة ، حتى

اذا كان يعقوب رأيشه يأمر بعرق كتب المذاهب الأربعة ، يزيد أن يرد فقه المشرق على المشرقي . وقد تبعه ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولته فالف كتاب - الرد على النها - يزيد أن يرد به نحو المشرق . أوبعبارة أخرى يزيد أن يرد بعض أصول النها ، وأن يخلصه من كثرة الفروع فيه وكثير المتأويل ، مستنداً في ذلك بسنة أميره يعقوب ، اذ كان يُعجب مثله ، على ما يظهر ، بمذهب الظاهرية ، فذهب يحاول تطبيقه على النها .

ولا بد لنا حين نذكر يعقوب بن يوسف هنا ، الذي لقب بالنصرور ، من أن نتعمى عليه أمراً أتى فيه سوء ليست بايس السوات ، وإن نحمد له أمراً جليلاً ركب مناقبه وأضطاع باعاته نكان فيه بعيد الهمة نافذ المزم . أما أمره المنع عليه فهو موقفه من السلطان الأيوبي صلاح الدين يوم بعث إليه هنا ، وقد فاز ببيت المقدس ودانت له مصر وبلاط الشام جيمعاً وشمال العراق (ت ٥٩١ هـ) ، بعث إليه ينشد محالفته لمحاربة ملوك أوربة . فاكرم يعقوب وفادة الرسول لكنه لم يجده إلى ما سال أو ينزل على مقتراحه فيليب ميتناه ، قالوا كان ذلك لأنكار يعقوب أن يلقيه صلاح الدين في خطابه بسلطان المؤمنين ولا يدعوه بأمير المؤمنين (رواية ابن خلكان ٤٣٢ / ٢) .

واما أمره محمود له فهو نصره المبين بعد ذلك في موقعة الكرك (٥٩١ هـ) في الأندرس ، فقد كان ذلك نصر للعرب ضد ضعفاء أركان أعدائهم وزلزلوا أقدامهم وكادوا فيه يقضون على مملكة قشتالة .

ولكن هل انكر ابن مضاء العلة والمقياس جملة ؟

أقول ليس ثمة امام قد عاف العلة والمقياس جملة ، بصربياً كان أم كوفياً ، وإنما اختلف نصيب كل امام من الاقياس بهما وفروا أو نزروا ، اذ يتسعى من ذلك في أصول النها ما لا يتسعى في أصول الفقه . ذلك أن في علل النها من فسحة النظر ما لا تتسع له علل الفقه أحياناً كثيرة ، كان يكتون البحث في علة مناسك العرج وترتيبها ، وافتراض الصلاة وعند ركعتها فتجدد مردوجوها إلى ثبوت الأمر بها بحكم الشريعة ، أي بالنص ، ولانتظير بذلك في النها . قال ابن جني في الخصائص (٥٢-٥٣ ط ١٩١٣) : « قاول ذلك أنا لستاً ندعى أن علل المعرفة في سمت العلل الكلامية البتة . بل ندعى أنها أقرب إليها من العلل الفقهية » وهو يفرق بين الاجماع في اللغة والاجماع في الفقه ، فيرى الاجماع في اللغة غير ملزم للمعارض ، على حين يلزم الاجماع في الفقه البتة . ولكن على الإمام في اللغة اذا شاء مخالفة الجماعة والخروج عما اتفقا عليه كلية اللغويين واتحدثت أن (ينافض هؤلاء اتفاقاً ويثبتهم عرفاناً ولا يخلد إلى سانح خاطره ولا إلى نزوة من نزوات تفكره ، فإذا فعل ذلك سُند رأيه وشُيع خاطره - الخصائص : ١٩٧ / ١) .

ثار ابن مضاء على النها وعاف منه بهم في (العامل) لفلومه في التعليل واستبعد الجدل النظري والجاج الفلسفى وكل ما يأتى باللغة عن طبيعتها وينعرف عن خصوصها ، وليس هو أول من انتهى لهذا التهج وذهب لهذا المذهب . ذلك أنه قد عوّل على النص وأغفل المقياس من هذه الجهة ، لكنه قد أخذوا لا شك بنمط من المقياس . فهو قد أقر

(العلّة) وابي (علة العلة) او المعلل الثاني والثالث ، كما انكرها ابن جنی وعافها الترجاجی نفسه . واقرار (العلة) يدعو الى البعث عن العلة الجامدة والت manus التي لا بد منه ، والا فكيف يمكن أن تنهض لنة لا يعلم قياس في رسم ضوابطها وشرح حدودها ، ويهدم لها سبيل التوليد والنماء ومذاهب الاتساع والارتفاع .

ذهب الدكتور طه حسين ، رحمة الله ، الى أن ابن مضاء (لم يذكر بالاصلاح بمقدار ما ذكر في مقدم النحو) كما جاء في مجلة المجمع القاهري (ج / ٤) ، وخالفه الدكتور مازن المبارك في كتابه (المنحو العربي) فقال : « أما رأي الدكتور طه حسين فهو مجحف في حق ابن مضاء ، وبعيد عن جادة العدل . ثم هو قبل ذلك كله حكم غريب . أو لم يناد ابن مضاء بما ينادي به - احياء النحو - اليوم من القاء نظرية العامل والاعتبار حرکات الاعراب دلائل على المانع ، فكيف يكون هداما أكثر منه مصلحا في رأي من يرى في محاولة الأستاذ ابراهيم مصطفى احياء للنحو ويصر على أن تحمل هذا الاسم ؟ » .

أقول عاب ابن مضاء ما كان للنحوة من أصول ، ولم يتم أصولا جديدة تحل محلها وتغنى مُعنِّاها . والذى فعله أنه نجح السبيل لاتخاذ هذه الأصول ووجه الفكر للبلوغ القصد وتحقيق الغاية ، بل شرع في اعتقاد هذه الأصول فقال (١٠٧) : « فان قيل أنت قد أطلت أن يكون في الكلام عامل وعمول ، فارنا كيف يناتي ذلك مع الوصول إلى غاية النحو ؟ قلت أورد هنا في أبواب تدل على مساواها . وقد شرعت في كتاب يشتمل على أبواب النحو كلها فان قضى الله باكماله . والا فليستدل بهذه الأبواب على غيرها . ولكن أين كتابه الذي حاول به اعتقاد هذه الأصول كما يقول الدكتور محمد خير الحلواني في كتابه (أصول النحو العربي) ؟

النحو عند المتأخرین

تالق النحو أول ما تالت في البصرة قبل أكثر من اثنى عشر قرناً ثم تبعتها الكوفة بعد أن تلمذت لها فكان لها سماتها و بواسطها . وقد مدتها بقداد بمعينتها فبخ في النحو من بغداد وهيت رياحها . ثم حدث مصر هذا الفعلونو فتلمذت للعراق وبعثت بواحديتها إليها منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ، ومن مؤلأءآل المسادري وأولهم الطايد بن محمد التميمي المسادري الذي لقي الغليل في البصرة وأخذ عنه ، وابنته أبو الحسن محمد بن الطايد الذي انتسخ كتاب سيبويه في بغداد ، وقابل ما انتسخ بما احتفظ به البرد من الكتاب ، وعاد بالنسخة إلى مصر ليقرئها طلابه .

ووفد أبو البياس المسادري ابن أبي الحسن إلى بغداد ليلقى بها أبو اسحاق الزجاج في أواخر القرن الثالث الهجري وأخذ عنه ، وخلفه آخره أبو القاسم في إقراء كتاب سيبويه وكان دون أخيه في العلم .

وبعد هؤلاء أبو علي الدنیوری (ت ٢٨٩) وقد أقام بمصر زمناً ثم قصد البصرة فلقي بها المازني وأخذ عنه كتاب سيبويه ، ثم قصد بغداد وتلمذ لشلب فأخذ عنه نحو

المكوفية ثم مال إلى المبرد فسخر ببيانه ، وعاد بعد هذه الرحلة إلى مصر ليذيع فيها نور البصريين ويشيمه ..

ابن هشام :

وقد استمر المصريون يتلذذون لشيوخهم في العراق ويشرحون كتبهم حتى ظهر فيهم ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ، وكان مصري المولد والنشأة (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) وقد قرر صيته الأسماع وفتشا ذكره على الألسنة حتى قيل إنه كان أئمّ علماء عصره . عرف ابن هشام بكتابه الشهير (مفتني اللبيب عن كتب الأغاريب) وهو كتاب جليل جامع غزيره المادة ، انتهى المؤلف في تاليفه نهجاً جديداً ، قال ابن خلدون في مقتمه « وصل اليتنا بالمنبر لهذه العصورة يopian منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها ، استوفى فيه أحكام الاعراب مجملة ومفصلة ، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من التكرر في أكثر أبواياها ، وسمّاه بالفتني في الاعراب . وأشار إلى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بآبوباب وفصول وقواعد انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفر بضاعته منها » . أقول إذا قيس نهج ابن هشام في ترتيب الكلام على الأدوات إلى ما عرف في عصره من ذلك عدّ ذلك نهجاً فريداً . لكنه لو قرئ منها مانشأه في الدلالة والعمل بدل أن يضم ما تدلى أوائله منها في اللفظ لكان ذلك أولى بعصرنا .

كان ابن هشام عالماً في النحو واللغة والأدب ، كما كان عالماً في الفقه ، ولم يعرف أنه مال في النحو إلى مذهب خاص ، فقد اخذ بالقياس والعلة النحوية وكان يختار في كل مسألة ما رجع للدين فيها . ولم يخضع النحو لأصول الفقه كما اعتاد بعض النحويين في عصره . ولم يلزم الاجماع النحوي كما فعل المفتاه في أصولهم ، وتمسك به المتأخرون من النحاة كالسيوطى وأبي البقاء المكري . ولله جملة من الكتب منها الاعراب عن قواعد الاعراب وشنور الذهب وشرحه وقطر الندى وشرحه . . .

السيوطى :

اشتهر من متأخري المصريين الإمام جلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١) . ولد ياسوط وتولى التدريس والفتيا وتفرغ للتأليف فأغنى المكتبة العربية وبليغ مؤلفاته المثلث في علوم القرآن والحديث والفقه والمرتبة . ومن كتبه في العربية (الاقتراف في أصول النحو) وقد جمع فيه ما تفرق في مصادر كثيرة ورتبه في الأبواب والفصوص والتراجم ترتيب أصول الفقه ، كما قال ونهج في تاليفه نهج الفقيه فوقف عند الاجماع ، ولم يفتئ ، على كل حال أن يخص العلل النحوية ببحث متشعب وشرح مسهب . ثم كتاب (الأشياء والنظائر) وهو كتاب غزير المادة جزيل المباحث ، وقد قال في خطبته « قدست أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما منفه المتأخرون فيه والثقوه من كتب الأشياء والنظائر » . وقد اهتم فيه ببساط الآراء النظرية والممل الجلدية . ثم كتاب (مع الهوامع في جمع

الجواب) وقد عني فيه بالشهادة وأكثر من النقول وأجمل فيه مما تناول في أمهات الكتب النحوية . وأظهر ما في كتب الإمام السيوطي على ضعفها الجمع والترتيب والتبويب مع استيعاب للأصول واحتاطة بالترويج واستقصاء للسائل ، وقد دل بذلك على سعة اطلاعه ودقة احصائه مع أمانة في النقل ورد للرأي التي صاحبه .

نعاة الأندلس

كان نعاة الأندلس يقتفيون في الفنالب أثر نعاة الشرق ويأتون بهديهم ويتعلمون بهم تعلق الفرع بالأصل ويتعلمون بهم تعلق التليذ إلى أستاذه . وكثيراً ما كان يرتحل علماء الأندلس إلى الشرق ليتهلوا من موارده ويعودوا إلى موطنهم ليقرئوا ما قرؤوه . ومن هؤلاء عبد الملك بن حبيب ومتذر بن سعيد البلوطي وأبا الفرضي وأبا الوليد الباجي . وقد كان يحدث المكس فقد دأب حكام الأندلس على استقدام كبار علماء الشرق في الفتوى والأدب . ومن أظهر من وفد إلى الأندلس من هؤلاء أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ) . فقد ولد بارمينية ونشأ فيها وقصد بغداد ينهل فيها اللغة والأدب ثم يعم شطر الغرب أقصى الغرب ليتولى التدريس في الأندلس . وقد أفاد المقرب من موقعه بين الشرق والأندلس فكان مخططاً العلماء والفقهاء إلى الأندلس والآباء إلى الشرق ، وكثيراً ما تعلق منهم بالقرب فجعلها وطن له .

وقد شهدت الأندلس كثيرة من أهل اللغة كأبي موسى الهنوي وقد كان لغويًا فقيها ، أو تخل إلى الشرق فلقي ملكاً من الفقهاء والأسماعي وأبا زيد الأنصاري من علماء اللغة . كما ارتعن جودي بن غشان الموزوري فعاد بعنوان الكوفيين ، ولقي من أعلامهم الكسائي والفراء . وقام ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم بزيارة المشرق فحملوا إلى الأندلس معجم ابن للخيل بن أحمد ، وقد قام باختصاره من علماء الأندلس أبو بكر الزبيدي (٣٧٩ هـ) .

وقد تجلت محاكاة الأندلسيين للمشرقين في كثير مما أثروا . وهذا المقدار تزيد مؤلفه الأندلسي ابن عبد ربه ، فقد قال الصاحب بن عباد حين ظفر بالكتاب (هذه بضاعتني ردت علينا) .

وقد أخذ ابن بسام على جماعته هذه المحاكاة فقال : « إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المتداولة رجوع الحديث إلى قتاده ، حتى لو نفع بذلك الآفاق غراب أو ملن » ياقصي الشام والمراد ذياب ، ليجثوا على هذا صمنا وتلوا ذلك كتاباً مكتوباً فناظرني منهم ذلك — الذخيرة في معasan أهل الجزيرة ٢/١ . »

وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى القرن الخامس الهجري ، حين شاع في الأندلس مذهب الظاهري في أصول الفقه ، وكان قد نشأ في المشرق خلال القرن الثالث الهجري وأمامه أبو سليمان الأصفهاني . قام المذهب على رفض التيسير وانتقاد التقليد ،

وتولى الدعوة اليه والاحتياج له في الأندلس الامام أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الاندلسي (٣٤٨ - ٤٥٦) . وكان ابن حزم هذا يتعنى لو كان مشرقياً حين يقول :

انا الشمس في جو العلوم متيرة ولكن عيبي أن مطلع الغرب

وتلا ذلك نبوغ ابن مضاء في القرن السادس الهجري ، وقد اتخد مذهبة في أصول النحو على مثال مذهبة الظاهري في أصول الفقه ، فانكر القياس وعوّل على النص في كتابه (الرد على النحاة) كما تقدم تفصيل ذلك ، وكان عصره عصر الثورة على المشرق ومتاهبه .

ابن مالك :

ومن أشهر نحاة الأندلس المبتكرين في القرن السابع الهجري الامام محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي العباني ولد في بلدة جيان بالأندلس وقرأ العربية على ثابت بن محمد جيان الكلاعي ، كما قرأها على ابن يعيش شارح (المفصل) . وقد انتقل إلى دمشق وتوفي فيها (٦٠١ - ٦٧٢ هـ) وابن مالك هذا هو صاحب الألفية المشهورة باسمه ، وقد كثر شرائحة وكان من أبرز هؤلاء ابنه بدر الدين محمد بن مالك (٦٨٦ هـ) ، وقد عُرف بحنقته للمنطق فجاء شرحه مشوباً بالنهج المنطقي ، فاختلط ذلك لسانه شرائح الألفية وحملهم على جادته . وإذا كان نحاة الأندلس قد تأدوا بصحة استنباط القواعد اعتناداً على الحديث النبوى منذ ذماعاً إلى ذلك الإمام ابن حزم الأندلسي في القرن السادس وتبعد في ذلك السبيلي وابن خروف ، فقد كان ابن مالك أكثرهم حماسة لهذا الرأى وأشدهم استسماكاً به ، وقد جرى على الاستشهاد بالحديث في كثير من الأحكام التي خالف فيها الجمهور وقد كان من أنصار هذا المذهب الجوهري وابن جني وابن فارس وابن سيده وابن بري . وهو لم يمل إلى بصرية أو كوفة وإنما اختار في كل مسألة ما هدأ إليه اجتهاده بالحججة .

أبو حيان :

وقد تالق بعد ذلك نجم أبي حيان الاندلسي الفرناطي المولد والمنشأ (٥٧٤-٦٥٤) وله من الكتب سفره الضخم في التفسير وهو (البحر المعيط) ، وله (شرح التسهيل) ومختصره (ارتشاف الضراب) وإذا كان أبو حيان قد بدأ ذا اسلوب منطقي في تعريفه للحدود وتلبيتها فقد ابتعد عن الفلو في التعليل . وإذا كان قد استنسك بالنص وعاف من التأويل ما كان متكلفاً فإنه لم يدع القياس بل عول عليه في أحکامه . وقد جعله استسماكه بالنص على اهتمامه بالقراءات القرآنية جميعاً واشتقاقه بها ، وعاب على النحاة ترددتهم في التعميل عليها وقال : « ولستا متبعين بأقوال نحاة البصرة - البحر المعيط ٤/٢٧١ » ، كما عاب عليهم المخاضلة فيما بينها (٢٦٥/٢) وقال « القراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ٢٦٣/٢ » .

ولا يمكن الحديث ، على كل حال ، عن نحو أندلسي بسمات خاصة وبرواسم فريدة ، على احاطة النحو الأندلسية وجنوبي ما دنبو به النحو من جهة في البحث والاجتهاد وبعد عن ارادة المحاكاة ، فإذا كانوا لم يتبعوا في نحوهم بمنصب بصري أو كوفي ، فانهم لم يتقدروا فيه بخط عام يميز من نحو المشرق عامة بعد ابن مضاء .

* * *

يتبين بهذا كله انه لا بد من التعويل على القياس ، والأخذ بالصلة والاقتصار منها على مادعوه بالصلة التعليمية والصلة القياسية ، فلا تغلو في التعويل ونمضي فيه حتى تخضع اللغة لاصول المتعلق والفلسفة ونهج الجدل والتعجاج ، فننأى بها عن خصوصها وطبيعتها . قال الرجائي في (ايضاح علل النحو) : « قد عرفناك أن الأشياء تستحق المرتبة والتقدم والتاخر على ضروب فنونكم لكل واحد بما يستحقه ، وإن كانت لم توجد إلا مجتمعة . فنقول إن الجسم الأسود قبل السوداء ، ونحن لم نر الجسم خالياً من السود الذي هو فيه ، ولا رأينا السوداء قط عارياً عن الجسم ، بل لا يجوز رويتها لأن المرئيات انما هي الأجسام الملونة ، ولا تدرك الألوان خالية من الأجسام » . فما حاجة النحو إلى جدل لفظي لا درك فيه ، وببحث فلسفى لا غناه له في منتهى نحو أو بيان . وقال تنوبي في تعليل (أن) (هل) أما أن تبادر الفعل كقولك (هل قدم زيد) أو تبادر اسمًا لا يقى في حيزه فعل . تقول (هل زيد قادم) ولا تقول (هل زيد قدم) ، قال : (إن هل إذا لم تر الفعل في حيزه حتى إليه لسابق الآلة فلم ترض حينئذ إلا بمعانقته) فما حاجة النحو إلى مثل هذه العبث والتخبيط وهل يجديه ذلك نفعاً أو يسوق إليه بياناً أو يوجب له حسنة ؟

ولا مناص من أن يفسح للسماع ويوضع له ، ولو خالت القيام ، فقد يستدعيه الاستعمال وتقتضيه حاجة التعبير . ذلك لأن كثيراً من الشاذ المتداول إنما يثبت الأصل الذي انزوى عنه ويتبه على أن مجاناته لهذا الأصل وإنفراده عنه بالحكم ، إنما كان لداع في التعبير أوجبه الاستعمال ، على الا يعتمد هذا الشاذ لترسي فيه قدم قيام يبطل الأصل الثابت .

مثال ذلك مجيء السماع بجمع المصيبة على المصائب والقياس المصيبات ، فقد كان ذلك لملة رعواها . ذلك أنهم انزلوا (المصيبة) وهي صفة في الأصل منزلة الأسماء ، فجعلهم ذلك أن يجعلوها جمع الأسماء على (مصائب) . وهكذا جاء السماع بجمع (المسن) على صيغة اسم الفاعل ، من الآسمين أو غيرهم ، على (المسان) بفتح الميم وتشديد النون . وذلك لملة وجبة ، فقد اشتهر استعمال (المسن) منقطعاً عن موصوفه فأنزل منزلة الأسماء فكان من شأن ذلك تكسيره تكسيراً . ونحو ذلك جمهم مخربة على مخاز ومدينة على مداين ومدان و沐طيبة على مطاوح والمصحف على الصاحف والموسي على المواسي .

وهكذا (الغراء) فهي في الأصل صفة للبقلة لكنها استعملت استعمال الأسماء ، فتقليل (ليس في الغزراوات صبغة) أي في البقول فجمعت جمع الأسماء دون الصفات .

وكذلك القول في (نكبات ونكبات) وهي الريح التي تنكمب عن الرياح الأربع ، وفي (دكام ودكمات) للأرض اذا انبسطت فأشبهت الراية .

والقياس في (استغفل) اذا اعتلت عينه ان يُعلَّم اي يقلب حرفه علته (واوا او ياء) الفاء . تقول استجاب واستمات واستكان ، وشد قولهم (استجوب) لأنهم أرادوا أن ينبهوا على اشتقاقه من (الجواب) كما اشتق (استئس واستغيل) من التيس والغيل . وقالوا (أغيم) من النيم و (أغوه) من العاهة .

وقالوا في (مفعلة) المشتقة من الاسم: شراب مطيبة بفتح الياء ودواء مبرولة بفتح الواو ، اي يدعسو الى الطيب والبصول . وأرض مفية ومثورة يكتسر بها الثور والمفيء . ولو اشتقت (مفعلة) من الفعل لجاءت بالاعلال اي قلب حرف علتها (الواو او الياء) الفاء كالمقالة والمقدمة والمماردة والمثابة ، وهو الأصل والقياس ، ذلك فرقاً بين مفعلة الاسمية ومفعلة الفعلية .

ولا معدل عن أن ننادي بالنتيجة أن يكون علم النحو يعرف به أحوال الكلم اعراباً وبناءً فيقتصر البحث فيه على اواخر الكلمات ويشوبه من جفاف القواعد ما لا يتطرق فيه ماء بيان او تشرق به ديباجة كلام . فالقريب المختار ان يكون علم النحو قسم علم المعاني فيندو كل تتمة الآخر . قال ابن كمال باشافي رسالته : (ويشارك النحوى صاحب المعانى فى البحث عن المركبات الا أن النحوى يبحث عنها من جهة هيئتها التركيبية صحة وفسادها ودلالة تلك الهيئات على معاناتها الوضعية على وجه السداد ، وصاحب المعانى يبحث عنها من جهة حسن التنظم المغير عنه بالفصاحة فى التركيب وقيمه . فما يبحث عنه فى علم النحو من جهة الصحة والفساد ، يبحث عنه فى علم المعانى من جهة الحسن والقيمة ، وهذا معنى كون علم المعانى تمام علم النحو) .

ونختتم فصلنا هذا بما جاء به الإمام السيد في شرح المفتاح ، اذ قال : « البحث في اللغة اما عن المفردات من حيث جواهرها ومواهدها ورميئتها . فعلم الفاء . او من حيث صورها وهيائتها فقط فعلم الصرف ، او من حيث انتساب بعضها الى بعض بالأصلية والفرعية فعلم الاشتقاق ، واما عن المركبات فباعتبار هيئاتها التركيبية وتاديئها لمعاناتها الأصلية فعلم النحو ، واما باعتبار تأديتها لمعانٍ معايرة لأصل المعنى فعلم المعانى ، واما باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان » .



هل يمكن معرفة معدل المواليد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

البحث عن طريقة*

ترجمة : فاطمة عصام صبري

للمستشرق الفرنسي : شارل بيلا

توطئة :

علم السكان أو الديمغرافية علم حديث يدرس المجتمعات البشرية من حيث حجمها وتركيبها وتطورها وخصائصها العامة ولا سيما من النواحي الكمية . وأحدث منه فرعه الذي دعي بالديمغرافية التاريخية وهذه تتناول المجتمعات الفايرة التي لدينا عنها بعض المصادر أو الوثائق المكتوبة دون أن تكون فيها احصاءات مناسبة أو معلومات كافية . ويعمد الديمغرافيون العدليون إلى تأمل طرائق علمية يستطيعون بها أن يكشفوا النقاب عما فاتهم من الخصائص السكانية لتلك المجتمعات . وقد عمد المستشرق الفرنسي شارل بيلا^{*} إلى أن يسمم في هذا الميدان فالتفت نحو معالجة بعض الجوانب السكانية عند قبيلة قريش بالإضافة على كتب الطبقات ولا سيما نسب قريش لما تقدمه هذه الكتب من وثائق تاريخية مفيدة . ولهذا قامت السيدة فاطمة عصام صبري بترجمة هذا البحث المأهود من كتاب :

Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam (VII^e - XV^es).
London, Variorum reprints 1976.

وقد أضافت على الترجمة حواشي بعضها ما التبس على المؤلف سهوا وبعضها قصص وطرائف اقتبسها من كتاب نسب قريش لتضفي على البحث الجاف رونقاً ترسم به الكتب العربية القديمة وتزيد على الرونق فوائد اجتماعية للذك العهد . ولعل هذا المقال يشير المؤرخين العرب إلى التدقيق فيه والاتيان بامثاله .

* Peut-on connaître le taux de natalité au temps du Prophète ? A la recherche d'une méthode.

الفتى الطويلة لكتب الطبقات أمثال «نلب قريش» لمصعب الزبيري و«طبقات ابن سعد» و«الإصابة» لابن حجر وممؤلفات أخرى من هذا النوع جعلتني أذهب إلى أن قليلاً من الصبر ومن الخيال يغول الباحث أن يستخرج منها بيانات من نمط ديمغرافي عن عهود معيّنة في تاريخ الإسلام. تتبع بوادر تلك البيانات تصور الخصوب الديمغرافي لدى رجال قريش ونسائهم إبان العقبة التي سبقت مولد الإسلام وتلته، أي في وقت بعيد منها ولكنه متّيّز لأنّ المهد الوحيد الذي لدينا عنه معلومات غزيرة تكاد تكون منتظمة وليس من الصعب بعد ذلك استكمال النتائج كما يقال في الأحصاء وجعلها تشتمل على قبائل أخرى.

ان كتب طبقات الصحابة تفضي إلى احصاء سكان مكة والمدينة في الثلث الأولى من القرن السابع للميلاد إذ جمع سكان هاتين المدينتين حظوا ببرؤية الرسول على الأقل وربما بمعرفته عن كثب أو التقرب منه.

وتساعد كتب الطبقات هذه أيضاً من وجهة نظرية على الأقل في تقدير أعمار المسلمين الذين نقلوا الحديث في قرن معيّن، فإن مؤلفي الترجمات يسعون بالدقّة الممكنة إلى تحديد الأعمراء التي عاشها من يترجمون لهم وعلى هذا يتيسّر الوصول إلى نتائج صحيحة ودقيقة ومثبتة، وتزداد دقة المعلومات كلما تزلا ناموس الزمان.

ويقف الفموض الزمن المتقدّم على ذلك ب بحيث لا ينتهي التحقّيق الاحصائي إلى تخمين سليم. ولهذا التزمت البحث عن معدل المواليد ثم عن معدل الزيادة في قبيلة معيّنة قريش، كذلك من المناسب الاشارة إلى أن المعلومات المتوافرة في كتب الأنساب مثل جمهرة ابن الكلبي لا يمكن اعتمادها لهذه النهاية لأن المؤلف لا يذكر البنات إلا نادراً، كما أنه قد يقلل الأولاد الذكور لأمرٍ ثبت ذكرهم في مراجع أخرى. أما كتاب طبقات ابن سعد فهو مقيد في دراسة نسل بعض السادة القرشيين ولكنه لا يستطيعه استيعاباً كاملاً. كذلك لا توفر كتب الطبقات إلا معلومات جزئية عن زواج الصحابيات وعن ذريتهن. وخلال هذه تفحّص هذه المراجع هي أن طي أسماء البنات يعود دون الحصول على نتائج مرضية وخاصة فهي لا تستطيع أن تقدم إلا وثائق مساعدة. ولا يتلافى كتاب «نسبي قريش» هذا النقص فلا يجد الباحث الديمغرافي فيه ميّقاًه لأن المعلومات جزئية وقد تبدو متضاربة، ومع ذلك وجدت هذا الكتاب يمتاز باحصاء عدديّر من القرشيين – عاشوا في مكة أو ماجروا فيها – مع تعداد أولادهم – ولو أن عدداً من بنائهم قد أغفل – كما أنه يتبيّن بعض الملاحظات التي تفرضي المؤرخ والعالم الاجتماعي دون أن تكون في منتهي الدقة.

وقد عمدت، دون أن أضع النجاح نصب عيني، إلى كتاب نسب قريش فجردته واستخلصت منه أسماء النساء اللواتي عاصرن النبي أو عشن في زمن قريب قبله أو بعده وتوزّجن على الأقل مرة ثم أسماء الرجال الذين يذكّرهم مصعب وهو متّيّز بما يقول سواء تزوجوا واحدة أو عدّة نساء، وكان لهم ذرية معروفة، مع أنّي في البداية ظنّت أن خصّ النساء وحده يلزم أن يؤخذ يعني الاعتبار في تخمين النمو الديمغرافي. وكان من المقيد التمييز بين المهد الذي سبق تحوّل المكيين في دين الله أزواجاً والمهد الذي تلاه ولكن ظهر لي أن ذلك أمر صعب المنال.

العبارة المثلثي في قلم مصعب على الشكل التالي : « فلان ولد له : أ ، ب ، ج و من بناته من تزوجت فلاناً و ولد لها كذا طفلاً »، و أم جميع الأولاد لتلك الشخص هي فلانة »، ثم يعدد أولاده و ينسبهم إلى أمهاهاتهم . وأحياناً يعدد مصعب بعد اسم زوجة فلان و أولادها منه أولادها من أزواجها الآخرين ، و بذلك يتيسر لنا أن نعرف ذرية هذه المرأة كلها كذلك نتيقن اذا ولدت زوجة واحدة لزوجها ستة أولاد أو أكثر . وقد يجمع المؤلف عن ذكر اسماء جميع أولاد امرأة لها عدة ازواج في فترة واحدة و عندئذ يلزم الرجوع الى فقرات أخرى من الكتاب يذكرهم فيها . ولو اقتصر كتاب نسب قريش على هذا النهج من الوصف لأتاح لنا احصاءات تقترب كثيراً من الواقع ولكن الفقرات الكاملة نادرة والأولاد لا يذكرون بتمامهم دائماً ، و اذا ذكروا فقد يختلف منهم الإناث او يشار اليهن دون ذكر عدهن بدقة ، والتعديلات من أمثال (فولدت له) كثيرة و غالباً ما يجتنب المؤلف فيقول : من ولد فلان . و يذكر بعضهم .

ثم ان كثيراً من عشائر قريش قد ألم بها الماما سريعاً . لذلك اقتصرت على المعلومات التي يمتن بها مصعب صحيحة و تامة ، وقد احترزت ما استطاعت فاحميته ٧٠٠ امرأة كان لهن من الأولاد :

١٧٢٦ ولدا (الموسطي ٢٤٦)

منهم ١٢٢٧ ذكراً (الموسطي ١٨٩)

و ٣٩٩ انتى (الموسطي ٥٥٧) فقط

وهذا شيء يزيد الاحتمال لأن لا يوجد شعب يكون فيه المصابون بصورة طبيعية ثلاثة أمثال البنات وسترى بعد قليل في الأسر التي لدينا عنها بيانات صحيحة وأكيدة أن النسبة تنخفض إلى نحو ١٠٨ صبي تلقاء ١٠٠ بنت بدلًا من ٣٣٢ مقابل ١٠٠ الذي وصلنا إليه .

ومع ذلك فإن الجاحظ ذلك الكاتب الشاذ لاحظ أن البنات - ما عدنا في خراسان - أكثر عدداً من المصابين . وأضاف أن احصاء جرجى للطلابين في مطلع القرن الثالث للهجرة شفَّ عن وجود ٢٣٠٠ من ذرية أبي طالب وفيه عدد البنات يفوق عدد الذكور بعشر على الأقل وهذا يمتنبه الجاحظ أمراً عارضاً في تلك الأسرة التي اشتهرت بأن النساء المذكارات أي الولادات للذكور كنْ عديديات . فإذا قبلنا جدلاً بأن عدد البنات هو حقاً ٣٩٩ فيجب أن نعتبر أن الـ ٧٠٠ امرأة المعدودة هنْ مذكارات وهذا أمر يبعد الاحتمال .

ويمكن أيضاً أن نفك في عادة واد البنات غبَّ ميلادهن ولتكنها عادة أزالها الاسلام بل ان بعض النساء اللواتي عشن في أواخر العاشرية ودخلن في التعداد السابق اتبثبن بنات ظللن على قيد الحياة . وأخيراً يمكن أن نتهم المؤلف في انتقائه ونعتبر أن النساء اللواتي وردن عنده كان لهن بنات وأغفل ذكرهن . نكتفي الآن بقبول هذا العساب النظري ونقبل مؤقتاً أن معدل الخصب للمرأة الواحدة هو ٢,٤٦ .

لا بد من أن نصحح هذا المعدل فنزيده من جهة لتدخل في العساب بعض النساء اللواتي أحصين عدداً من بنات وتنقصه من جهة ثانية أذيجدر أن نضيف إلى سبعينات الامرأة المتزوجة

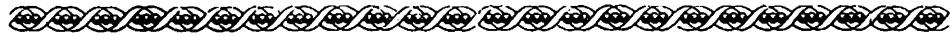
النساء اللواتي بقين عازبات فعن المسير تقدير الرقم تماماً . ولم يكن من هؤلاء سوى تسعة نساء : ثمان منهن كن بنات على بن ميدانة بن عباس ومن يقدمن استثناء كافية وبارزاً يمكن ملاحظته ، ولكن يبدو أنه في كثير من الحالات يقدم مصعب معلومات غير كافية وصحته لا يمكن تبريره بأي شكل من الاشكال .

من جهة أخرى لا بد من ان تكون وفيات الرضع اذ ذاك مرتفعة ولكننا لا نستطيع الاعتماد على نسبة قريش لتقديرها تماماً ، ومع ذلك ليس لها الا نتائج محدودة في حسابنا لأن الموليد الذين ماتوا قبل أن يسمعوا غير مذكورين مطلقاً ، وللفظ درج أي مات دون أن يترك نسلاً ينطبق على الأطفال الذين يموتون في سن مبكرة . وقد ذكر ذلك ٣٥ مرة ، وربما كان هذا الرقم أقل من الواقع وعلى اي حال فإن خمسن أولاد الحكم بن أبي العاص ، وعلى النقيض ، ٦ على ٢٢ درجوا وهي نسبة مقبولة ولكننا لا نستطيع ان نعتمد هذه النسبة لأن الفظ درج لا توجد فيه اشاره الى عمر الطفل الميت بدقة .

في كل ما تقدم ذكرنا أرقاماً عاماً اي كانت قيمتها ، ولكي نحاول الاحاطة بالحقيقة عن كتب في مسألة نسبة الإناث الى الذكور التي تظل اعومن المشاكل اخترنا خمسين امراة من كان لهن على الأقل خمسة اطفال جميعهم مذكورون باسمائهم :

رقم الصفحة في النسب	اسم المرأة	اسم الزوج أو الزوج	عدد المجموع	عدد الذكور الذكور	عدد الإناث الإناث
٤٣٩	دعد بنت عمرو	سيار بن نزار	١٠	٢	١٢
٣٠٣	فاختة بنت هتبة	عبدالرحمن بن الحارث	٦	٥	١١
١٧	حيّة بنت هاشم	هاشم بن الأخيّم	٦	٥	١١
٣٥٧، ٣٥٦	صفية بنت أبي عبيد	عبدالله بن عمر بن الخطاب	٨	٢	١٠
٢٠٤	فاطمة بنت عتبة	قرۃ ظة بن عبد عمرو	٨	٢	١٠
٤٤٤	تماضر بنت أبي عمرو	أبو همّة	٦	٣	٩
١٥٩	مليكة بنت أوفى	الحكم بن أبي العاص	٥	٤	٩
٢٢، ٢١	خديجة بنت خويلد	أبو هالة + عتيق + النبي (ﷺ)	٢	٢	٩
١٤	عاتكة بنت مرّة	عبدمناف + حبشن بن عامر	٥	٤	٩
{ ٣٣٠، ٣٠٨ } ٢٠٦، ٢٨٣	سمعي بنت عوف	طلحة بن عبد الله + عبد الرحمن			
		ابن الحارث + عبدالله بن			
		الوليد بن المغيرة			
			٨	٤	٨

رقم الصفقة في النسب	اسم المرأة	اسم الزوج أو الزوجين	عدد المجموع	عدد الذكور الذكور الإناث
٣٥٨,٣٥١	أم عبد الله بنت عبد الرحمن	عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر المصديق (+ لها أزواج آخرون)	٨	٤ ٤
٩٩	آمنة بنت أبان	آمية + ابنته أبو عمرو (١)	٨	٣ ٥
١٠١	اروى بنت كريز	عفان + عقبة بن أبي معيط	٨	٤ ٤
١٧	فاطمة بنت عمرو	عبد المطلب	٨	٥ ٢
٤٤٣	هند بنت عبد الله	عامرة	٨	٠ ٨
٤٤٣	بنت الحارث بن مالك بن كنانة	الحارث بن فهير	٧	٢ ٥
٤٤٣	بنت الحارث بن مالك بن النضر	الحارث بن فهير	٧	٢ ٥
٢٨	زوجة بنت مبشر	عبد الله بن الباس	٧	١ ٦
١٥٩	آمنة بنت علامة	الحكم بن أبي العاص	٧	٢ ٥
٣٢٨	أم جميل بنت المغيرة	سفيان بن (عبد) الأسد	٧	٠ ٧
٤٠٨,٢٠٦	عاتكة بنت عبد العزي	سعيد بن سهم	٧	٤ ٣
٨٣,٤٤	ليلي بنت مسعود	علي + عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٧	٢ ٥
٢٠٥	أم حسن بنت الزبير (بن العوام)	عبد الرحمن بن الحارث	٧	٦ ١
٣٤٣	تحمذ بنت عبد	عمران بن مخزوم	٦	٢ ٤
٤٠	فاطمة بنت أسد	أبو طالب	٦	٢ ٤
١١٤,٥٩	فاطمة بنت الحسين بن علي (٢)	الحسن + عبد الله بن عمرو	٦	١ ٥
٢٨	أم الفضل بنت الحارث اسمها لبابه	عباس بن عبد المطلب	٦	١ ٥
١٩	أميمة بنت عبد المطلب	جحش بن رئاب	٦	٣ ٣
١٠٠	آمنة بنت عبد العزي	أبو العاص	٦	٢ ٤
٤٠٦	بنت سعيد بن سهم	سعيد بن سعد	٦	٢ ٤
١٤	حبى بنت حلبين	قصي (بن كلاب)	٦	٢ ٤



رقم الصفحة في النسب	اسم المرأة	اسم الزوج او الازواج	عدد المجموع	عدد الإناث الذكور	عدد الإناث	الرقم النوع
٤٤٣	عميرة بنت عوف	عميرة بن وديمة	٥	١	٦	٦
١٥٩	أم نعمان (بنت العارث)	الحكم بن أبي العاص	٢	٣	٦	٦
١٦٠	بنت منبه	الحكم بن أبي العاص	٥	١	٦	٦
٤٦	الصهباء	محمد بن علي بن أبي طالب	٢	٤	٦	٦
٢٨٣	أم كلثوم بنت أبي بكر	طلحة + عبد الرحمن بن عبد الله	٤	١	٥	٥
٤٦	فاطمة بنت علي	محمد بن أبي سعيد + سعيد بن الأسود بن أبي البغتربي + المنذر بن عبيدة	٣	٢	٥	٥
٨٢،٢٥	زينب بنت علي	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٣	٢	٥	٥
١٧٤	صفية بنت المغيرة	سعيد بن العاص	٥	٠	٥	٥
١٢٥	هند بنت عتبة	أبو سفيان	٣	٢	٥	٥
٣٦٤،٣٦٣	سوندة بنت عبد الله بن عمر	عبد الرحمن بن زيد + عروة بن الزبير	٤	١	٥	٥
١١٤	أم عبدالعزيز	عبد الله بن عمرو بن عثمان	٢	٢	٣	٣
١٥	سلمي بنت عمرو	هاشم + أحىحة	٣	٢	٥	٥
(٤٦)	فاطمة بنت أبي طالب	محمد بن أبي سعيد + سعيد + المنذر	٢	٣	٥	٥
١٠٤	أم عمرو بنت جنديب	عثمان بن عفان	٤	١	٥	٥
٢٦٦،٢٣٦	أم كلثوم بنت عقبة	عبد الرحمن بن عوف + الزبير	٤	١	٥	٥
٢٢٧،٨٠	أسماء بنت عميس(٤)	علي + جعفر بن أبي طالب + آيا بكر	٥	٠	١	١
٢٧٨	عائشة بنت طلحة	عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر	٤	١	٥	٥
٣٣٨	ريطة بنت عبد	سفيان بن عبد اسد	٥	٠	٥	٥
٢٨	أم كلثوم بنت الفضل	حسن بن علي + أبو موسى الأشعري	٤	١	٥	٥

هؤلاء النساء الخمسون ولد لهن ٢٤٠ ولدوا (المتوسط ٦,٨٠) منهم ٢٢٣ صبياً (المتوسط ٤,٤١) و ١١٧ بنتاً (المتوسط ١,٣٤) أي ١٦٠ ذكراً مقابل ١٠٠ أنثى.

ان قراءة «النسب» تجعلنا نتصور أن كثيرة من النساء كن ولادات ولم تكن نادرة الاسر التي يتجاوز عدد أولادها الخمسة أو ستة قليلة وإنما القليلة هي الامر التي لها طفل واحد ولذلك أغلقت ، واذا لم تكن الأسرة مشهورة لا يذكر مصعب الا البارزين فيها ، بل كان يجعل للوصول اليهم ، لذلك يصعب ضبط الحساب .

أمر آخر نلاحظه هو أن من بين النساء الواردات في الجدول من تزوجت أكثر من مرة . ومن المفيد فحص حالات المتزوجات وقد اكتفيت باللوائين تزوجن ثلاث مرات برباعية شرعى كما يدعونا ابن حبيب في كتاب العبر الذي يخصص فصلاً في لهذه المسألة دون الاشارة الى عدد الاولاد الذين كانوا حصيلة هذه الحالات المتتابعة .

ومن الطبيعي أن يحفّ الفوضى حياة الناس الخاصة ولا سيما حياة النساء حتى الشهيرات منهن فيزيدى ذلك إلى خلاف واضح بين واضعى الترجحات الذين يسعون إلى استيفاء الحقيقة حسب الروايات التي يعتمدونها . ومن أكثر الأمثلة بروزاً على هذا النوع من الشك وعدم اليقين مثل السيدة المشهورة سكينة بنت العسين بن أبي طالب التي يبلغ عدد زواجها ستة في بعض الروايات فكان ذلك مثار خلاف لا في تاريخ كل زواج فقط بل في أسماء أولئك الأزواج . ولو قبلنا بذلك الروايات لكان قد تزوجت ثمان مرات مع أنها تزوجت خمس مرات فقط (منها اثنان عقد فيها قرانها ولم تتزوج ، كما أن عبد الملك بن مروان خطبها وردها) ويتبين بالبحث أن عدد أولاد هذه المرأة ثلاثة : صبيان وبنت ومن زوج واحد هو عبدالله بن عثمان بن عبدالله (النسب ، ص ٥٩) .

في الجدول التالي نعرض اذن عدداً من النساء اللواتي تزوجن على الأقل ثلاث مرات متبعين الترتيب الهجائي (الأجنبي) ومعتمدين «العبر» تأليف أبي جعفر محمد بن حبيب :

اسم المرأة	رقم الصفة في النسب	رقم الصفة في الميراث	مجموع ذكور انان	أزواجها
عائشة بنت طلحة بن عبدالله التيمى	٣١٤	٤٤٢	١	١ - عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
			٥	٢ - مصعب بن الزبير بن العوام
			٠	٣ - عمر بن عبدالله بن معمور
			٠	بن عثمان التيمى

٤٥٣ ١ - سعد بن أبي مسعد بن أبي طلحة من بنى عبد الدار ١ ٠ ١

عميرة بنت قيس بن سويد
البكري ويقال الغولاني

اسم المرأة	رقم الصنعة في المخبر	رقم الصنعة في النسب	ازواجو	ذكور ائتمان مجموع
أساء بنت عميس المثنية	٤٤ ، ٤٤٤٢	٤٤ ، ٤٤٤٣	١ - الأسود بن أبي البختري ٢ - أبو حبيب بن أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ٤ - أبو مسلم بن العارث بن عامر بن نوفل ٥ - فضالة بن جعفر بن رفاعة المخزومي ٦ - رافع التببيدي	١ ١ . . ١
عاتكة (٠) بنت زيد بن عمرو بن نقيل بن عبد المزى	٢٧٧	٢٧٧ ، ٨٣,٨٠	١ - عبيدة بن المارث بن المطلب ٢ - عبد الله بن أبي بكر ٣ - عمر بن الخطاب ٤ - الظير بن العوام ٥ - محمد بن أبي بكر ٦ - عمرو بن العاص السهمي	٣ . . ١ ١ . .
بريكة بنت القاسم بن محمد ابن علي بن أبي طالب	٧٧	٤٤٦	١ - عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن سهل ٢ - عبد العزيز بن سلمة بن أبي سلمة المخزومي ٣ - علي بن الربيع بن عبد الله العمارثي ٤ - عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن أبي طالب	١ . . ١ ١ . .
ضياعة بنت عامر بن قرط المشيرية	٣٠٣	٤٤٣٩	١ - هودة بن علي الحنفي ٢ - عبد الله بن جدعان التميمي ٣ - هشام بن المغيرة المخزومي	٠ . . ٠ . .
فاطمة بنت علي بن أبي طالب	٣٦	٥٧٥٦	١ - محمد بن أبي سعيد بن عقيل ٢ - سعيد بن الأسود بن أبي البختري	١ ٠ . . ٢ ٢ . .

اسم المرأة	رقم الصفحة في المغير	رقم الصفحة في النسب	ذكور	إناث	مجموع	أزواجها
حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٢٤٤	٤٤٨	٢	٠	٢	٣ - المنذر بن عبيد بن الزبير ابن العوام
هند بنت أسماء بن خارجة الفزارى	١٦٩	٤٤٣	١	١	٢	١ - عبيدة بن زياد بن أبيه ٢ - بشر بن مروان بن الحكم ٣ - العجاج بن يوسف الثقفى
هند بنت سهيل بن عمرو	٤٢٠	٤٥٠	٠	٠	٠	١ - حفص بن عبد بن زمعة ٢ - عبد الرحمن بن عتاب بن أبي اليمين ٣ - عبيدة بن عامر بن كريز ٤ - الحسن بن علي بن أبي طالب
هند بنت عتبة	١٢٣	٤٣٧	٠	٠	٠	١ - الغاكم بن المغيرة ٢ - حفص بن المغيرة ٣ - أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية
كيسة بنت العارث بن كريز بن ربيمة	١٤٧ و ٢٠	٤٤٠	٠	٠	٠	١ - جبلة بن شور ٢ - مسلمة الكلذاب ٣ - عبيدة بن عامر بن كريز
خديجة بنت خويلد	٢٢ و ٢١	٤٥٢	٢	٢	٤	١ - أبو هالة نباش بن ذراة ٢ - عتيق بن عائذ ٣ - محمد رسول الله (ص)
لبابا بنت عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب	٢٩	٤٤٠	٠	٠	٠	١ - علي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ٢ - اسماعيل بن طلحة بن عبد الله ٣ - محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

اسم المرأة	رقم المصفحة في النسب	رقم المصفحة في المغير	اذواجه	ذكور ائمث مجموع
لبابة بنت عبيدة بن العباس	٧٩	٤٤١	١ - المباس بن علي بن أبي طالب ٢ - الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ٣ - زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب	١ ١ ١
ميمنة بنت عبد الرحمن	١٦٥	٤٤٥	١ - عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ٢ - محمد بن الوليد بن سليمان ٣ - هشام بن عبد الملك	٢ ٠ ٠
ميمنة بنت عبيدة بن العباس بن عبد المطلب	٣٢ و ٣١	٤٤١	١ - عبدالله بن علي بن أبي طالب ٢ - أبو سعيد بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزوبي ٣ - نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ٤ - أبو السنابل ابن عبدالله بن عامر بن كريز	٢ ٠ ٢ ١ ٠ ٠
رابيعة بنت محمد بن علي	٤٤٠	٤٤٠	١ - يزيد بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ٢ - بكار بن عبد الملك بن مروان ٣ - صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس ٤ - امساح بن ابراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب	٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠
ربيعة بنت المفيرة بن عبد الرحمن	٢١٠	١	١ - عيسى بن عيسى بن ملحة ٢ - عباده بن عكرمة ٣ - عبد العزيز بن عبدالله ٤ - جعفر بن سليمان	٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

اسم المرأة	رقم المصنفة في النسب	رقم المصنفة في المغير	اذاجة	ذكور انانث مجموع
سهلة بنت سهيل	٤٦٧	٤٦٧	١ - حذيفة بن عتبة ٢ - الشق بن سعيد ٣ - عبد الرحمن بن عوف	١ . ١ . ١
سعدي بنت عوف	٤٢٠	٤٢٨٣	١ - ملحة بن عبد الله ٢ - عبد الرحمن بن العارث ٣ - عبد الله بن المفيرة	٢ . ٤ . ١
محيقة بنت محمد	٤٣٠	٤٤٤	١ - العارث بن عبد المطلب ٢ - عمر بن علي بن الحسن ٣ - اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن ملحة ٤ - اسماعيل بن عبد الله بن جعفر ٥ - اسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن طلحة (راجحها) ٦ - عبد الرحمن بن عبد الله
أميمية بنت أبي سفيان	١٢٤	١٠٥	١ - حويطب ابن عبد العزى ٢ - سفوان بن آية ٣ - المفيرة بن شعبة الثقفي	١ . ١ .
أم عبد الله بنت عبد الرحمن ابن زيد	٤٤٧	٤٤٢	١ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر المسديق ٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب ٣ - طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر المسديق	. . .
أم علي عبدة بنت علي ابن الحسين بن علي	٦٢	٤٣٨	١ - محمد بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر ٢ - علي بن الحسين بن الحسن ابن علي ٣ - نوح بن ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبد الله

اسم المرأة	رقم الصفحة في الترتيب	رقم الصفحة في المعيير	ذكور	إناث	مجموع ازواجها
أم بشر بنت عقبة	٥٠٤٩	٥٠٤٩	١	١	٢
١ - الحسن بن علي بن أبي طالب			١	١	
٢ - عبد الرحمن بن عبد الله			١	٠	
٣ - سعيد بن زيد			٠	١	
أم جميل بنت عبد الملك	٤٣٩	٤٣٩	٠	٠	٠
ابن قدامة بن ابراهيم					
١ - محمد بن عبد الله بن اسماعيل					
٢ - علي بن عون بن محمد بن					
علي بن أبي طالب					
٣ - ابراهيم بن عبد الرحمن بن					
عبد الله بن عمر بن الخطاب					
٤ - عبد الله بن يحيى بن عمرو					
٥ - ابن عبدالعزيز					
٦ - ابن رياح					
أم حكيم بنت العارث	٣٠٣	٣٠٣	٠	٠	٠
ابن هشام					
١ - عكرمة بن جهل					
٢ - خالد بن سعيد بن العاص					
٣ - عمر بن الخطاب					
أم حكيم بنت محمد	١٦٩	٤٥٥	١	١	٢
١ - بشر بن مروان					
٢ - عمر بن مروان					
٣ - عبدالله بن مروان					
أم حكيم بنت يحيى بن الحكم	١٦٧	٤٤٩	١	١	٢
١ - عبد الغزير بن الوليد					
٢ - سليمان بن عبد الله					
٣ - هشام بن عبد الله					
أم حسين بنت علي بن أبي طالب	٤٥	٤٣٧	١	١	٢
١ - جمدة بن هبيرة					
٢ - جمفر بن عقيل بن أبي طالب					
٣ - عبدالله بن الزبير					
أم اسحق بنت طلحة	٥٩٥٠	٤٤٢	١	١	٢
١ - الحسن بن علي بن أبي طالب					
٢ - الحسين بن علي بن أبي طالب					
٣ - عبدالله بن محمد بن أبي بكر					
أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر	٨٢	٤٣٩	١	١	٢
١ - القاسم بن محمد بن جعفر					
٢ - العجاج بن يوسف					
٣ - علي بن عبدالله بن العباس					

اسم المسراة	رقم الصفقة في التسلق	رقم الصفقة في المغير	اذواجه	ذكور	إناث	مجموع
أم كلثوم الكبرى بنت علي ابن أبي طالب	٤١٦٢٥	٤٣٧	١ - عمر بن الخطاب ٢ - محمد بن جعفر بن أبي طالب ٣ - عون بن جعفر بن أبي طالب ٤ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	١	١	٢
أم كلثوم الصغرى (نفيسة) بنت علي بن أبي طالب	٤٥	٢٢٦,٢٥	١ - عبد الله بن عقيل ٢ - كثير بن العباس ٣ - تمام بن العباس	١	١	١
أم كلثوم بنت الفضل بن العباس	٤٣٩	٤٣٩	١ - الحسن بن علي بن أبي طالب ٢ - أبو موسى الأشعري ٣ - عمران بن طلحة	١	١	٤
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي سفيط	٤٤٦	٢٣٦	١ - نبيد بن العمارنة ٢ - عبد الرحمن بن عوف ٣ - الزبير (بن المسوام) ٤ - عمرو بن العاص	٤	٤	٤
أم محمد بنت عبد الله ابن العباس	٤٤١	٢٦٦	١ - عبد الله بن عبد الله بن العباس ٢ - عثمان بن عبد الله بن حميد ٣ - عبد الله بن عبد الله بن العباس	١	١	٣
أم قاسم بنت الحسن بن علي	٤٣٨	٥٩,٥٠	١ - مروان بن أبيان بن عثمان بن عفان ٢ - علي بن الحسين بن علي ٣ - الحسين بن عبد الله بن عبد الله	٣	٣	٣
أم قتيل بنت عبد الله	٤٥٠	٢٠٣,١٢٣	١ - عمرو بن أمية ٢ - حرب بن أمية ٣ - أسييد بن جارية ٤ - عمرو بن نوفل	١	١	٤
أم سلمة بنت عبد الرحمن ابن سهل	٤٤٧	٤٤٧	١ - العجاج ٢ - الوليد بن عبد الله ٣ - سليمان بن عبد الله ٤ - هشام بن عبد الله	٣	٣	٣

اسم المرأة	رقم الصفة في النسب	رقم الصفة في المغير	اذواجهـا	ذكور	اناث	مجموع
أم عثمان بنت سعيد بن عثمان	٤٦٦	١٦٨, ١٦٧	١ - هشام بن عبد الله ٢ - الحكم بن الوليد ٣ - يكرب بن سلمة ٤ - محمد بن عبدالله بن عمرو	١	٠	١
أم يحيى بنت محمد بن عروة بن الزبير	٤٥١		١ - الحكم بن يحيى بن عروة ٢ - أمية بن عبدالله بن خالد ٣ - الحكم بن يحيى ٤ - محمد بن عمران ٥ - الحكم بن يحيى	٠	٠	٥

من هؤلاء النساء المذكورات تبدو المعلومات عن سبع وعشرين منهن أكيدة نسبياً

١٠٢ ولد اذ (ومسطيًّا ٣٧٧)

منهم ٧٦ صبياً (الوسطي ٤٨,٢)

٥٣ بنتا (الوسطي ١,٢٩)

أي ١٧٧ ذكرًا مقابل ١٠٠ أنشى (٦)

ويزيد الفموض في يعثنا ان لم نتبته للرجال ولزوجاتهم وامانهم ، وهكذا نقدر المقبات التي تفترض في اقسام المشكلة المميتة التي تعن بتصدعا فنحن هنا لا نتحدث عن الزواج من زوجة واحدة الا في الحالات المقيدة .

رقم الصفحة في النسب	رئيس المائدة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور أناث مجموع
٢٥	البياس بن عبدالمطلب (هاشم)	لباة بنت العارث (هلال) هذيلية	٦ - ١
		أم ولد	١ - ١
		أم ولد	٢ - ٢
		أم ولد	١ - ١
		أم ولد	١ - ١

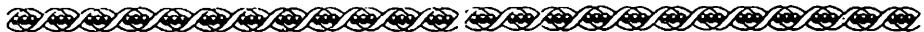


رقم الصفقة في النسب	رئيس العائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور ائتمان مجموع
٢٨	عبد الله بن عباس (هاشم)	زهرة بنت مشراح (كندة) أم ولد	٧ ١ ٦ ١ ١ .
٢٠	عبد الله بن عبد المطلب (هاشم)	آمنة بنت وهب (زهراء) أم ولد	١ ١ : ١ ١ ٠ ١
١٤٩	عبد الله بن عامر بن كريز (٢) (عبد شمس)	كيسة بنت العارث (عبد شمس) كنانية أم ولد أم ولد أم ولد هند بنت سهيل أمّة الله (كلاب)	٣ . ٣ ٢ . ٢ ٢ . ٢ ٢ . ٢ ١ . ١ ٢ . ٢ ١ ١ .
١١٥-١١٢	عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان (عبد شمس)	أسماء بنت عمرو (مخزوم) فاطمة بنت الحسين بن علي فتاة مجهرة أمهات أولاد	٣ ٢ ١ ٣ ١ ٢ ٢ ١ ١ ٣ ٢ ١
٨٢	عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	زيتب بنت علي بن أبي طالب بنت المسيب (فرارة) ابنة خصيصة (بكر) ليلي بنت مسعود (نهشل) آمنة بنت عبد الله (خشيم) النابفة بنت خداش (عبس) [أم كلثوم بنت علي] أمهات أولاد	٥ ٢ ٣ ٢ . ٢ ٤ . ٤ ٦ ٢ ٤ ٣ ٢ ١ ١ . ١ ٣ ٠ ٣
٢٤٣-٢٤٠	عبد الله بن الزبير (امد)	تاضر (فرارة) أم هشام (اخت تاضر) حنصة (مخزوم) ربطة (اخت حنصة) أم ولد	٤ . ٤ ٤ . ٤ ٢ . ٢ ١ . ١ ١ . ١

رئـيس العائـلة					رقم المـسـحة	في النـسبـة
	ذكور	إناث	مـجمـعـ	الزوجـاتـ	وأمهـاتـ الـأـلـوـادـ	
٣٥٦				صفية بنت أبي عبيد (ثقيف)	عبد الله بن عمر بن الخطاب (عدي)	عبد الله بن عمر بن الخطاب (عدي)
١٠	٢	٨		أم ولد		
٣	.	٣		أم علقمة (فهر)		
١	.	١		أم ولد		
٢	١	١		سهمة بنت مالك (تغلب)		
١	١	.		أم ولد		
٢	١	١		أم ولد		
١	٠	١		فاطمة بنت عمرو (مخزوم)	عبدالمطلب بن هاشم	١٧
٨	٥	٣		هالة بنت أبيب (زهرة)		
٤	١	٣		فتيلة بنت جناب (عمرو بن عامر)		
٢	.	٢		صفية بنت جنديب (هازان)		
٢	.	٢		لبني بنت هاجر		
١	٠	١		فتاة خزاعية		
٢٦٦				أم كلثوم بنت عتبة (مخزوم)	عبد الرحمن بن عوف (زهرة)	٢٦٦
١	٠	١		بنت شيبة (عبد شمس)		
١	١	.		أم كلثوم بنت عقبة (عبد شمس)		
٤	٠	٤		بحريمة (شيبان)		
١	.	.		سهمة بنت سهيل (عبد شمس)		
١	.	١		أم حكيم بنت قارط (كتناته)		
١	.	١		امرأة من يبني عبد الأشهل		
١	.	١		تماضر ابنة الأصيغ (كلب)		
١	.	١		اساءة بنت سلامة (نهشل)		
١	.	١		فتاة مغفلة		
١	٠	١		مجد بنت زيد (حمير)		
١	٠	١		غزال بنت كسرى (شيبة)		
١	١	٠		باديـةـ بـنـتـ غـيـلـانـ (ثـقـيفـ)		
٣٠٣				فاختة بنت عتبة (الشريدة) (عبد شمس) ^(٨)	عبد الرحمن بن المارث بن م sham ^(٨)	٣٠٣
١١	٥	٦		أم حسن بنت المزير (أسد)	(مخزوم)	
٧	٦	١		سعدي بنت عوف (مرة)		
٥	٤	١		أم رسن بنت الحارث (حارثة)		
٤	٢	٢		أمهـاتـ الـأـلـوـادـ		
٣	.	٣		مريم بنت عثمان بن عفان		
١	١	٠				



رقم الصفحة في النسب	رئيس العائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور ائذ مجموع
٣٦٣	عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (عدي)	فاطمة بنت عمر (عدي)	١ . ١
		أم عمر بنت سفيان (تقبيل)	١ . ١
		ميمونة بنت يشر (البكاء)	٢ . ٢
		سودة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب	٤ . ٤
		أم ولد	١ . ١
٩٧	عبد شمس بن عبد مناف	نجمة بنت عبيد (عامر بن صعصعة)	٣ ١ ٢
		عبلة بنت عبيد (تميم)	٤ ١ ٢
		عمرة بنت واثلة (زيد مناة)	٢ ١ ١
		أمثنة بنت وهب (أسد)	١ . ١
		أمامة بنت الجودي (كتدة)	١ . ١
١٠١-١٠٠	أبو العاص بن أمية (عبد شمس)	أمثنة بنت عبد العزى (عدي)	٦ ٢ ٤
		رقية بنت العارث (مخزروم)	٢ ١ ٢
		امرأة مجهرولة	١ ١ ٠
		صفية بنت ربيعة (عبد شمس)	١ . ١
		أروى بنت أسيد	١ ١ ٠
٢٧٧-٢٧٥	أبو بكر (تميم)	قحيلة بنت عبد العزى (حسين)	٢ ١ ١
		أم رومان (عبد شمس)	٢ ١ ١
		أسماه ابنة عميس (خششم)	١ . ٠ ١
		حبيبة ابنة خارجة (خرزج)	١ ١ ٠
٢١٢	أبو جهل بن هشام (مخزروم)	بنت عميير بن معبد (زيارة)	٢ . ٠ ٢
		عاشرة بنت العارث (ميس)	١ . ٠ ١
		أروى بنت أبي اليص (عبد شمس)	٤ ٤ ٠
٣٧٠	أبو الجهم بن حذيفة	أم كلثوم بنت جرَّوك (خزاعة)	١ . ٠ ١
		خولة بنت القمعان (زيارة)	١ . ٠ ١
		أميمة بنت الجنيد (كانة)	١ . ٠ ١
		أم عبدالله بنت العارث (غسان)	٢ . ٠ ٢
		أمهات أولاد	٤ ٠ ٤



رقم الصفقة في النسب	رئيس العائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور ائتمان مجموع
٤٤٣-٤٤٤	أبو همامة بن عبد العزى (فهر)	تاضر بنت أبي عمرو بن عبد مناف	٦ ٣ ٩
٣١٥	(أبو المية بن المنيفة (مخزون))	عاتكة بنت عبد المطلب (هاشم) فتاة من ثقيف عاتكة بنت عامر (كتابة) أم ولد	٢ ١ ٢ . ٢ ١ ١ ٠
١٢٣	أبو سفيان بن حرب (عبد شمس)	صفية بنت أبي العاص (عبد شمس) هند ابنة عتبة (عبد شمس) زيتب بنت نوفل (كتابة) عاتكة بنت أبي أزيم (الأزاد) صفية بنت أبي عمرو (عبد شمس) لبابة بنت أبي العاص (عبد شمس) فتاة من حارث (حارثية)	٢ ٢ ١ ٣ ٢ ٣ ١ ٢ ٢ ١ ٢ ١ ١ ٠
٢٩	علي بن عبد الله بن المباس (هاشم)	العالية بنت عبد الله (هاشم) أم ولد أم ولد أم ولد أم أيها بنت عبد الله ابن جعفر ابن أبي طالب امرأة من بنى العريش أمهات أولاد	١ . ١ ٢ . ٢ . ٥ ٥ ١ ١ ١ ٠ ١٠ ١٠
٤١	علي بن أبي طالب وما يليها	فاطمة بنت محمد خولة بنت جعفر (حنيفة) الصهباء (يقال اسمها أم حبيب) بنت ربيعة من قتلب) أم البنين بنت حرام... بن زهرة الأشع بن دبيبة ليلي بنت مسعود (دارم) أسما ابنة عُمَيْنِس (خشم) أم ولد أم سعيد بنت عروة (ثقيف) أمهات أولاد	٤ ٢ ٢ ١ ٠ ١ ٢ ١ ١ ٤ ٠ ٤ ١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ٢ ٠ ١ ١ ١ ١ ٠

رقم الصفحة في النسب	رئيس العائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور آناث مجموع
٤١١	عمرو بن العاص (سهم)	ريطة بنت منبه (سهم) فتاة من بلي	١ . ١ ١ . ١
١٣٤	عنبرة بن أبي سفيان (عبد شمس)	زيتب بنت المزبير أم ولد	٢ ٢ ١ ١ ٠ ١
٨٠	جعفر بن أبي طالب	أسامة بنت عميس (خشم)	٣ ٠ ٣
٢٤٠-٢٤١	حنزة بن عبد الله بن الزبير (أسد)	هند بنت قطيبة (ذبيان) أم ولد	١ . ١ ١ . ١
١	أم الخطاب بنت شيبة (المترج)	أم الخطاب بنت شيبة (المترج) أم ولد	١ . ١ ١ . ١
١	فاطمة بنت القاسم بنت أبي طالب	(١)	فاطمة بنت القاسم بنت أبي طالب
١٢١-١٢٣	حرب بن لمية (عبد شمس)	صفية بنت حيزن (عامر بن صمعنة)	٣ ٢ ١ ٢ ١ ١ ١ ١ ٠ ٣ ١ ٢
١٥٩-١٦٠	الحكم بن أبي العاص (عبد شمس)	آمنة بن علقة (كتانة) مليكة بنت أوفى (مرية)	٧ ٢ ٥ ٩ ٤ ٥
٦	أم التسعان بنت العارث (ثقيف)	أم التسعان بنت العارث (ثقيف)	٦ ٣ ٢ ٦ ١ ٥
٦	بنت منبه (ثقيف)	بنت منبه (ثقيف)	١ ٠ ١
٢	البيشة بنت هاشم (زهرة)	البيشة بنت هاشم (زهرة)	٢ ٢ ١
٤٤٣	العارض بن فهر	بنت العارث بن مالك بن كناة بنت العارث بن مالك بن النضر ابن كناة	٧ ٢ ٥ ٧ ٢ ٥
٣٩٥	العارض بن مَنْتَر (جنسح)	قُتيلة بنت مظعون (جنسح)	٤ ١ ٢
٣٦٥	العارض بن لَهْرَةَ بن كَلَاب	قُتيلة بنت أبي قيلة لبني بنت أبي سلمة	٢ . ٢ ٢ . ٢

رقم الصفحة في النسب	ربئس العائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور أناث مجموع
٤٦ وما يليها من صفحات	الحسن بن علي؛ بن أبي طالب	خولة بنت منظور. (فنارة) أم بشر بنت عقبة (الأنصار) أمهات أولاد أم اسحاق بنت طلحة (تيم) أمهات أولاد	١ ٠ ١ ٢ ١ ١ ٤ ٠ ٤ ١ ١ ١ ٤ ٤ ٠
١٦-١٥	هاشم بن عبد مناف	سلمى بنت عامر (الغزرج) أميمة بنت آدم (قضاعة) قيلة بنت عامر ويقال لها (البزور) لمعظمها (خراعة) هند بنت عمرو (الغزرج) واقدة بنت أبي عدي أم عدي بنت حبيب (ثقيف)	٢ ١ ١ ١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ٢ ٠ ٢ ٢ ٢ ٠ ١ ١ ٠
٣٠١	مشام بن المفيرة (مخزوم)	بنت عثمان بن عبد الله (مخزوم) أساء بنت مُخْرَبة (دارم) الشفاء بنت خالد (مخزوم) ضباعية بنت عامر (قُشَيْنَر)	١ ٠ ١ ٢ ٠ ٢ ٣ ٠ ٣ ١ ٠ ١
٥٧ وما بعدها	الحسين بن علي	بنت أبي مرّة (سعد) أم ولد امرأة من يكى الرباب بنت امرى والمقيس (كعب) أم اسحاق بنت طلحة (تيم)	١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ١ ٠ ١ ٢ ١ ١ ١ ١ :
١٢٨-١٢٧	مساوية بن أبي سفيان	ميسون بنت بعثدل (كلب؟) فاختة بنت قرطلة (عبد مناف) كتود بنت قرطلة (اخت فاختة) أم ولد	١ ٠ ١ ٢ ١ ١ ١ ١ ٠ ١ ١ :
٢٢-٢١	محمد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)	خديجة بنت خويلد (عبد عزى) مارية زوجاته الأخريات	٦ ٤ ٢ ١ ٠ ١ ٠ ٠ ٠

رقم الصفحة في النسب	رئيس العائلة	الزوجات وامهات الأولاد	ذكور ائذ مجموع
٢٦٥	محمد بن علي بن أبي طالب	أم ولد	٤ . ٤
	جمال بنت قيس (عبد مناف)	١ . ١	٦ . ٤
	الشهياء بنت عبد الرحمن (أسد)	٦ . ٤	٦ . ٢
	مسرعة بنت عبّاد (مازن)	١ . ٠	١ . ١
	أم جعفر بنت محمد... بن أبي طالب	٢ . ٠	٢ . ٢
٢٤٩	مصعب بن الزبير (أسد)	فاطمة بنت عبد الله (أسد)	٢ . ٢
	أم ولد	١ . ١	١ . ٠
	امهات أولاد	٥ . ٥	٥ . ٥
١٧٤-١٧٥	سعيد بن العاص بن أمية	صفية بنت المغيرة (مخزوم)	٥ . ٥
	(عبد شمس)	هند بنت المغيرة (مخزوم)	٣ . ٢
	ام خالد بنت خيثم (بكر)	ام خالد بنت حبيب (بكر)	١ . ١
١٧٦	سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص	أم البنين بنت الحكم (عبد شمس)	٢ . ٢
	(عبد شمس)	أم حبيب بنت حبيب (عدي)	١ . ١
	العالية بنت سلامة (سعده المشيرة)	العالية بنت سلامة (سعده المشيرة)	١ . ١
	امرأة منبني كتابة	امرأة منبني كتابة	١ . ١
	ام عمرو بنت عثمان بن عفان	ام عمرو بنت عثمان بن عفان	٤ . ٢
	ام سلامة بنت حبيب (كلاب)	ام سلامة بنت حبيب (كلاب)	١ . ١
	مريم بنت عثمان بن عفان	مريم بنت عثمان بن عفان	١ . ١
	ام ولد	ام ولد	١ . ١
	ام ولد	ام ولد	٢ . ١
	بنت سلامة بن قيس	بنت سلامة بن قيس	١ . ١
	عاشرة بنت جرير (جبلة)	عاشرة بنت جرير (جبلة)	٢ . ١
	امهات أولاد	امهات أولاد	+٦ +٦ . ٠
٤٠٨	سعيـد بن مـهم (سـهم)	عاتكة بنت عبد المعزى	٧ . ٤
		الخـراـمـيـة	١ . ١
٢٥١	طلحة بن أبي طلحة (عبد الدار)	سلامة الصفرى بنت سعد (أوس)	٤ . ٤
	مريم بنت عبد الله (سعد بن ليث)	١ . ١	١ . ٠



رقم الصفحة في النسب	رئيس المسائلة	الزوجات وأمهات الأولاد	ذكور ائتمان مجموع
٢٨١ وما بعدها	طلحة بن عبد الله (تيم)	حنثة بنت جعشن (أسد) خولة بنت القمعان أم ابانت ابنة عتبة (عبد شمس) الجَرْبَاءُ (طليع) أم كلثوم بنت أبي يكر سُمنَى بنت عوف (مريرة)	٢٠٢
٢٤٨ وما بعدها	عمر بن الخطاب (عدي)	زيتب بنت مظعون (جمع) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت جرول (خزاعة) جميلة بنت ثابت (الأنصار) أم ولد أم ولد عاتكة بنت زيد (عدي) أم حكيم بنت العارث (مخزوم) سعيدة بنت رافع (الأنصار)	٢١١
١٠٤	عثمان بن عفان (عبد شمس)	رقية بنت النبي (عبيدة) فاختة بنت غزوان (شقيق) أم عمرو بنت جندب (ازد) فاطمة بنت الوليد (مخزوم) أم البنين بنت عبيدة (قزاره) رمالة بنت شيبة (عبد شمس) نانة بنت الفراصة	١٠١
١٦٥	الوليد بن عبد الله	أم البنين بنت عبد العزير بن سوان أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان أمهات أولاد	٣١٢

رقم الصفة في النسب	رئيس العائلة	ذكور إناث مجموع	الزوجات وأمهات الأولاد
٢٢٠	الوليد بن المغيرة (مخزوم) ومنا يليها	١ . ١	عصام بنت المعاشر (هلال) حنتمة بنت شيطان (عبد مناة) بنت هلال (عبد شمس) أميمة أو عاتكة بنت حرمة (قسر)
٣٦٣	زيد بن الخطاب (عدي)	١ . ١	لبابة بنت أبي لبابة (أنصار)
٢٢٦ ٣٨٥، ٢٧٦	المزبير بن العوام (أسد)	٤ . ٤ ٢ . ٢ ٢ . ٢ ٢ . ٢ ١ . ١ ١ . ١ ٠ . ٠	عصام بنت أبي بكر الرباب بنت أنيف (كلب) أم خالد بنت خالد (عبد شمس) زيتب بنت بشر (قيس) (أم كلثوم بنت عقبة (عبد شمس) الحلال بنت قيس (أسد) عاتكة بنت زيد

وإذا لم يكن ثمة خطأ فإن أكثر الناس نسلاً فيمن ذكر هو علي بن عبد الله بن عباس إذ كان له (٣٢ ولداً : ٢٢ صبياً و ١١ بنتاً) اتي بعده الحكم بن أبي العاص (٢٢ : ٢٠ + ١٢ بنتاً) ، عبد الرحمن بن المعاشر (٢١ : ١٣ + ١٨) ، علي بن أبي طالب (٢٨ : ١٢ + ١٦) ، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٢٤ : ١٨ + ٦) ، سعيد بن العاص (٢٣ : ٩ + ١٤) ولكن هنا الرقم تاقصي) ، عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٩ : ١٥ + ٤)، عبد المطلب (١٨ : ١٢ + ٦) ، الوليد بن عبد الملك (١٨ : ١٧ + ١) ، عثمان بن عفان (١٧ : ٨ + ٩) ، عبد الله بن عمرو بن عثمان (١٦ : ٧ + ٩) ، أبو سفيان (١٦ : ٨ + ٨) ، عبد الرحمن بن عوف (١٦ : ١٤ + ٢) ، عمر بن الخطاب (١٥ : ١١ + ٤) ، المعاشر بن فهر (١٤ : ٤ + ١٠) الخ

ف الرجل أبىح له أن يمارس تعدد الزوجات في وقت واحد أو بشكل متتابع وأن يحظى من الإمام بالقدر الذي يشاء ، ويكون له ٣٢ ولداً فقط ، لا يدعوا إلى الدهشة بل هو حقيقة معاوضة ، لما كان يتأثر للنيلام الأفتخار ، اذ ما كان لهم أكثر بكثير . فالحكم بن أبي العاص كان له ٢٨ ولداً (١٨ + ١٠) وأربع زوجات فقط (اثنتان منهن تقفيحان) فالأسئلة الكثيرة المسئدة كانت قليلة نسبياً .

ان الجدول السابق يزودنا بمعمرات مهمة وان كانت سلبية حول نسبة الذكور الى الإناث . اول الأمر يبين قليل الاحتمال أن لا يكون عبد الله بن الزبير أية بنت الى جانب

(١٢) صبياً ، ولا عند عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب او عند أبي جهم وكل منهما صبيان ، ولا عند مصعب (الذى له ثمانية ، ولا عند هشام بن المغيرة الذي له سبعة اخ... ولا أن يكون للوليد بن عبد الملك بنت واحدة فقط الى جانب ١٧ صبياً . ان هذه الارقام يجب أن تقبل يكتب من التحفظ العَدْ رواه عبيدة ، ومع ذلك فنعتنا تعرف مكانة الآباء المالية المؤلف واضح الترجمة على الرغبة في استيفاء عدد الأولاد تتفق بنية الأمرة أكثر توائزاً ، ولهذا نجد ذرية الرسول (صيغة) والخلفاء الراشدين تدخل في القاعدة الديمغرافية العامة وهي تنصيب من التوازن بين عدد الأولاد الإناث والذكر ونجد للأمةخمسة الذين قادوا الجماعة الإسلامية ما يلي من الأولاد :

النبي (صيغة)	:	٣ صبيان	+	٤ بنات	=	٧ أولاد
أبو بكر		٣ صبيان	+	٣ بنات	=	٦ أولاد
عمر		١١ صبياً	+	٤ بنات	=	١٥ ولداً
عثمان		٩ صبيان	+	٨ بنات	=	١٧ ولداً
علي		١٢ صبياً	+	١٦ بنتاً	=	٢٨ ولداً

يكون المجموع ٣٨ صبياً + ٣٥ بنتاً = ٧٣ ولداً .

اي ١٠٨ صبياً مقابل ١٠٠ بنت وبذلك نبعد عن النسب المفرطة السالفة وتقترب مما هو متقارب في علم السكان .

وإذا جمعنا الرجال والناساء والأولاد المذكورين في الجدول السابق وأسقطنا من حسابنا الإناء ونسليم ولم نتعرض لذكر النبي (عليه الصلاة والسلام) تكون لدينا النتائج التالية :

لـ ٤٩ رجلاً : ١٨٤ امرأة و ٣١٥ صبياً و ١٤١ بنتاً ، المجموع ٤٥٦ ولداً ، فيكون نصيب كل رجل ٣,٧٥ زوجة و ٦,٤٢ صبياً و ٢,٨٨ بنتاً ، اي ٩,٣٠ ولداً . ونصيب كل امرأة ١,٧١ صبياً و ٧٦ بنتاً ، اي ٢,٤٧ ولداً . ويكون للأسر التي يعيش فيها تعدد الزوجات بشكل واضح ٢٢٢ صبياً مقابل ١٠٠ بنت .

و قبل أن نتناول هذه الأرقام بالمناقشة لن يكون عديم الجسو الإشارة إلى بعض الملاحظات حول هذا الجدول لأنها قد تخمنا فيما يلي :

يعيد كتاب المختصر (من ٣٥٧) أسماء رجال كان عند كل منهم عشر نسوة عندما جاء الإسلام ، وهم كلهم من ثقيف . ويبعد أن هنا العدل لم نجده عند قريش ، وفي وجهة النظر هذه لا يقتضي كتاب تسميات مقيمة ، والأفضل في هذا الشأن أن نلجم على تصفيح كتب الطبقات أو كتب تراجم الصحابة مثل الاصابة (السامي رقم ٧٠١) اذ يروي أن صفوان بن أمية كان له ستة زوجات خضع للأوامر القرآنية فطلق أولها ثم وهب بنت

أبي أمية وكانت قد أستثت ثم « فرق الاسلام بينه وبين فاختة بنت الأسود وكان أبوه تزوجها فخلف هو عليها » ولا بد أنها آمنت فيما بعد ، ومثل هذه الروايات متعدد وربما من المهم دراستها .

في مقابل ذلك نعرف أن بعض المسلمين كانوا يرغبون في التبليغ والعزوبة الارادية ، وقد قاوم النبي (ص) هذه الرغبة فيهم . مثلاً عثمان بن مظعون (نسب قريش ، ص ٣٩٣) ظهر مثل هذا الميل في أواسط آخرى ولم يرض الدين عنه اذ يفضى الى تناقض المجتمع وتغيير (لم يعقب) الذي يلي بعض الأسماء يتضمن في بعض الحالات على الاقلل لوثان من ايمانه العزوبة او الايولية . يتعليق ذلك على ورقة بن نوفل (نسب قريش ، ص ٢٠٧) وسلوكه حتى قبل الاسلام اذ ورد في النسب : « فاما ورقة بن نوفل فلم يعقب وكان قد كره عبادة الاوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب » .

وإذا اعتمدنا كتاب نسب قريش رأينا أن تعدد الزوجات في وقت واحد أو في أوقات متتابعة لم يكن منتشرًا بالشكل الذي توحي به البداوى السابقة بل ان كثيراً من الأسر كان الزواج فيها قائماً على وحدانية الزوجة ، وذلك بحسب حال الزوج وجبه لزوجته أو لظروف خاصة أو بسبب موت مبكر ، كما كانت الحال مع عبدالله بن عبدالمطلب الذي لم يكن له سوى زوجة واحدة هي أمينة بنت وهب وولده واحد هو النبي (ص) (نسب قريش ص ٢) . نذكر أيضاً حالة أبي همامة واسمه عمرو بن عبدالعزيز كانت له زوجة واحدة ولدت له تسعة أولاد ، وجرت أمرته على وحدانية الزوجة الواحدة (نسب قريش ، ص ٤٤٣) كما هو مبين في الجدول التالي :

الزوج	الزوجة	ذكر	أنثى	مجموع
وديمة بن الماراث بن فهر	عميرة بنت الأحرم	٤	٠	٤
عميرة بن وديمة	عميرة بنت عوف	٥	١	٦
عامرة بن عميرة	هند بنت عبدالله	٨	٠	٨
عبدالعزيز بن عامرة	قلابة بنت عبد مناف	٤	٠	٤
أبو همامة	تماضر	٦	٣	٩

(جملة الأبناء ٣١ بينهم ٤ إناث فقط !)

فشخص مثل عبدالله بن عباس لم يتزوج سوى امرأة واحدة (نسب قريش ، ص ٢٨) . ولدت له ٧ أولاد يبدو مثلاً مميزاً في اتجاه المسلمين الاتقياء الذين يعتبرون تعدد الزوجات من آثار الجاهلية .

ولكن حتى قيل الاسلام لم يكن لبعض النبلاء البارزين سوى زوجة واحدة او زوجتين كالحارث بن فهر الذي كان له ١٤ ولداً من زوجتيهن فقط . ثم هنالك حالات لا يمكن اياضها اذ يتعذر معرفة عدد الزوجات في وقت واحد عند المتزوجين من

أكثر من واحدة مثل : عبد الرحمن بن عوف (١٢ زواجاً) ، سعيد بن العاص (٩ عقود زواج) ، أبو سفيان والخلفاء عمر وثمان وعلي (سبعة) . وأغلب الفتن إن كل واحد منهم كان عنده ٤ زوجات ياستمرار ولكتسالاً تعرف الأمور بدقّة ووضوح بل ان المعلومات غير كافية في هذا المجال الا حين تكون الزوجتان اختين في زمرين مختلفين (عبد الله بن جعفر ، عبد الله بن الزبير ، أبو سفيان ، معاوية . الخ) وسترى أن لهذه المسألة أهمية تعيّن على حل بعض المشكلات .

دور الاماء يجب ان يكون موضوع بحث وتمعيص ايضاً ، فهو يذكرنا احياناً باسمهن ولكن في اغلب الاحيان يكن مغفلات الاسماء وعلى العموم لا يقدّرن حقاً قدرهن الا اذا صرّن آمنهات أولاد . نضرب مثلاً على حب الاماء ، على بن عبد الله بن عباس فقد خرج على عرف أبيه فولد له ١٠ صبيان و ١٠ بنات من آمنه ، وعبدالملك ولدت له اماهه ١٤ طفلاً ذكراً ، الخ ... يوجد هنا عامل زيادة السكان الذي ينبغي ان يوضع في الحسبان لو كانت المعلومات المتوفّرة أكثر دقة .

ومن جهة أخرى، وبالرغم من بعض القووض الذي نجده في كتاب تسب قريش، فإنَّه يقدم لنا جنداً من أنساب جده مقيدة يمكن أن تُقارب وتزودنا بدلالات سمينة عن بنية بعض الأسر النبيلة، وعن اختيار القرىن أو التقبينة^(١٠) وعن المدد النسبي للإمام، وعن مصير الأ Ramirez أو الملقيات^(١١) وضريباً للمثل جمعنا في الجدول التالي الدلالات التي نملكتها عن أمراً أحد السادة المتبلغ المخصوصين وهو عبد الرحمن^(١٢) بن الخطاب بن هشام بن المنيرة (المخزومي) (تسب قريش ، صفحه ٣٠٣) :

الزوجات	الأولاد	مناكيح الأولاد
فاختة	أبو بكر	
	عمر	
	عثمان	
	عكرمة	
	خالد	
	محمد	
	حنقة	
	أم حمير	عبد الله بن الزبير
أم حكيم	1 - عبد الله بن معاوية (عبد شمس) 2 - الوليد بن عتبة (عبد شمس)	
	2 - العمارث بن عبد الله (مخروم)	
سودة	1 - هشام بن الماس (مخروم) 2 - الأزرق الهمبرزي (مخروم)	
رملة	يعيى بن طلحة بن عبد الله (تيم) 1 - محمد بن اسماعيل (مخروم) 2 - عبد الحميد بن عبد الله (مخروم)	

الزوجات	الأولاد	مناكيح الأولاد
أم حسن	عباش عاتكة	عبد الله بن عبد الله بن أمية (مخزوم) عبد الله بن عمرو بن عثمان
أم شمس	أسماء عائشة	١ - معاوية بن أبي سفيان ٢ - عبدالله بن أبي عمرو (مخزوم) ٣ - عباد بن عبد الله بن الزبير
أم سعيد	أم كلثوم أم الزبير	ابان بن عثمان بن عفان (عبد شمس) أبو بكر بن عبد الله بن عمر (عدي) هاشم بن عبدالله بن الزبير
سندى	المقدمة (١٤) زيتب (١٤)	١ - ابان بن مروان بن الحكم ٢ - يعيبي بن الحكم (عبد شمس) عبد الله بن الزبير عباد بن عبدالله بن الزبير المهاجر بن خالد (مخزوم)
أم رسن	السيد الوليد	أم سلمة أم سعيد بن العاص (عبد شمس) الازرق الهرizi (مخزوم) صصب بن عبدالله (مخزوم)
مريم امهات اولاد	مريم سلمة عبد الله هشام	بقيت عازبة

ندع للقارئ مهمة شرح هذا الجدول ليتمدّد مرة جديدة الى معدل الولادات ان الأرقام الحزئية التي حصلنا عليها اثناء ابعاثنا عن خصب النساء هي التالية :

٧٠٠ امرأة ولد لهن ١٢٢٧ صبيا (١,٨٩ + ٣٩٩) = ١٢٢٦ بنتا (٠,٥٧ = ٢,٤٦)

٥٠ امرأة شديدة الخصب ولد لهن ٢٢٣ صبيا (٤,٤٦ + ١١٧) = ١١٢ بنتا (٢,٣٤ = ٣٤٠)

٢٧ امرأة تتزوجن عدة مرات ولد لهن ٦٧ صبيا (٢,٤٨ + ٣٥) = ٣٥ بنتا (١,٢٩ = ٣,٧٧ = ١٠٢)

٤٨٤ من نساء ازواج متعدد الزوجات ولد لهن ٣١٥ صبيا (١,٧١ + ١٤١) = ١٤١ بنتا (٢,٤٧ = ٤٥٦ = ٠,٧٦)



ف تكون النسب المئوية للصبيان الى البنات هي على التوالي :

١٠٠/٣٣٢ ١٠٠/١٩٠ ١٠٠/١٧٧ ١٠٠/٢٢٣

ومع ذلك رأينا أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والخلفاء الراشدين الأربع كان لهم ٣٨ صبياً مقابل ٣٥ بنتاً، أي ١٠٠/١٠٨ ، تلك الأرقام السالفة اذن أمر فيه نظر ٠

وبالاعتماد على نتائج هذا الجرد نجد ان خصب ٧٠٠ امرأة وخصب ١٨٤ المتزوجات مرة او عدة مرات ، هو واحد في العالتين أي ٢,٥ تقريرياً ولكن نسبة الصبيان الى البنات تزيد حتى اتها تضاعفت وستنحى عن نقوم بالاستدلال التالي :

كانت الأرقام المتعلقة بالمواليد الذكور تشف عن الواقع تقريرياً ، ولما كنا نعرف من جهة أخرى أن عدد الإناث في المجتمعات ينماز عدد الذكور ، لزم أن ٢٠٠ الامرأة لم تلد ٣٩٩ اثني فقط بل على الأقل ١٣٠٠ بنت وهذا يقضى الى خصب الأنثوي يعادل ٣,٧٥ ، وهي نسبة قريبة من تلك التي حصلنا عليها من احصاء أولاد النساء اللواتي تزوجن عدة مرات أي ٣,٧٧ ٠

ومع ذلك فان مثل هذا الاستدلال قد يؤدي بنا الى نتائج خاطئة اذ لا شيء يثبت لنا أن المعدل الناقص من البنات ولديهن امهات غير مذكورات في تسع قریش ٠

لتحتفظ الان مؤقتاً بالرقم الوسطي ٢,٥ ولتر اذا كان بالامكان اكتشاف طريقة للحساب في المجتمعات التي يوجد فيها أحوال مدنية وتضدادات احصائية يكون العساب سهلاً اذ يكفي ان تحسب في سنة مسمأة مجموع المواليد وتقسمها على عدد السكان لنعرف معدل المواليد ٠

ثم ان نسبة الزيادة تحصل عليها بعملية سهلة :
 المواليد - الوفيات ± المهاجرين في اتجاهين .
 وكل ذلك مقسوم على عدد السكان ٠

ولما كان لا نعرف للقرشين في عهد النبي لا المعدل السنوي للمواليد ولا للوفيات ولا عدد السكان فانها مخاطرة ان نحسب نسبة المواليد او الزيادة ومع ذلك فليس العساب بالمستعين ٠

وفي الواقع اذا عرفناكم طفلاً ولد وسطياً في كل امرة ، اي اذا عرفنا المعدل الوسطي لخصب الرجال والنساء امكن ان نكتفي بتقسيم هذا الرقم على المدة المتوسطة للعمر اي الأجل المترسم ، ونضرب الماصل بـ ١٠٠ لتحصل على المعدل السنوي للمواليد بالنسبة للأمر . واذا قسمته على ٢ . اذ ثمة اbowan (أم وأب) تحصل على المعدل الوسطي للمواليد في مجتمع معين ٠



لنفرض أن كل أسرة عندها خمسة أولاد ، وان المدة المتوسطة للعمر ٥٠ عاماً فيكون

$$\text{معدل المواليد السنوي} = \frac{100 \times 5}{2 \times 50} = \frac{100 \times 5}{50} \% \text{ في ذلك المجتمع المعاين .}$$

لكي نحسب بعد ذلك معدل الزيادة (دون أن نحصي المهاجرين الذين لا يدخلون على أية حال في القبائل العربية الا بصفة رقيق أو موالي) يكفي أن نطرح الرقم (٢) من عدد الأولاد (أي حذف الأبوين) في المثل السابق فتكون الزيادة الكلية (١٥) في المدة المتوسطة

$$\text{للعمر} = \frac{100 \times (2-5)}{50} \% \text{ في المئة والمعدل السنوي هو } \frac{100}{2} \% = 50 \% .$$

وبالجملة فإن هذين المعدلين يطابقان تماماً الصيغتين :

$$\text{معدل المواليد السنوي} = \frac{100}{2} \% .$$

د عدّد الأولاد و ت مدة التعمير المتوسطة او الأجل المتوسط .

$$\text{المدة الكلية} = \frac{100}{2} \% .$$

ان الاستدلال السابق نافع في مجتمع يسود فيه الزواج من زوجة واحدة . أما مع تعدد الزوجات فالمشكلة تتعقد الى حد بعيد بالاضافة الى أن مدة التعمير المتوسطة أو الأجل المتوسط في ذلك الوقت عند العرب غير معروفة مطلقاً ، لنتعتبر أنه كان ٤٠ سنة (١٦) وهو من باب الفرض .

ومع أن العمر الوسطي للزواج الأول و مدة التصب لم تدخل في العساب فلا يجوز أن نقللها تماماً لأنهما يتبعان فهم الفروق التي ستجدها .

إن أصل اوركتاب التراجم على أن عائشة كانت في السادسة من عمرها عندما عقد عليها الرسول ، وفي التاسعة متى تزوجها ثبت أن أمثال هذه الزوج المبكر كان أمراً وارداً . عمر الفتاة اذن عند الزواج الأول ١٢ ، ١٣ عاماً ، وعمر الفتى ١٥ ، ١٦ عمر ان مالوفان طبيعيان في ذلك الوقت .

و مدة التصب عند النساء في بعض الحالات تتجاوز بالتأكيد ٣٠ سنة . فخذلجة بنت خوبيل كانت تقارب الخمسين حين ولدت للرسول بنتها (رقية) (نسب قريش، ص ٢١٠) . وفاطمة بنت أسد بن هاشم (نسب قريش، ص ٣٩-٤٠) تزوجت ابا طالب وولدت هنا بنتين أربعة صبيان في مدة عشر سنوات بين الولادات . وذلك يشير الى أن مدة خصيتها جاوزت ٣٠ سنة قمرية .

لا نمتلك معلومات أخرى من هذا النوع ولكن الخصب لا يعني بالضرورة ولادة، وربما كان معظم النساء ينهازن الأربعين . وفي أفضل الفروض يمكن تحديد مدة الخصب عند النساء حوالي ٢٥-٢٠ على الأقل ، وقد يمكن تقسيمها إلى ١٥-١٠ في معظم الحالات ، ولكن بسبب تعدد الزواج المتتابع يظل الرجال مخصوصين مدة طويلة قد تبلغ ٤٠ سنة ، ولكن يجب أن ننتبه هذه الفترة إلى ٢٥ سنة إذا فكرنا في الوفيات المبكرة والحوادث والغروب ، وتكون أطول من مدة خصب النساء بما يقدر بـ ١,٧ مرة .

ولما كان الأمر كذلك فاني حاولت ان آبعد من ذهني هذه المشكلة التي تطربها (الإناث) مقرراً ألا أؤسس حساباتي الا على الذكور قائلاً لنفسي انه يمكن بعد ذلك مطابقة الأرقام المتصلة .

اذا سلمنا بأنه ولد ١,٩٠ صبياً لكل امرأة خلال ٤٠ سنة يكون معدل المواليد

$$1,90 \times 100$$

المذكور يساوي $\frac{4,25}{40}$ = ٤٤,٢٥٪ بالنسبة الى النساء . ان احصاء ابناء ٣٥٠

$$2,36 \times 100$$

رجالاً كان حاصله ١١٧٨ صبياً بمعدل ٣,٣٦ ومعدل مواليد سنوي يبلغ $\frac{40}{4,25}$

= ٤٪ بالنسبة الى الرجال . الفرق سببه تعدد الزوجات . وإذا تذكّرنا أن ٧٠٠ امرأة ولدن ١٣٢٧ صبياً بينما ٣٥٠ رجالاً كان لهم ١١٧٨ تحقّقنا أن لولادة ١٠٠٠ مولود صبي يلزم ٥٢٧ امرأة و ٢٩٧ رجالاً وهذا يدل على :

١ - أن كل قرضي كان له وسطياً ١,٧٧ امرأة . وهو رقم معقول يطابق فرضاً نسبة مدة خصب الرجال الى مدة خصب النساء تقريرياً :

$$40$$

$\frac{1,77}{22,5}$ = ١,٧٧ وهذه نتيجة ذات أهمية بالنسبة الى بقية العساب .

ب - اذا كان ٥٢٧ من النساء و ٢٩٧ من الرجال ، أي ما مجموعه ٨٢٤ شخصاً ولدوا ١٠٠٠ صبي في مدة تعميرهم (التي نفرضها هنا للجنسين ٤٠ سنة) فمعنى ذلك أنه يولد سنوياً :

$$100 \times 1000$$

$\frac{40 \times 824}{40 \times 824}$ = ٤٪ تقريراً من الذكور في مجموع السكان . ونلاحظ أنه

يوجد في الحساب رقم واحد اخذناه تسعنا واعتباطه هو مدة الأجل المتوسط التي يمكن أن نجده لمعرفتها بدقة بمزيد من الأبحاث .

وإذا استطعنا الآن أن نحصل على أرقام أكثر يقيناً عن المواليد البنات يمكن أن نتقدم
شوطاً لا يأس به .

حتى لو أدخلنا في اعتبارنا الزواج من خارج القبيلة وهو ما كان يقوم به بعض
الرجال فإن من المؤكد أن عدد النساء أكثر من الرجال وتعدد الزوجات المحتالى يتبع للرجال
أن يتزوجوا من جيلين من النساء (إذا لم يكن من أكثر) إلى جانب التسرى^(٧) وربما كان
من المناسب أن ننخل في الحساب مدة الخصب النسبية عند الرجال والنساء ، ولكن يكون
الأمر أبسط إذا زدنا بحيطة معدل الخصب فجعلناها للنساء ٣,١ وللرجال ٥,٥

$$\frac{5,5}{3,1} = 1,77$$

$$3,1 \times 100$$

ويكون معدل المواليد المتوسط السنوي للنساء فقط = $\frac{5,5}{40} = 13,75\%$

$$5,5 \times 100$$

ويكون للرجال فقط = $\frac{3,1}{40} = 7,75\%$

ولكن من المناسب أن نحسب ذلك في مجموع السكان بواسطة الصيغة التالية :
 $x = \text{الخصب}$ $y = \text{عدد الزوجات}$ $m = \text{معدل المواليد}$ $t = \text{الأجل المتوسط}$
إذا اطلقتنا من النساء يكون لدينا :

$$\frac{x}{t(1+\frac{y}{x})} = m$$

وإذا اطلقتنا من الرجال يكون لدينا :

$$\frac{x}{t(1+\frac{y}{x})} = m$$

$$3,1 \times 100$$

في المحلة الأولى $\frac{5,5}{1,5 \times 40} = 0,5\%$ تقريباً ($y = 1,77$)

$$5,5 \times 100$$

وفي المحلة الثانية $\frac{3,1}{2,77 \times 40} = 0,5\%$ تقريباً .

وهكذا يكون معدل المواليد ٥٪ وهو معدل مقبول وطبيعي ، وإذا أردنا الآن أن نقدر

الزيادة السنوية لقريش لا تطبق الصيغة العسابية التي استخلصناها آنفاً لمحض وحداني الزوج والزوجة وهي :

(د - ٢٠) ١٠٠

$\times 2$

ولتكن نستطيع أن نستبدل بالرقم ٢ المقصوس (١ + ع) حيث ع هنا تدل على عدد الأزواج أن لعمرتنا على ذرية المرأة الواحدة التي تزوجت عدة مرات إلا أن هذا التبديل لن يكون ذاته كبيرة . نؤثر أن نستدلي النساء اللواتي كان أزواجهن متعددي الزوجات وهو المثائق فتصبح الصيغة للزيادة السنوية :

١

[١ + (١ - د)] ١٠٠

ع

١

(١ + ١ -) ع

ع

وتطبيق هذه الصيغة على الأرقام المقترحة آنفاً يتيح قبول معدل سنوي للزيادة يتألف من ٥٢,٥٪ إن كانت تتساوى ٤٠ سنة .

يتعصل مما أسلفنا أن القرشيين كانوا يزدادون زيادة منتقطة على وجه العموم . ومن المؤكد أن العديد من الأئم عنفوا زيادة أكبر بكثير ولا سيما الطالبيون والمباسرون الذين وصل عددهم إلى ٣٣٠٠ في زمن المؤمنون . وعلى أية حال فإن الرقم $\frac{2}{2,5}$ يبدو حداً أدنى لأن الأرقام المتعلقة بالولادة تستحق أن تزداد في حين أن مدة تعبير الفرد المتوسط ، أي الأجل المتوسط ، لا بد أن تكون أقل وسطياً من ٤٠ سنة .

ومع أن كل ما تقدم ليس الا من باب الفرض ، وأن الأرقام أخذت اعتباطاً لدخل تمدد الزوجات في العسبان من جهة وعدد البنات المقصوس من جهة أخرى فإن التجربة لم تكن عبئاً لأننا نعرف الآن أنه ليس مستحيلاً معرفة المعدل الوسطي للزوجات القرشيين ومعدل الصبيان الذين ولدتهم ، والنتائج الرقمية تؤكّد كما يبدو أساساً جيداً للانطلاق . ثم أن كاتباً مثل نسيقيريش يزودنا بمعلومات اجتماعية مهما تكون دقتها فهي ذات نفع في موضوع تعدد الزوجات أو إعادة تزوج الأرامل والطلقات . ولعل تفصيلاً أكثر منهجة يكون ذا فائدة علمية .

فإذا أردنا الاعتساد على علم السكان الحديث لزم فرز أسماء جميع الرجال وأسماء نسائهم (إذا كانوا متزوجين) وأولادهم ثم أسماء جميع النساء وأسماء أزواجهن وذرياتهن وأن نصنع بعد ذلك بيسولاً يعتمد على معاشر آخر متعددة ، ثم نعاود العساب مستندين إلى أرقام أكثر دقة وإنذلك يمكن أن ثبت أن الدراسات المديفرافية التاريخية الجدية نسبياً والمديدة يمكن أن يكون أساسها نصوصاً قديمة ليست بدرجة الدقة وال الموضوع فيها مائتاً يتصدر تجاوزه وتلاليه .

□ الحواشى :

- ١ - جاء في النسب : « وكان تكاماً تنكحة الجاهلية فانزل الله حرمته : (ولا تنكروا ما تكع آباءكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاختة ومتنا وسأه سيلما) سورة النساء - ٢١ المترجمة .
- ٢ - كان العسن بن العصن خطب الى عمه العصين بن علي فقال له العصين : يا ابن أخي الله انتظر هذا شنك انطلق مني فخرج به حتى دخله داره ثم اخرج اليه بيته فلما سكنته ملقطة (القرن) العسن لفما هضرت العسن الوفاة قال لفاطمة : « انك امرأة مرفوضة ليك ! فلما يبعد الله عن عروه بن عثمان اذا خرج بيتنازني قد جاء على فرس مرجل جمته لاسا حلته يسمى في جانب الناس يتعرض لك فانك من شئت سواه : فاني لا ادع من الدنيا ووارثي هما غيرك » قال له : « انت امن من ذلك » واللبيه يلام من المتق والصلوة لا تزوجهته . ومات العسن بن العصن وخرج بيتنازني فوافاه عبد الله بن ععرو في الحال التي وصف العسن وكان يقال له المطرد من مسكنه فلما هضر الى مقاطعة حامزة تضرب وجهها فارسل لها : « ان لنا في وجهك (حاجة) فاقفي (يه) ! » فاسترخت يدها وغرف ذلك فيها وخترت وجهها فارسل لها بخطتها قالت : كيف يميتنى التي حلقت بها ؟ فارسل لها : « لك مكان كل مملوكه مملوكان ومكان كل شيء شيئاً ، فلوضها عن يمينها فنكحته » النسب ص ٥١ - ٥٢ - مترجمة .
- ٣ - كرر المؤذن هذا الاسم مرتين - المترجمة .
- ٤ - في الخبر تزوجت اسماه اولاً جعفر بن أبي طالب ثم اباياكر ثم علي - المترجمة .
- ٥ - كانت عاتكة هذه عند عبد الله بن أبي بكر وكان معجبابها وكان قد شفقت عن ابيه فامر ابوه بطلقوها ثم اتبعتها نفسها فقال :

ولم اد مثلث طلاق العام مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق

قال أبوه : ارجعها لما رأى هواء فيها وفيها يقول ايضاً :

يقولون : طلقها واصبج مكانتها مقيمها تمني النفس احلام نائم

وان فرالي اهل بيت معمتهم على كبر متى لاحدى العظام

اراثي واهلي كالجبوں تروحت الى يومها قبيل المشار الرواتم

ومات عنها عبد الله اصابه منهم يوم الطائف وهو مع رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم هات من بالدينية فقالت عاتكة تبكيه :

والسمت لانفك هيئي حزينة عليك ولا ينسك جلسي افبرا

لم تزوجت عمر بن الخطاب للدخل على بن أبي طالب فييتها فقال لعمرو وعاتكة في خبرها :

اتاذن لي ان ادخل راسي على عاتكة لاكلمها بعاجة لي ؟ قال نعم . فادخل راسه عليها فاشدتها الولها فبكت فقال عمر : ما لها ولد اساك باقة الا كفت .

لم قتل عنها عمر بن الخطاب فتزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها فيكته وقالت :

صلدر ابن جرسود يفارس بنهمه يوم اللقاء وكان غصي مصرد

يا همسرو ولو نبهت لوجتنته لا طائشا رعش السنان ولا اليسد

نه دره ان قلتست مسلما وجبت عليك مقصوية التهمد

٦ - اذا استعمال الوصول الى ارقام اكيدة فاننا على الاقل نستخلص من كتاب تسب قريش بعض المعلومات الاجتماعية ، ونكتفي بالاشارة اليها عوضا :

من عديد من الحالات قبل الاسلام تتزوج المرأة على التوالى الاب ثم الابناء :

والدة بنت ابي عبي (من ١٥ في النسب) تزوجت عبد مناف + هاشم بن عبد مناف .

حياة بنت جابر (من ٣٦ في النسب) تزوجت نقييل بن عبد العزى (ولدت له صبيان) + عمرو بن نقييل (ولدت له صبيانا واحد) .

امينة بنت ابیان (من ٩٩ في النسب) تزوجت امية بن عبدشمس (ولدت له صبيان و ٣ بنات) + ابا عمرو بن امية (صبي واحد) .

ولكن مصعبيا يشير الى ان هذا حرم الاسلام بالآية الواردۃ في القرآن (٤ ، ٢١ سورة النساء) وليس نادرا زواج امرأة من اخرين او للافقة على التوالى

أسماء بنت طعيبة (من ٣١٨ من النسب) تزوجت هشام بن المغيرة + ابا ربيعة بن المفہة .

التكاملة بنت زياد (المخبر من ٤٤٥) تزوجت عتبة + زيد + عثمان اولاد زيد بن معاوية .

ان السهولة التي كان يتم بها الطلاق والافس الذي يشرعيه المطلقون والمطلقات يدعى لهم الى المراجعة والمسؤولية الى زواجهم أنفسهم خذ مثلا سمية بنت محمد وكذلك ام يعني التي تزوجت لاث مرات من ابن عم لها هو الحكم بين يعني بن عروة - المؤلف .

٧ - مهد الله بن عمار بن كريز : استعمله عثمان على البصرة عن ابي موسى الاشعري فقال ابي موسى : قد اتاكتم فتنى من قريش كريم الامهات والعمات والغالات ... وكان كثير المناقب وافتتح خراسان وقتل يزار جارود في ولادته وأحرم من تسبيبو شكر الله وهو الذي عمل المسماة بغيره ويفسّل عنه ابي الشني بن عبي وهو صهر فقال : هذا يسبّها وجعل بن عبي يتعلّق عليه ويعوه فجعل عبد الله سوخ ريق الشني فقال بن عبي : انه المسكي . وكان لا يعلم ارضا اظهرا له فيها امام . وله الشياح (قال ياقوت استشهد ماه وشقق عليه عيونا وغرس نخلا) وهو مكان قربون الدهل وستان ابن عامر ينتمي لازداد معاوية ان يصطفى امواله فقال ابى عامر : قال رسول الله بن عبي من قتل عمه فهو شهيد وان لاقاته حتى القتل دون مالي . فاضطر عنه معاوية تزوجه ابنته هدا بنت معاوية وكانت ابنة بنت معاوية وبه وجاهته يوما بالراية والمشط وكانت تتولى خدمتها ينفسها فلترث في المراة فالتفى وجهه ووجهها فرأى شبابها وجمالها ورأى الشيب في لحيته قد لعنه بالشيخوخ فرُفع راسه إليها فقال : العقى يا بيك . فانطلقت حتى دخلت على ابيها فأخبرته فقال : وهل تطلق العرة ؟ قالت ما اتي من قبلني واخبرته الغير فأرسل إليه . فقال : اكرمنك يا بنتي فرددتها على فقال : اخرجه عن ذلك : ان الله من على يفضله وخلفته كيمالا احب ان يتفضل على احدى وان ابنته اعتبرتني مكالاتها بعض صحبتها لي فنظرت فإذا انا شيخ وهي شابة لا ازيدها مالا الى مالها ولا شرفها الى شرفها فربت ان ادتها اليك تزوجها فتنى من لذياتك كان وجهه ورقة مصنوع . (من ١٤٨ - ١٤٩ النسب) - المترجمة .

٨ - ذكر ان عثمان بن عفان وهو خليفة من مجلس لبني مغزوم فوق قسلم عليهم لم قال : انه ليجيئني ما ارى من جمالكم ونسمة انة عليكم او قال له بضمهم : « لا تزوج بعضاها يا امير المؤمنين » فنظر الى عبد الرحمن بن العارض وهو منهون فقال : « ان شاء الله (واحد الى عبد الرحمن بن العارض) زوجته فقال عبد الرحمن : « فاني اشاء » فزوجه مريم بنت عثمان بن عفان (من ٣٠٨ و من ١١١ و من ١١٢ من النسب) - المترجمة .

٩ - الاصح الننان وهذا ابوبكر ويعنى (النسب من ٢٤١) - المترجمة .

١٠ - هل كان زواج القراءة سائدا ؟ وهل تزوج بعض القرشيين بنات اعمامه او عماته او بنات اخيه او اخته . وهل كان الزواج من خارج القبيلة معروفا اذ ان الزواج من البيوبيات لم يكن امرا نادرا . انتظرا العداوين التي يشار فيها الى اصل القراء او قبيلته - المؤلف .



١١- ثمة نوع من الدوران يتم في مجتمع ما فالى جانب تعدد الزوجات يوجد بالنسبة للنساء تعدد ازواج متتابع - المؤلف .

١٢- قوله العارث بن هشام : عبد الرحمن وهو الشريد ، اتى به من الشام يفاجئه بنت عتبة بن سهيل بن مسرو ابن عبد شمس ... ولم يكن يقى من ولد سهيل بن عمرو وهو فضاله عمر بن الخطاب « الشريدين » وقال : زوجوا الشريد من الشريدة لعل انه ان يتشرى منها خيرا ، فزوج عبد الرحمن بن العارث فاختة والدهمها عمر بن الخطاب بالمدينة خطة فاوسمها لها فتيل : الاكثر لها يا امير المؤمنين قال : عسى انه ان يتشرى منها ولدا كلها رجالا ونساء .
نسب قريش ص ٣٠٣) - المترجمة .

١٣- وزعموا ان قوما قدموا يذكرون الانفاس من قريش فقال احدهم : المفيرة بن عبد الرحمن . فقال له القوم : وهل المفيرة من مال ؟ فقال الرجل : ليس له اربع بنات واربع اخوات ، وكان المفيرة يقول : لا ازوج كفتوا الا بالفتىات !
فكان اذا خطب اليه الكفتال له : قد علمت قولي ؟ فيقول له الخطاب : قد علمت وقد احضرت المال فيزوجه ويطلب المال منه لم يقول له : اختم عليه بعثاتك فإذا دخل زوجته يلدهما يجهزها بما يصلحها ويتذكرها خادمين ويندخل بيتها تقعة سنة ، دفع اليها صداقها مقتوما ياخذ زوجها ثم يقول لها : هذا مالك و Magezat ياه بصلة منا لك و زوجك اولى بك منا اليوم فاحسني ما يبيتك وبيتهه ثم سلم عليهما وبرعهما ويقول لها : انا لن ربتينى الا في احد امررين : اما مزيدا لك واما نالتك من بيته طلاقة او بيتة .
نسب قريش ص ٣٠٩ - ٣١٠) - المترجمة .

١٤- زبيب بنت عبد الرحمن هي التي يقول فيها (زوجها المفيرة يعني بن الحكم) : كعكتان وزيكب - وذلك ان عبد الملك بن مروان بنت المفيرة بن عبد الرحمن ان يقدم عليه قسم المفيرة ابلاه وبها يعني بن الحكم خطب الى المفيرة زبيب بنت عبد الرحمن وهي اخت المفيرة ابلاه وابيه وجعل لاريدين الف بيتار زوجة ابلاها وكان عبد الملك بن مروان حين بنت المفيرة ابلاه اراد ان يزوجه زبيبها منه ولم اعلم ان ذلك خطب اليه زبيب فقال له المفيرة : مورت يمك يعني بن الحكم خطبها الى زوجتها منه ولم اعلم ان ذلك خطب اليه فقضب عبد الملك على عمه واخذه كل شيء .
له فقال يعني بن الحكم : كعكتان وزيكب . يقول : لا ابالي اذا وجدت كعكتان اكلها وكانت طفلة زبيب . وكانت زبيب تسمى من حصنها « الموصولة » لأن كل ارب (حضو) منها كانتها حسنه خطفه ثم وصل الى الرب الضر .
نسب قريش ص ٣٠٧) - المترجمة .

١٥- الزيادة الكلية : يصف المؤلف هذه الزيادة بالكلية على حين تدعى في علم السكان بالزيادة الطبيعية فإذا اضيف اليها صالح الهرة مدعيت بالزيادة العامة . - المترجمة .

١٦- سن الأربعين هو سن النضج .

١٧- لا تستطيع ان تعدل النساء الاماء الذي يشكل زيادة صافية على السكان القوشين لاهم لا يدخلون ضمن القبيلة (ولا في الشعب العربي يشكل عام) وان ابا اولاد الاماء يكون له زوجة شرعية واحدة على الاقل .
ومؤلف نسب قريش مصعب يزروتنا غالبا بالتفصيلات الضرورية ولكنه يكتفى في كثير من الحالات بالقول ان هؤلاء الاولاد من قريش كانت امهات الاولاد وبعض الارقام هنا تكون دون فائدة : ٧٤ امه اعطن اسيادها ولها منهم ٤٩ ذكورا و٢٧ اثريا (٣٧) مم يكزن لهم سوى صبي واحد ، ٩ مم يكزن لهم سوى بنت واحدة ولكن ادعاهم كان لها ٤ صبيان وآخرى ٦ صبيان والثالثان لهم ٣ صبيان وواحدة اخيرة كان لها ٣ صبيان وبنت . فإذا اخذنا هذه الارقام المذكورة يمكن محضن القصب عند مؤلاء الاماء قريب من ١٦٠ لتقترن انه ١٦٥٠ ذكور و٢٥٠ اثريا (١١٠٠٠٠٠)
هذا يبيهو بعد الاعتماد مع ان موقف الرجال امام اسلائهم يختلف من موقعهم تجاه تسالمهم ، وان مولد بنت لهم منهن يكون ملحة لا البتداء تهاليا علهم .

الْخَيْلُ

فِي شِعْرٍ تَغْلِبُ

« فِي الْمَهْرَبِ الْمَاهِيَّةِ »

علي أبو زيد

اذا كان العربي بحاجة الى الكل و الماء ، يسعى و راهنها ، يطوي البيد طيا ، فان حاجته الى الخيل لم تكن باقل من ذلك ، فهي عداد حياته ، ليس للتنقل فحسب ، فهله غاية قامت الا بل مقامها في الغالب ، وانما لشن الغارة ، ورد العذوان ، ولعمري فان هذه عندهم غاية تضارع حاجتهم الى الماء والمرمى ، ففي كلا الامرين الحياة ٠

ومن هنا كان اهتمام العرب بخيالهم ، وعنياتهم بتربيةها وحسن اعدادها ، وانبرى الشعرا يذكر ونها باسمها ، فعمزة بن عبد المطلب مثلا يذكر فرسه (ورد) مشيرا الى عتقه وكرمه وأنه من بنات ذي المقتال()، فيقول :

ليس متدي الا سلاح و (ورد) قارح من بنات (ذي المقتال)
اتقى دونه المنيا ب بنفسه وهو دوني يخشى صدور العوالى

بل ان فرسان العرب قرروا فروسيتهم باسم الخيل في كثير من الاحيان ، فالأشخاص ابن شهاب التقلبي « فارس المصا » و « فارس زيم »^(٢) ، وحسان بن حنظلة الطائي « فارس الضئيب »^(٣) ، وعامر بن دبيعة بن صعصعة « فارس الضعفاء »^(٤) ، وفيه يقول أحد الشعراء^(٥) :

ابي : فارس الضعفاء يوم هبالة اذا الخيل في القتلى من القوم تعثر

والأبيات التي قالها عبيدة بن ربيعة بن قفعان التميمي في فرسه (سكاب) هي من اجمل ما عبرت به الشعرا عن حبه العربي للخيل ، وتعلقه بها ، ومكانتها في نفسه ، يقول^(٦) :



أبَيْتَ اللُّعْنَ أَنْ سَكَابِ لَيْسَ
 سَلِيلَةَ سَابِقِينَ تَنَاجِلَاهَا
 فِيهَا عَزَّةٌ مِّنْ غَيْرِ نَفْرَةٍ
 فَلَا تَطْمَعُ ، أَبَيْتَ اللُّعْنَ ، فِيهَا
 وَكَفَى يَسْتَقْلُ بِعَصْلِ سَيْفِي
 وَحَوْلِي مِنْ بَنِي قَعْدَانَ شَيْبَهَ

يُعلق يُستعار ولا يُساعِ
 يضمِنُهُما إِذَا نَسَبَا الْكَثْرَاءَ
 يُعْيَلُهُما إِذَا مَرَّ الْقَرَاءَ
 وَمَنْعَلُهُما بِوَجْهِهِ يُسْتَطِعَ
 وَهِيَ مِنْ تَهْشَمِنِي امْتَنَاعَ
 وَشَبَّانَ إِلَى الْهِيجَانِ سِرَاعَ

ولم يقف اهتمام الشعراء بالخيال عند هذا الحد، بل راحوا يدققون النظر في أحوالها، فوصفوها أيمًا وصفت، وتتبعوا دقائق جسدها فصوروها في آشعارهم صوراً تدل على مدى تعلقهم بها، حتى ان بعض الشعراء قصر شعره - أو معظمه - على ذكر الخيال، وتتبّع أوصافها في جميع أحوالها . و ما شعر أبي دواد الا يادي ، و طفيلي الفتني وامرئ القيس الكندي ، عنا ببعيد .

ولا غرو اذا أن يجعل العرب نتاج الخيال احدى المناسبات المهمة التي يقيمون لها الأفراح، فكانوا « لا يهنتون الا بغلام يولد، او شاعر يتبغ فيهم ، او فرس تنتاج»(٧) . وتفسير ذلك واضح .

ولملئنا نلاحظ ان العرب ساواوا الخيال بأنفسهم ، او كادوا ، فاطلقوا عليها الأسماء، وحفظوا أنسابها ، وذكروا علامات عنقاها وكرمنها ونجابتها ، ليبلوا على عظم مكانة الخيال عندهم وأهميتها لهم . وقد جمع عدد غير يسير من الكتب التي انبثت على ذكر أسماء الخيال وأنسابها ، وليس الأمر هنامرا هو تصدق ذلك او كذبه ، وإنما بدلاته وما يبني عليه .

وهذا الكلف بالخيال - لضرورة الحياة - لم يكن ديدن الجاهلين وحدهم . فالقرآن الكريم يذكر لنا ما كان للخيال من مقام عظيم عند نبيه سليمان بن داود عليهما السلام ، حتى جعلته يسهو عن أداء الفريضة - على أحد القراء(٨) - فقال ، عز من قائل : **وَوَهْبَنَا لِدَاؤِدِ سَلِيمَانَ ثُمَّ أَوْبَ * أَذْعَرْضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَنَاتِ** العياد * فقال اني أحببت حب الغير عن ذكري ربى حتى توارت بالعجب **وَهْبَ** [سورة ص: ٣٠-٣٢] وللخيال ذكر في القرآن الكريم في غير ما آية . وقد أقسم الله تعالى بها فقال: **وَالْمَادِيَاتِ ضَبْعَا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحَا * فَالْمُثْنَيَاتِ صَبْعَا * فَأَثْرَنَ بِهِ نَقْمَا * فَوَسْطَنَ** به جمما * ان الانسان لربه لكتونه **وَهْبَ** [سورة المادييات : ٦١-١٠٠] وجعلها مما يعد للعدو ، ويثاب المرء عليه .

وكذلك جمل الرسول الكريم **بئق** الخيل معموداً بتواصيهما الغير (١) ، وفي ذلك ما فيه من دلالة على مكانة الخيل الرفيعة عند العرب، والتي أبقى عليها الإسلام ووجهها توجيهها سليماً .

ويكاد يكون الاهتمام بالخيل عند قبيلة تغلب في العصر الجاهلي أبين وأظهر لأمررين: أولهما : ما عرف عن تغلب من حياة العرب التي ما كانت نارها تخبو عندهم حتى مجيء الإسلام ، وهذه صفة بارزة فيها ، أدركها القدام خقالوا : « تغلب الفيلة » . ومن يرجع إلى أخبار تغلب في العصر الجاهلي لا يكاد يجد سوى غزوة ، أو وقعة ، أو رد غارة، وظهر ذلك الاهتمام جلياً في شعر شرائعها حتى ثنت معظم مطالع قصائدهم بتبيديه ذكر الخيل ، فعمرو بن كلثوم مثلاً يبدأ أحدي مقطعياته بقوله (٢) :

جلبنا الغيلَ من كنفي اديك عوابس يطأعن من النقاب
ويقول في مطلع أبيات أخرى (٣) :
جلبنا الغيل من جنبي اديك الى القلعات من اكتاف بعر
وأندون التلبي يبدأ [أبيات له فيقول] (٤) :

سمونا الى هليما هوانزن بالقنا وجُرْدِ كامثالِ القِداح ضوامر
ويقول الأسود بن عمرو بن كلثوم في مطلع أبيات له (٥) :

ولقد شهيت الغيل تعامل شكتي هتد امر من السابغ هيكل

وثانيهما : أن بني تغلب من ربعة الفرس ، فقد كان نصيب ربعة بن نزار من ارث أبيه فرسه ، فقيل : ربعة الفرس ، ولا أقل من أن يظهر اهتمام تغلب بارث أبيهم وبشكل جلي .

★ ★ ★

ويبدو أن اهتمام أبناء هذه القبيلة بالخيل ، ومنهم الشعراو ، كان اهتمام غاية قبيل كل شيء ، ولذلك قاتنا لم نجد أحداً من شعراء هذه القبيلة عُرِف باكتاره من وصف الخيل ، أو التدقير في ذلك . كما أتنا لمنتق على قصيدة واحدة – فيما وصل إليها من شعر تغلب – خصها الشاعر لهذه الغاية، وإنما جاء ذكر الخيل في أثناء الأبيات ، ودون اطناب ، وبما يخدم ظاهرة الفخر عندهم .

ويكاد يكون اهتمام عمرو بن كلثوم بالخيل أكثر من سواه ، لأنه السيد القائم على شؤون القبيلة أولاً ، ولأنه الشاعر ، والشاعر الوحيد الذي وصل إليها ديوان شعر مجموعاً – فيما أعلم (٦) – . وإذا التمسنا لذلك دليلاً في شعره ، أتفيأه يعدد للخيل أثمانها قبل أن يعدد ذلك لقوتهم اليومي ، فهو يقول (٧) :

فما أبقيت الأيام *عِنِّي* *الملائِكَةِ* عندنا سوي جُلُمِ افْوادِ مُحَذَّثَةِ *النَّسْلِ*
ثلاثة اثلاط : فأشعلن خيلتنا ، واقواتنا ، وما نسوق الى القتل
كما انه يجعل الخيل ارثاً عظيماً يحرص الآباء على نقله للأبناء ، ويغدر الأبناء
بمحافظتهم عليه ، يقول في الملة :

عِرْفَنْ لَنَا نَقَائِدَ وَالْقَتَلِينَا
وَرِدَنْ دَوَارِعَا وَخَرْجِنْ شَعْنَا
وَرِثَانَهُنْ عَنْ آبَاءِ صَلْقِي
وَنُورِنْهَا - اذَا مَنْتَا - يَنْبِنَا

ولذلك ليس غريباً أن يجعل نساء قومه من اللواتي يتعين على شيوخ الخيل وأطامها،
بالغة في الاهتمام بها ، فيقول :

عَلَى آثَارِنَا بِيَضْنِ كَرَامٍ
يَفْتَنُنِ جِيَادِنَا ، وَيَقْلِنُ لِسْتَمٍ

« ويقال : انهم كانوا لا يرضون للقيام على الخيل الا باهليهم اشغالاً عليها » (١٦)

ولمَنَا نجد اهتماماً بالخيel مشابهاً لاهتمام عمرو عند مهلهل أيضاً ، فمنهما حاول بعض البكريين أن يغيّرُه بين أن يبيع خيله بالمعزى والفنم ، أو أن يرحل بقومه عن المرعى ، أنت مهلهل من ذلك ، وأثر الرحيل ، وإن كان الحال فيه ، وقال (١٧) :

انْفَتَ ابْناؤُنَا مِنْ فَلَنَا انْبَيَعَ الْخَيْلَ بِالْمَعْزِيِّ الْجَابَ

* * *

هذا جانب من اهتمام سادة تقلب - في الجاهلية - بالخيل . وقد ظهر ذلك فيأشعار شعرائهم ، إلا أنه ليس بالمستوى الرفيع الذي تتحققه ! فقد سلفت الاشارة إلى أن أبناء هذه القبيلة قد وجدوا في الخيل وسيلة مهمة لتحقيق خيالاتهم وانتصاراتهم ، ومن هنا جاء وصفهم لها وصفاً ظاهرياً علماً ، يخدم ما كانوا يرمون إليه من فخر عند ذكر الخيل في أشعارهم ، وهي خيل حرب وقاربة عند جميع شعراء تقلب ، وارتبط وصفهم لها بهذه المعالة في الفالسب ، فنمبرو بن كلثوم يقول (١٨) :

الْقِيسُ بْنُ عِمْرُو خَارَةُ بَعْدَ حَارَةٍ وَصَنْبَتَةُ خَيْلٍ تَنْعَرِبُ اِتَّالَ وَالْتَّمَّ
اِذَا اسْهَلَتْ حَيْثَتَوْانَ اِحْزَنَتْ وَجَهَتْ وَتَعْسِبَهَا جِيَتْ اِذَا شَالَتْ الْجِلَمَ

وأفنون العبلني يغير على هوازن بتلك الخيل :

سَمَوْنَا اِلَى عَلِيَا هَوَانَ بِالْقَنَا وَجَرْدٌ كَلْمَالَ الْقِيلَاجَ - فَهُولَمَسْ

والسفّاح التفليبي يُفخر بحسن بلاسه وقيادته لتلك الغيل فيقول(١٩) :
وأنك لو أبصريتني يوم صبّعت هوانن أمثال السّراحين ضمّرَ
أعرّضها للطعن في كل غمرة فسلم أحياناً وحينما تُعفّرَ

* * *

لإيقتناني فارس الغيل والنّي إليه العوالى والصفيف المذكّر

وأبرز الصفات التي وقف عندها شعراً تقلب هي صفات ظاهرية عامة ، كما أسلفت ، وتتعلّق بجسد الغيل العام في الغالب . فغيلهم « مضرعة كالقداح » ، « وقبّ شواذ » ، « وجرد كالقداح مسومات » . ونظروا إليها وهي متبرّة فوصفوها « صفاً مريضاً يتناسب وتلك الحالة الجرّجة التي يلتقط فيها الشاعر إلى المعركة أولاً وأخراً ، فالسفّاح التفليبي رأى الغيل « قباً ، فقط » (٢٠) :

جلبني الغيل من قنوبن قبا فاوردننا نواصيهما حتّينا
وأبوا اللّحّام التفليبي يراها « جرداً كالقداح » ، « شواذ محلّسات » (٢١) :
وجرد كالقداح مسوّمات شواذ محلّسات بالثّبود
وكذلك رأى آفونون الغيل جرداً كامثال القداح ضوامر ، كما رأينا .

وقد تنبه بعض الشعراء على هيبة التّحيل وهي تدخل المعركة وتخرج منها ، ففرض هذه الصورة عرضاً مقتضياً دون توقف عندها . فعمرو بن كلثوم يصف خيله وقد رشحت عرقاً عند وصولها إلى مكان المفاردة فيقول :

جلبني الغيل من جنبي أريك إلى القلعات من أكنا في بصر
ضوامر كالقداح ترى عليها ييس الماء من حنور وشقر
الا أن وصفه يقت عند ذكر ييس الماء ، دون أن ينتقل إلى صورة فنية يوحّيها إليه ذلك البيبيين ، بينما رأى طفيلي المتنوي مثلهذا البيبيس « أشارير ملح » ، فقال (٢٢) :
كان ييس الماء فوق متونها أشارير ملح في مباهة مجرّب
ويصف بشر بن شيلوة التفليبي الغيل في طريقتها إلى المعركة وما أصابها من جهوده نسبّ فيقول (٢٣) :

سما بالتعاجيج العياد على الوجي ينكبها بالعربي صمّ العلاميد

* * *

لصيّبعها قبّا تصبّد لثاثتها عليها رجال الموت من آل خالد

ويصف الخيل مرة أخرى وهي في حومة الوغى فيهاها تخوض في الدم (٢٤) :
والغيل يغبرن الغبارَ عوايساً وعلى سبابكها سبائب من دم
 أما السفاح فيصور الدمام في المعركة وقد غيرت لون الخيل ، فيقول (٢٥) :
وضربت في ابطالهم فتجذلوا وحملت مهري وسطها فحاماها
 حتى رأيت الخيل بعد سوادها **كُمْتَ الجنودَ خَضْبِينَ** من جراحها

ويرتفع أنفون بالخيل الى مستوى الانسان ذي المشاعر والأحساس ، الذي يفرج
 ويتألم ويحزن ويشكرو ، فيجد في حممة المليل - وقد طال سيرها - شوكى وألم ، فيقول :
سَمَوْنَا إِلَى عَلِيَا هَوَازِنَ بِالقَنَا وجُرْدٌ كَامِثٌ الْقَدَاحِ ضَوَامِرٍ
تَنْ: أَنِينَ الْعَامِلَاتِ وَتَشْكِي عجایباتها من طول نكب الدواائر
فَمَا زَالَ ذَاكَ الدَّابَ حَتَّى صَبَعَتْهَا على ما بها من جهدها أهل حاجر

ومثل هذا الوصف نجده في شعر ابن قوزع الكسرى التغلبي وهو يذكر غارة علقة
 ابن سيف التغلبي يوم (سفح منانع) علىبني تميم ، فيقول (٢٦) :
أَصَابَ يَهَا شَهْرًا عَلَى كُلِّ عَلَةٍ لَهَا مِنْ تَشْكِيَّهَا أَنِينَ وَمَحْمَّةً

وهذا يذكرنا بآيات عنترة في معلقته :

فَازُورٌ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وشكى اليه بعيرة وتحمم
لَوْ كَانَ يَنْعَيِّ ما الْمَعَاوِرَةِ اشْتَكِي ولو كان يتعري ما المعاورة اشتكي
 واذا كان فرس عنترة يرد عنه كثيرا من الطمن والضرب ، فان شيطان بن مدلج
 التغلبي فعل خلاف ذلك ، اذ جعل نفسه دريئه دون فرسه (٢٧) :
وَكُنْتَ لَهَا دُونَ الرَّمَاحِ دَرِيَّشَةً فتنجو وضاحي جلدها ليس يكلم

★ ★ ★

هذه أبرز الجوانب التي تناولها شعراء تقلب ، في العصر اليهالي ، في وصف الخيل ،
 وهي خيل حرب وغارة ، كما سلف ، ولم يصفوها الا في تلك الحالة ، وفي معرض فخرهم
 بفروسيةهم وبطلاتهم ، ولم يذكروا ما في المراعي آمنة الا مرة واحدة في شعر الأحسن بن
 شهاب ، وفي معرض الفخر بالقوة والمتنة أيضاً ، اذ يقول (٢٨) :

وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا حِجَازَ بِأَرْضَنَا مع الغيث ما نتلفي ، ومن هو غالب

ترى رائدات الغيل حول بيوتنا
كمعنى العجاز اعجزتها الزرائب
فيُغَبَّننَ أحلاباً ويصْبَحُنَ مثلها

وأكَدَ جانب الفخر في هذه الأبيات المزدوجي فقال : « المراد أن ما يرتقبونه من المال
ويقتلونه من الغيل ، لا الأبل والمتن ، وأنها تختلف فيما بين بيتهن لكثرتها ، لأنهم
غزاً ونون وأرباب غارات(٢٩) » .

أما خيل الطرد والصيد ، فلا نجد لها ذكرًا في أشعار تغلب – المعروفة – في الجاهلية ،
ولعل حياة القبيلة العربية حالت دون ذلك .

★ ★ ★

وقد ذكرت كتب آنساب الخيل مجموعة من خيل تغلب ، تتبعها في مطانها ، وجمعتها ،
وساؤردهما مرتبة على حروف المجم :

- ١ - جلوى : وهي أم داحس(٣٠)
- ٢ - حلاب : وهي من نتاج أعرج(٣١) ، وفيها يقول الأخطل(٣٢) :

نَكَرَ بَنَاتِ حَلَابٍ عَلَيْهِمْ وَنَزَجُوهُنَّ بَيْنَ هَلَاءٍ وَهَابٍ

- ٣ - حميزة : فرس شيطان بن مدفع الجشمي(٣٣) ، وبشرذها يضرب المثل ، فيقال:
أشام من حميزة » .
- ٤ - الغلواء : من نتاج أعرج(٣٤) .
- ٥ - خربوب : فرس ابن النعمان بن قريع التغلبي ، وفيه يقول(٣٥) :

كَانَ غَرَّةً خَرَبُوبَ إِذَا طَلَعَتْ يَوْمَ الرَّهَانِ جَبَانٌ الْبَدْرُ فِي الظَّلَامِ

- ٦ - ذييم : فرس الأختنس بن شهاب ، وتنسب إليه قوله(٣٦) :

هَذَا أَوَانُ الشَّدَّ فَاشْتَدَّ كَيْ ذَيِّمٌ

- ٧ - السَّلَّسِ : فرس مهلل بن ربيعة(٣٧) . قال مخاطبًا العارث بن عباد البكري :

أَرَكَبْ نَعَامَةً أَنِي دَاكِبُ السَّلَّسِ

- ٨ - الشقراء : فرس المهلل(٣٨) أيضًا .
- ٩ - الضيف : من ولد العَرَّون(٣٩) .
- ١٠ - العصا : فرس للأختنس بن شهاب(٤٠) ، ولذلك قيل : « فارس المصنا » .
- ١١ - الفيتيد : فرس لتغلب(٤١) أيضًا .

- ١٢ - قيد : من لفرام تقلب(٤٢) .
- ١٣ - المشهرة : فرس لمهلل أيضا(٤٣) .
- ١٤ - المنكدر : فرس لبني العدوية ، وكان لرجل من بنى عمرو بن غنم بن تغلب(٤٤) .
- ١٥ - تباك : فرس السفاح التغلبي (سلمة بن خالد) من نتاج أعوج(٤٥) ، وفيه يقول:
فاني لن يفارقني تباك يرى التقريب والعمداد دينا
- ١٦ - تباك : فرس آخر لكليب بن ربيعة(٤٦) أخي المهلل .
- ١٧ - الهنجسي : من خيل تغلب(٤٧) .
- ١٨ - الورد : فرس أبي حنش عصم بن النعمان وفيه يقول(٤٨) :
والورد يسعى بعصم في طواوئهم كانه لاعب يسعى بعنخاز
- ١٩ - الورد : فرس لمهلل أيضا(٤٩) .
- ٢٠ - الورد : فرس للهنديل بن هبيرة التغلبي(٥٠) .

★ ★ ★

هذا ما استطعت جمعه من خيل تغلب ، وما من شك في أن ثمة خيلا أخرى لتغلب لم
أهذ إليها ، ولمل متابعة البحث ، وظهور مصادر جديدة يكتشفان عن المزيد من خيل
تغلب وغيرها من القبائل العربية ، فتكمال صورة هذا الجانب البارز من جوانب الحياة
العربية قديماً ، وتتضمن معالله .

□ الحواشى :

- ١ - انساب الفيل في الجاهلية والاسلام ، لابن الكلبي (تج . احمد زكي - ط . القاهرة - ١٣٨٦ - ١٩٦٥) : ص : ٢٠ .
- ٢ - من خيل تغلب . انظرها في ترتيبها .
- ٣ - انظر الخلية في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام . محمد بن كامل التاجي (تج : د . عبد الله الجبوري - ط . الرياض - ١٤٠١ - ١٩٨١) : ص : ١٠٢ .
- ٤ - المصدر السابق : ١٠٣ .
- ٥ - المصدر السابق .
- ٦ - أسماء خيل العرب وانسابها ، للاسود الفتنجي (تج : د . محمد على سلطاني - ط . مؤسسة الرسالة - بيروت (٢) ص : ١٢٤ .
- ٧ - العمدة ، لابن رشيق (ط . دار الجبل - بيروت - ١٩٧٧) : ٦٥/١ .
- ٨ - انظر تفسير الطيري (ط . دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٣ - ١٩٨٣) : ٩٩ - ٩٨/٢٣ . والبداية وال نهاية لابن كثیر (ط . مكتبة المغارف - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٣) : ٢٥/٢ .

- ٩ - انظر روايات الحديث ، وتفريجها في جامع الاصول ، لابن الالبير (تج : الشیخ عبد القادر الارناووط - دمشق - ١٣٩٠ - ١٩٧٠) : ٤٩/٥ .
- ١٠ - دیوان عمرو بن كلثوم (تج : كرتو - ط - ١٩٢٢) : ١٠ .
- ١١ - المصدر السابق : ٧ .
- ١٢ - الانوار ومحاسن الاشعار ، للشمشاطي (تج : د - السيد محمد يوسف - ط - الكويت - ١٣٩٧ - ١٩٧٧) : ١٢٦/١ .
- ١٣ - انظر دیوان عمرو بن كلثوم : ١٥ .
- ١٤ - وجمع السنديون شعر مهلهل مع اشعار المراسلة (ط - القاهرة - ١٣٥٨ - ١٩٣٩) . ونمة نسختان خطيتان لشعر مهلهل في المصحف العراقي ببغداد .
- ١٥ - حماسة ابن تمام (تج : د - عبد الله عسيليان - ط - جامعة الامام محمد - الرياض - ١٤٠١ - ١٩٨١) : ٢٥٧/١ .
- ١٦ - جمهرة اشعار العرب ، لابن زيد القرشي (تج : علي محمد الجباوي - ط - د - القاهرة - دار النهضة(٤) : ٣٦٦ .
- ١٧ - انظر كتاب بكر وتغلب - المتسبوب لمحمد بن اسحاق - (ط - مطبعة ثقبة الاختيار - ١٣٠٥ هـ) : ٩٨ .
- ١٨ - دیوان عمرو بن كلثوم : ١٢ .
- ١٩ - الانوار ومحاسن الاشعار : ٢٦٥/١ - ٢٦٢ .
- ٢٠ - المصدر السابق : ٢٥٧/١ .
- ٢١ - التقاض ، لابن ميسرة (تج : بيغان - ط - مكتبة المثلثي - بغداد - عن طبعة ليدن - ١٩٠٥) : ٤٥٨ .
- ٢٢ - دیوان طغيل التنوبي (تج : محمد عبد القادر احمد سط - دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٩٨) : ٢٦ .
- ٢٣ - الانوار ومحاسن الاشعار : ٢٩٧/١ - ١٤٠٤ .
- ٢٤ - الاخيارين ، الافتخار والافتخار (تج : د - فخر الدين قباوة - ط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤) : ١٨٨ .
- ٢٥ - الانوار ومحاسن الاشعار : ٢٥٨/١ - ٢٦٠ .
- ٢٦ - المصدر السابق : ١٦٦/١ - ٢٣٩ .
- ٢٧ - الدرة الفاخرة في الامثال السائرة ، لحمزة بن الحسن الاصبهاني (تج : عبد المجيد قطامش - ط - دار المعارف - القاهرة - ١٤٧١ - ١٣٨٧) : ٢٣٩/١ .
- ٢٨ - المفضليات ، للعقلنلي القبي (تج : احمد شاكر وعبدالسلام هارون - ط - دار الفارف - القاهرة - ١٩٦٤) : ٢٠٤ - ٢٠٨ .
- ٢٩ - شرح دیوان العمامية ، لأحمد محمد المرزوقي (تج : احمد امين وعبد السلام هارون - ط - لجنة التأليف والنشر - القاهرة - ١٣٨٧ - ١٩٦٢) : ٧٢٥ .
- ٣٠ - كذا في الحلبة في اسماء الخيل : ٥٢ ، والتي في اتساب الخيل لابن الكلبي : ٢٦ ، والخليل للأسماعي (في مجلة المورد العراقي) مجلد ١٢/٤٤ ص : ٢٢٠ ، واسماء الغيل المفتحجاتي : ٦٢ ، ان جلوى الكبير لم داعن كانت لقررواون ابن عوف من بنى الحلبة من يربوع .
- ٣١ - انساب الغيل لابن الكلبي : ٦٢ ، والخليل للأسماعي : ٢١٩ ، والخليل ، لابن عبيدة (ط - دائرة المعارف المئوية - مير اباد - الهند - ١٣٥٨) : ٦٧ ، واسماء الغيل المفتحجاتي : ٧٧ ، والمدينة : ٢٣٤/٢ ، ونهاية الارب للنوروي (نسخة مصورة من طبعة دار الكتب) : ٦٠/١٠ ، والحلبة : ٥٩ .

- ٣٢ - شعر الأغظل (تع : د. قبادة - ط . دار الالاق - ١٩٧٤) : ٣٦٨/١
- ٣٣ - العلبة في اسماء الخيل : ٦٦ - وقيل اسمها حبيبة، كما في الدرة المتأخرة : ٢٣٩/١ ، ومجمع الاستعمال للميداني (تع : محمد محيي الدين عبد العميد - ط . السنة المعدية - القاهرة - ١٣٧٦ - ١٩٥٥) : ٢٨٠/١ ، وفي جمهورة الاستعمال المسكري ، (تع : محمد أبو القفل إبراهيم عبد العميد قطامش - ط . المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤) : ٥٥٧/١ ، والمستحسن للزمغربي (ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٧ - ١٩٧٧) : ١٨١/١ - خاتمة .
- ٣٤ - انساب الخيل لابن الكلبي : ٤٥ - ولعل الصواب ان (الخوار) من خيل غني ، انظر اسماء الخيل للفتنجاني : ٤٥ ، والعلبة : ٢
- ٣٥ - كما هو عند الفتنجاني : ٩١ ، لابن النعمن بن فريح - ولعله فرس النعمان نفسه ، انظر الشاقون : ٤٥٤ ، وشعر الأغظل : ١١١/١ ، والتكلمة ، للصقاني ، (تع : عبد العليم الطحاوي وعبد العميد حسن - ط . دار الكتب - القاهرة - ١١٢/١ - ١٤٧٠) : ١١٢ ، والقاموس المعجم ، وتابع المروس : (خرب) .
- ٣٦ - انساب الخيل لابن الكلبي : ٨٥ ، والفتنجاني : ١١٨ ، والعلبة : ٢٧٣/١ ، والتكلمة ، للصقاني : ٤٩/١
- وجعله ابن الأعرابي (اسماء خيل العرب - سع : د.محمد عبد القادر احمد - دار النشأة - القاهرة - ١٤٠٤ - ١٤٠٣) : ٥٢ ، وابن سينا في المضمن (ط . دار الفكر - ١٤٧/٦) : ١٤٧ ، لجاير بن هني التلبي ، وكذلك في اللسان (ذم) ، وفي المحيط والتابع (ذم) تنبى الى جابر بن هني مع الاشارة الى سنته الى الاخسن بن شهاب .
- ٣٧ - انساب الخيل لابن الكلبي : ٨٤ ، والفتنجاني : ١٢٣ ، والعلبة : ٤٢
- ٣٨ - القاموس المعجم ، والتابع : (شقر) .
- ٣٩ - انساب الخيل لابن الكلبي : ١٢١ ، والخيل لابن عبيدة : ٦٧ - والفتنجاني : ١٥٤ ، والعلبة : ٢٣٥/٢ ، ونهاية الارب : ٤٧/١٠
- ٤٠ - الخيل ، للأصمي (مجلة المورد) : ٢٢٠ ، والفتنجاني: ١٦٩ ، والأنوار : ٢٧٦/١ ، والعلبة : ١٠٨ ، وتابع المروس: (عصا) .
- ٤١ - اسماء الخيل للفتنجاني (المستدرك) : ١٩٠
- ٤٢ - المصدر السابق : ١٩٤ ، والخيل للأصمي : ٢١٩ ، والأنوار : ٢٧٥/١ ، والعلبة : ١١٦ ، ونهاية الارب : ٤٠/١٠ ، واللسان ، والمحيط ، والتابع : (اليد) .
- ٤٣ - القاموس المعجم ، والتابع : (شهر) . وفي اسماء الخيل لابن الأعرابي : ١٥٤ ، والتكلمة للصقاني : ٦٢/٣ : «المشهر» .
- ٤٤ - انساب الخيل لابن الكلبي : ٨٥ .
- ٤٥ - المصدر السابق : ٤٢ و ٨٧ ، والفتنجاني : ٢٤٦ ، والأنوار : ٢٧١/١ ، والتكلمة : ٢٦١/٥ ، والقاموس المعجم ، والتابع : (قبك) .
- ٤٦ - الكلمة : ٤٦١/٥ .
- ٤٧ - اسماء الخيل للفتنجاني : ٢٦٤ ، واللسان ، والقاموس المعجم ، والتابع : (همس) . وانظر انساب الخيل لابن الكلبي: ١٩/١٥ ، والعلبة : ٧٣ .
- ٤٨ - اسماء الخيل للفتنجاني : ٢٥٣ ، والتكلمة : ٢٥٨/٢ .
- ٤٩ - اسماء الخيل للفتنجاني : ٢٥٦ ، والتكلمة : ٢٥٩/٢ .
- ٥٠ - الكلمة : ٣٥٩/٢ ، والقاموس المعجم ، والتابع : (ورد) .

ظاهرة الانتماء والانعتاق في القصيدة الجاهلية

حسين سلمان جمعة

بـد من الاشارة الى اننا حين نتحدث عن الانتماء في القصيدة الجاهلية لا يمكن ان نطلب من الجاهلي ان يفهم الوطن والانتماء له كما نفهمه اليوم ، بل علينا ان نستوعب ما اراده . فلو عدنا - مثلاً - الى كتاب (المخصوص) لابن سيندة وعندنا افعال التي تدل على الاقامة في الارض لوجدنـاها نحو ستة وسبعين فعلاً . فالانتماء عند الجاهلي انتفاء للمجتمع والأرض (الماء والكلأ) ...



اما المجتمع فقد اكتسب صفة القدسية عندهم وصار النظام القبلي لديهم مستورهم الأصيل . وقد تجد افراداً من العرب فهموا الانتماء المشار اليه فهم مشوشاً ، فاعتقدوا ان هذا النوع من الارتباط يكبل حريةـهم ، ويدعـ من طموحـاتـهم فعاولـوا ايجـادـ الانـتمـاء البـديل . وحاـولـ بعضـ الجـاهـلـينـ اظهـارـ المـكارـهـ التيـ يـلـقـاـهاـ الرـعـيـاـتـ بـيـنـ اـهـلـهـ عـلـىـ آـنـهـ عـبـءـ لاـ يـطـاقـ - وـاقـىـ ماـ يـلـقـاـهـ الرـعـيـاـتـ أـنـ يـجـدـ الـفـلـمـ مـنـ ذـوـيـهـ فـكـانـ غـرـيبـ بـيـنـهـ - وأـضـرـ بـهـ شـفـرـ اـوسـ بـنـ حـبـرـ مـثـلـ عـلـىـ هـذـاـ النـوعـ مـنـ التـقـنـيـرـ عـنـ الجـاهـلـينـ - وـلـكـنـ يـغـرـ الزـلـاتـ أـحـيـاـنـاـ - (١) :

الـأـمـتـبـ ابنـ الـعـمـ اـنـ كـانـ ظـلـماـ وـأـفـرـ عـنـهـ الـجـهـلـ اـنـ كـانـ اـجـهـلاـ

بيـدـ انـ الـفـلـمـ اـذـاـ اـزـدـادـ بـيـنـ الـاقـرـباءـ اـنـقـلـبـ الـانـتـماءـ اـلـىـ الـقـبـيلـةـ حـبـلاـ وـامـناـ فـيـقـولـ اـوسـ مـتـابـيـاـ :

اقـيـمـ بـسـارـ العـزـمـ مـاـ دـامـ حـزـمـهاـ وـاحـسـ اـذـاـ حـالـتـ بـيـانـ اـتـعـولاـ

فـيـاـ دـامـتـ الـاقـاـمـةـ فـيـ الـوـطـنـ حـزـماـ فـاخـلـقـ بـهـ اـنـ يـمـقـ اـنـتـماءـ اـلـيـهـ ، اـمـاـ اـذـاـ اـنـقـلـتـ اـلـيـهـ ظـلـمـ فـيـاـ جـدـرـهـ اـنـ يـتـعـولـ عـنـهـ . فـالـوـطـنـ يـمـثـلـ الـكـرـامـةـ وـالـاخـلـاصـ لـهـ ، وـالـحـفـاظـ عـلـىـ اـنـتـماءـ

ابناته . . . وما عدا ذلك يندو المرم فيه غربياً : وتبعد النفس باللوسسة من أجل الانتحاك والتعزز من قيد الانتقام الظالم إلى الانتقام لا ظلم فيه . وهذا يذكرنا بأغنية العرب وهم سوداً لهم . ومنهم عنترة المبسي والستليك بن السلطة وتابط شراً وخفاف بن تدبة والشترفي وحاجز الأزدي . . . وغيرهم . . . وقد حرص بعض هؤلاء الأغربية على الوطن وحاولوا ثبيت انتقامهم فوق أرض لا تحمل إلا السادة من الشرفاء والبيض : فسعوا إلى تصميم ارتكابهم بها وبقبيلتهم ، وأرادوا التعميق عن وضاعة لونهم ببيض فعالهم . وإن المرم يفعله الكبار ، وهو قادر . وإن كان أسود . على أن يقوم بما لا يستطيع السيد الوفي أن يؤديه . وما قصة الانتحاك وحب الانتقام عند عنترة إلا واحدة من قصص كثيرة تجتئ من الظلم الاجتماعي نتيجة فارق اللون الذي خلقه الله عليه . وكان عنترة يعتمد في الوصول إلى حرفيته وإنهاء عبوديته على الجمجمة والمنطلق دون أن يشوه انتقامه الذي يؤمن به السادة الشرفاء ، قال^(٢) :

عجب عيالة من فتي مبتلى عاري الأشجاع شاحب كالنصل
شعث المفارق منهيج سري بالله لم يدهن حولا ولم يترجل
ويختلي عمق الانتقام عند عنترة بصدق الدفاع عنه ، ولم يفعل ما فعله خفاف بن تدبة
حين قال^(٣) :

كلانا يسوه قومه على ذلك النسب المظلوم

فام خفاف بن تدبة تجلب العار لابنها بسواه لونها بينما تجد عنترة يختبر بسواه لونه ولو ناهي ويدافع عن أرومته تلك التي أنته من جانب (حاما) .
ويكتفي لونه الأسود إلى الأصلة ؛ ولا عار فيه مثل اللون الأبيض تماماً فقال^(٤) :
**وانا المعرض في المواطن كلها من ال عبس منصبي وفعالي
منهم ابني حقا فهم لي والد والأم من حسام فهم اخواي**
وقال أيضاً^(٥) :

**فان تك امي غرابة من ابناء حام بها عبتي
فاني لطيف ببيض القلبها وسرم المسؤول اذا جنتني
مكدا سيعحي لونه بعد السيف ولن يترك احد - مهما يكن - ان يعييه به ، ويفسد عليه انتقامه قال^(٦) :**

اني امرؤ من خير عبس منصبـا شطري ، واحمى ساتري بالنصرـ
فعالية عنترة تتوطن في قدرته على إثبات انتقامه مثله مثل بقية أفراد المجتمع ، فالحرمية الانتقام هي النهاية الأولى والأخيرة . وفي اعتقادنا أن عنترة لم يصل إلى الانتقام

الأصيل الا بعد تضحيات جمة انتزع بها الاعتراف من جميع أفراد عبس بانتصاره على قدم المساواة مع الشرفاء البيض ٠٠٠ ونظرية فاخصة واعية ومتاملة لهذه القصة وأمثالها تؤكد أن المجتمع الجاهلي يقدس القوة ولا يؤمن بالبقة بالتبني المنكري بين أبيض وأسود ٠٠٠ فابن السوداء الذي حمى الناس في أكثر من معركة^(٧) - كما قال قيس بن زهير - مثل على ثانية التعددي للمنcriة . فقد دفعته فروسيته وأفنته الى ثبيت انتصاره بحد السيف .

وإذا كان عنترة يمثل العنصر الإيجابي في ظاهرة الانتقام والانتقام فان آخرین مثلوا المنصر الانفعالي فيها ، وأرادوا تأكيد فرديتهم دون الارتباط بقبيلتهم لا كما كان يفعل عنترة ؟ فأصبحوا كالمنتسب " لا أرضًا قطع ولا ظهرنا أبقي " . وان وصل بعضهم الى حرفيته فانما ظل انتقامه فردياً : يسوس الأمور بمنطق فردي وجودي ، وأبرز من يمثله طرفة بن العبد . أما بعضهم الآخر فقد كون لنفسه جماعة مارست نوعاً من الانتقام الجماعي لشيم جديد غير ما عرف عند الجاهليين مثل الغلام والصاليل . طرفة ابن العبد يتتردد على مقاميه مجتمعه (التقاليد والعادات) دون ان ينكح انتقامه الى قبيلته بكر . ويعلن سمعته عالية فيقول : انه ينتهي بكل كيانه الى مجتمعه الا ان ظلم قومه لا خوفه المسخار ولاته جعله يعيد النظر بمفهوم الانتقام - واقسى أنواع الظلم ان يكون من الأقرياء - ^(٨) :

فمالى ادراني وابن عمى مالكا	مق ادن منه يناس عنى ويبعد ؟
يلسوم وما ادرني علام يلسومني	كمى لامنى في المى قرط بن مبعد ؟
وظلم ذوى القربي اشد مضاضة	على المرء من وقع العسام المهدى

لهذا يظهر اللوم عند طرفة ظلماً صريحاً أضنه وأثر في نفسه ، واهيج فيها للأحزان والغضب وكانت الحد المقطاع . تكفي به اذا امتد هذا الظلم الى أمه (وردة) ؟ يقول^(٩) :

ما تنظرون بعشق وردة فيكم ؟	صغر البنون وربط وردة غيث
والظلم فرق بين حيني وائل	بكر تساليها المثابا تغلب
والاثم داء ليس فيه معطب	والبر براء ليس فيه بره
والصلق يالفه الليب المرتبع	والكلب يالفه الدنىء الاخيث
ادوا العقوق تقر لكم اعراضكم	ان الكريسم اذا يحرس يغضب

وعلى الرغم من ذلك فالجتمع رحيم بابنائه رؤوف على الأدنى والأبعد لا يجرهم انتقامهم الا اذا جربوا الجرائم على أفراده ٠٠٠ وطرفة مثل بسلوكه تمثيل قدرمية الانتقام ، لأنه يعتقد أن حياته ليست جديدة بان تعاش ان لم يعب منها ما استطاع : من المجد والشهرة والمرأة والخمرة قال^(١٠) :

فولا ثلاثة هن من حاجة الفتى
ومنهن سبقي العادات بشربة
وكري اذا نادى المضاف محثبا
وتقدير يوم النجن والنجن معجب

ووسط هذا الجو المقم بالتعدي والصراع بين طرفة ذي السلوك الذي هدد انتقامه وبين مقاومات القبيلة أعلن المجتمع صراحة على لسان أفراده أن طرفة غدا خطرها على أبنائهم فاقردوه كاجيل الأجرب عليه يدرك خطور سلوكه، لانه يقطع اوامر انتقامه بيده(١١) :

وما زال تشاربي الغور وللنبي
وبيعي وانفاقي طيفي ومتلبي
وافردت افراد البعير العبد
الي ان تعاملتني العشيرة كلها

هذه هي ضربة تعدي المفاهيم الاجتماعية ؛ إنها انذار له ولكنه لا يليث أن يصبح خلماً من الأرض وتهبها عن القبيلة وحاول طرفة أن يثبت خطأ القرار الذي أصدرته قبيلته فرك ناقته - وأرض الله واسعة - لا يلوى على شيء . . . غير أنه مرعان ما أحسن بحب الانتقام لقبيلته يكره وأرضها حين فصلت الصحراء بينها . . . فبدأ يتخيّل وطننا له وبيتنا يتحطم المكاره ولا يعبأ بالربح الهوجاء ، فينام فيه قبرين العين . . . وينتقل إلى ذلك من خلال وصف الناقة مصورة العلاقة بين ما يحلم به وبين تلك الناقاة التي تقله في رحلته . فيقدو فخذل الناقاة كأنهما بابا منيف ، أو قنطرة رومية مشيدة بالجنس والعجارة . ومن هنا فهذه الناقاة التي تتغافل مع شاعرنا وتشاركه هموه - وقد جعلها طرفة المعادل الموضوعي لوطنه وأهله - لا تتوارد عن انتقامه لها مما تخفت من الأوجاع التي يحملها فوق كاهله فيقول(١٢) :

وانى لامضى السهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتفتلىع
لها فخذان اكميل النعش فيما
كانهما ببابا منيف مرد
لها مرفقان التلران كانها
تمر بسلمعي دالسج مشلد
كتنطرة الرومي القسم ربها

اذن لا شكل للظلم ولا لون له فكيفما وجد يهدى الانسان في انتقامه ووجوده . . . ولا يرضى به الا من فقد قدرته على الانتقام الواهي المميك ، أو من فقد شعوره بالعزّة والكرامة كتول المتخمس(١٣) :

ان اليوان حمار القوم يعرفه
والعر ينكره والرسلة الاجد
الا افلان مير العي والوتدا
وذا يشج فما يرثي له احد

ولن يقيم على خسف يسام به
هذا على الغسف مربوط برمهه

لهذا كله يبقى طرفة أقل ايجابية في دفاعه عن انتقامه من عنترة العبسي على الرغم من الفارق الطبقي في المنتسب الاجتماعي؛ وعنترة والفتى البكري لم يهددا قبيلتهما ولم يعتديا على أحد. وإن أسماء طرفة إلى المفهوم الاجتماعي القبلي فأن كثريين جروا الويلات على قبائلهم فأساؤوا إلى انتقامتهم ، ولم تخلص منهم إلا حين قطعت الجبل الذي يصل بينهم وبينهما . فاصدرت القانون المثارف عليه من القبائل كلها، الا وهو (قانون الخليج) . وكل فرد في القبيلة عضو فاعل من أجل خيرها لا شرها . وبهذا وجدت ظاهرة الخلعام في المصر الجاهلي – وهي ظاهرة أشبه ما تكون هذه الأيام بظاهرة النفي – . ولم توجد هذه الظاهرة ولا قانونها الا ليؤكد مبدأ الانتقام الصالح للأفراد . بل أنها ظاهرة تقدير الانتقام ذاته . وكل امرئ يسيء إليه يصبح خليعاً متبناً الجذور ، مهدور الدم ، لا تأخذ القبيلة بيده ان قتل – ولا تتتحمل وزره ان قتل – متنوعاً من التزويج بأحدى نساء قبيلته . وهذا من أنسى ما يهدى الانتقام لدى العربي في الجاهلية . ومن هنا يحاول الخليع أن يبرهن للناس أن خلمه كان يسبب رغبته في الانتحاك من ظلم القبيلة أو البغاء عن حرمة من حرمتها . . . ويسمى الخليع إلى تقوية ارتباطه بالقبيلة التي رضيit أن تغفر له ذنبه لأمر أو لأخر ، فيمدد إلى مدهما ، والدفاع عنها بسيفه ولسانه ويدن قبيلته التي أنكرت عليه انتقامه . فإن لم تقبل به أي قبيلة ظل مطروداً كالذئب مكتناً مع إمثاله شراثم في أرض الله الواسعة . . .

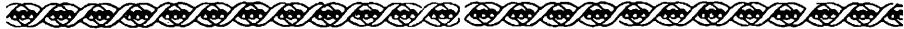
ويبقى العربي شديد الوله بانتقامه ولا يستعفين عنه باي ولاام آخر . لها يحاول الخليع المنتمي إلى قبيلة أخرى أن يعوض بانتقامه هذا عن سابقه فيخلصن ما استطاع له . وأبرز من يمثل هذا الجانب من ظاهرة الانتقام والانتحاك قيس بن الحداد^(١) . وكانت قبيلته خزاعة قد خلّمته بسوق عكاظ، وأشهدت على نفسها بخلّها أيام فلا تتحتم جزيره له ولا تطالب بجريره يصرّها أحد عليه، وتنزل عند قوم يقال لهم بنو عدي بن عمرو ابن خالد فاووه وأحسنوا إليه فندهم قائلًا^(٢) :

رجالاً حموه آل عمرو بن خالد وهنته في الفزو كسب المزاود وابناتها من كل أروع ماجد	جزى الله خيراً عن خليع مطرد فليس كمن يفزو الصديق بنوكه وقد حدبت عمرو على بعضها
---	--

وستخبر من قبيلته لأنها تحولت عنه ، وأنكرت انتقامه إليها ، ووصفها بعدم رعاية المهد . وهذا دليل على تأثير هذا القرار على العربي ونفسه : كما ترك مدى التقدم الذي يشعر به الخليع ، خاتماً قيس :

سواكم عديد حين تبلى مشاهلي فلا أنا بالمحض ولا بالساغد	عليكم بعرصات الديار قاتني تعجّي على المازنان كلامها
--	--

ويحلّول الخليع أن يصل ما انتفع بيته وبين مجتمعه . . . ولكن غالباً ما يتحقق لأنه يظن أنه امتلك ناصية حریته تكون عين عليها وعين على قبيلته . ويسقط في امتحان



عودة الانتقام وينتصر بانطواه تحت زمرة من الخلام المشرقيين ليهددوا أمن الأفراد وانتقامهم وليشكروا جماعات من الصماليل اللصوص الذين يقسم مذهبهم على السلب والنهب .

وتبرز ظاهرة الصملكة من بين القراء والخلماء الذين عجزوا عن مواجهة واقعهم وعدم تغيير النظام السائد آنذاك . . . وبهذا اتخد الصماليل من الهرب وكسر طرق الانتقام الذي يحمي وجودهم مبدأ، فقطعوا كل أواش التربى بينهم وبين ذويهم ، واعتقدوا بأنهم قادرون على بناء نظام اجتماعي واقتصادي جديد . ولكن ما يبني على خطا لا بد أن ينتهي إلى الانهيار . فالنظام – أي نظام – لا يقوم على انتهاض الموتى وبالمسروقين سواء كانوا أغنياء أم فقراء ، بل لا بد من توزيع عادل لهذا المال يقوم على أساس من الجهد لا الاغتصاب والسلب . وهذا السبب أدى بالصماليل إلى وصفهم بالذؤبان ، . والذئب لا يعني الا الشر – فضربوا في الآفاق متربصين بالقبائل الدوائر . وإذا وجد بهم أمثال عروة بن الورد الذي اهتم بفنون الأغنية لمساب القراء – وكاد يكون تياراً اجتماعياً – فلا يعني أن الصماليل كفرقة جماعية كانواقادرين على تكوين انتقام جديد كبديل من الانتقام السابق لكل فرد منهم . وأيا كان تمرد الصماليل والخلماء فانياً يؤكد قضية واحدة لا ثانية لها هي ظاهرة الانتقام وإثبات مظهر الانتقام من خلالها – وإن بدا بشكله السلبي لا الإيجابي . . . ويفتهر عروة بن الورد مثلاً لظاهرة الانتقام الإيجابية في حياة الصماليل – وهو مظاهر فردي – ويبين مفهومه للانتقام بين الماضي والحاضر دون أن يهدى حاضره ماضيه في بني عبس ، فقال(١٥) :

اذا المرء لم يبعث سواما ولم يرج عليه ، ولم تعطف عليه اقاربه
فللموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تسلب مقاربته
وسائلة : اين الرحيل ؟ وسائل ، ومن يسأل الصعلوك : اين مذاهبه
مذاهبه ان الفجاج عريضة اذا ضن عنه بالفمال اقاربه

ويبرز العجز في اظهار الانتقام الجديد من خلال قلة الامن والطمأنينة فالصلوكي يعيش في خوف دائم وقلق مستمر ، ويتمثل رعبه في الفقر والتشرد اللذين سيطاردان أطفاله وذويه .

وما ضرورة البوع والتشرد والأذى الا لولي النهاج التي تفرضها حركة التمرد على الانتقام والخروج عنه . قال أبو كبير المهنلي يخاطب ابنته زهيره موطنًا ايامها على الصبر وبأنها ليست أول فتاة تفقد (أباها)(١٦) :

ام لا خلوه لباذل متكلف ؟
ازهير هل من شيبة من مصرف
جلد القوى في كل ساعة مرتبة
فارقتنه يوما بعانب نغلة
سبق العام به زهير تلهفي
إهلال ركب اليامن المتغوف

لها ينبعي المصطوك نادماً فيحن الى وطنه ونديه متلئها على ذكرياته التي انتهت
بكل لحظات الفرح التي ذهبت . قال قيس بن عيزاره (١٧) :

سقى الله ذات اتفمر وبلا وديمة . وجاءت عليها البارقات اللوامع
بما هي مقناة انيق نباتها
ميربء فترعاها المخاض النوازع
لها هجلات سهلة ونجادة
دكادٍ لا تؤوي بهن المراتع
كان يلنجو جا ومسكاً وعنبرًا
باشرافه ظلت عليه المرابع

وليس ظاهرة الانتقام والانتقام واحدة الاتجاه عند الصعاليك جميعاً ، فانما تجد
من اكذ انتقامه بصور تبدو غريبة الأطوار . فالشتمري مثلًا -قطع العلاقة القديمة بينه
 وبين مجتمعه وأرضه لاستبدل بهما أرضًا يجد فيها الأمان والطمأنينة - كما يعتقد -
ومجتمعاً لا يعرف الكذب والخداع وافتشاء السر والغدر والظلم . فارضه الجديدة هي
كل أرض تطأها قدمه لا خوف فيها ولا قلق ، ومجتمعه الجديد الذي انتهى اليه هو عالم
الحيوان وهو يمتاز بالصدق والوفاء والأنس ، ويحرص على كرامته فيقول (١٨) :

اقيموابني امي صلود مطيشكم
فاني الى اهل سواكم لأميش
وفي الارض مناي للكريم عن الاذى
لصرك ما بالارض ضيق على امري
ولي دونكم اهلون سيند عملش
هم الرهط لا مستودع السر شائع

والبيت الآخير بخاصية يبين علة الخلع والتفى : كما يكشف أيضًا أنه لا يوجد أغلى
من الوطن (المجتمع والأرض) فيه عزته وحرفيته ، وفيه يملأ كرامته . فالانتقام
والانتقام صنوان لظاهرة واحدة لا يعيش المرء إلا بهما فإذا فقد أحدهما انتهى
الآخر . فالغرير لا تتجرأ عنده العربي فذاهدها خطراً ولا سيما الاسر أو السجن ثار
لكرامته لأنه يدرك أنه سيلقى ذل الأمر وهو ان السجن . ولن تهدأ نفسية العربي
الأسير أو السجين حتى يعود إلى وطنه ليحس بصفة انتقامه . وأعود إلى قيس بن عيزاره
المصطلوك مرة أخرى وكان وقع في أمر تباطشراً وقبيلة (فهُم) فقال (١٩) :

لصرك انسى روعني يوم افتند وهل تتركن نفس الاسير الروائع
ويظهر حزيناً على خراق أهله وتسائه وأرضه وأن بناته وأهله سيكون عليه
وقال نساء لو قتلت لسائنا سواكن ذو الشجو الذي أنا فاجع
رجال ونسوان باكتناف راية إلى حثّن ثم العيون الدوامع

وقصة عبد يغوث بن وقاص العارثي تعد التمذوج الانتهازي للوطن وأياده التملق به يوم وقع أسيراً بيد (تميم) في يوم الكلاب الثاني ورفقت تميم أن تفديه بالنعمان بن جساس وطلبت منه أن يختار ميتته ، فطفل بيتشد قصيده المعروفة (٢٠) :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما يبيا
وبيعث رسالة الى وطنه مخبرا ذويه انه لا لقاء له مهم بعد اليوم فيقول متابعا :
فيما راكبا بما عرضت فيلزن
ندامي من نعمران ان لا تلاقينا
نشيد الرعام المعتز بين المتألي

ان الحسرا تقتله لانه لن تكتحل عينيه ببرؤية وطنه ولن يسمع نشيد الرعاة الجميل الذي يطرد الوديان فتترافق افصان الشجر على نفثاته .. وانه يلفظ انتقامته في ارض غريبة يزورها اشته تلو الاخرى ، فلن يلقي اهله بعد يومه هذا في عامه هذا .

أخيراً أقفت عندي بن زيد الذي يمثل ظاهرة الانعتاق من السجن؛ إذ سجن في بلاد فارس بعيداً عن دياره وأرضه .. فالأميال تفصل ما بينهما، وهيهات أن يطمئن بالله وبهذا لأنه سجن ظلماً؛ فهو يحس بالألم المض الذي يبرى عظامه، بيل أن حزنه لا يعدله؛ حزن فهو يغضّ بالآلام القراء .. ولهذا كلّه بعث رسالة إلى النعمان بن المنذر يوضح فيها ما يجري له، وما وقع، ويستعين أن تشفع قميته له ببيان الحقيقة ليعود إلى وطنه العزيب بعد ناي وبماد(٢١) :

أله قد طال حبسى وانتظارى
كنت كالغصان بالماء اعتشارى
حيثما اندرك ليلى ونهارى

ابلغ النعمان عنى مالك
لو بغير الماء حلقى شرق
ليلت شعرى عن دخيل يفترى

وقال في قصيدة أخرى مظهراً الأسى الذي سيصيب ذويه (٢٢) :

اتاك باتني قد طال جبى
ويتى مفتر الأرجاء فيه
سادين التموم على، علئى

ان ما عرضت له صور من ظاهرة الانتقام والانتقام في القصيدة الجاهلية وكل صورة تمثل التزوع الوطني للعرب في الجاهلية ، بل كل صورة توحى بالتفكير المتقدم الذي وصلوا اليه ، ويتجلى فيها قرض الحس ورقة وهو يمتلك المزة والكرياء ولا شيء أقدس منها عند المربى الا الانتقام الى الوطن .

□ الحواشى :

- ١ - اوس بن حجر : ديوان اوس بن حجر (بيروت - دار صادر - تحقيق ده محمد يوسف نجم) من ٨٣ .
- ٢ - عترة : ديوان عترة بن شداد (دمشق - المكتب الإسلامي - تحقيق محمد سعيد مولوي) من ٢٥٣ وبعده .
- ٣ - ابن قتيبة : الشعر والشعراء (القاهرة - دار المعارف- تحقيق وشرح احمد محمد شاكر) ج ١ من ٢٦١ .
- ٤ - عترة : ديوان عترة من ٣٣٦ .
- ٥ - المصدر السابق : من ٣٣٧ - ٣٣٨ .
- ٦ - المصدر السابق : من ٢٦٨ .
- ٧ - الأصفهاني : الأغاني (القاهرة - نسخة مصورة عن دار الكتب - المؤسسة المصرية العامة) ج ٨ من ٢٤١ .
و ديوان عترة من ٤٧ .
- ٨ - طرفة بن العبد : ديوان طرفة بن العبد (بيروت - دار صادر - كرم البستاني) من ٣٦ - ٣٨ .
ديوان طرفة بن العبد (دمشق - مطبوعات مجمع اللغة العربية) تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال - من ٢٧ .
٩ - وفيه قول بن عبد والتصحيف من النسخة السابقة .
- ١٠ - المصدر السابق من ١١ - ١٢ (صادر) ، والمليون من ١٠٧ .
- ١١ - المصدر السابق من ٣٢ - ٣٣ (صادر) ، والمليون من ٣٢ - ٣٤ .
- ١٢ - المصدر السابق من ٣١ (صادر) ، والمليون من ٣١ .
- ١٣ - شيخو ، لويس : شعراء التصرينية (بيروت - مطبعة الآباء اليسوعيين) من ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- ١٤ - الأصفهاني : الأغاني (القاهرة - نسخة مصورة عن دار الكتب) وزارة الشفافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر) ج ١٦ من ١٧ .
- ١٥ - عروة بن الورد : ديوانا عروة بن الورد والسموال (بيروت - دار صادر ودار بيروت) من ١٩ .
- ١٦ - الهدلioniون : ديوان الهدلioniون (القاهرة - الدار القومية للمطباعة والنشر) ج ٢ من ١٠٤ .
- ١٧ - المصدر السابق : ج ٣ من ٧٩ - ٨٠ .
- ١٨ - القاتلي ، أبو علي : ذيل الإمامي والنواود (بيروت - دار الكتاب العربي) من ٢٠٣ .
- ١٩ - المصدر السابق ج ٢ من ٧٦ - ٧٨ ، واجب المجب في شرح لامية العرب من ١٨ - ١٩ .
- ٢٠ - المفضل الضبي : القضيليات (القاهرة - دار المعارف - ط ٥ - تحقيق احمد محمد شاكر) من ١٥٥ - ٣٠ .
- ٢١ - الأصفهاني : الأغاني ج ٢ من ١١٦ وشعراء التصرينية من ٤٥٣ - ٤٥٤ .
- ٢٢ - الأصفهاني : الأغاني ج ٢ من ١١١ - ١١٢ ، وشعراء التصرينية من ٤٥٢ .

□ المصادر والمراجع :

- ١ - الاصفهاني : الاطفالي (القاهرة - نسخة مصورة عن طبعتدار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتراث والترجمة والطباعة والنشر) الجزء الثاني ، والثامن ، والرابع عشر .
- ٢ - اوس بن حجر : ديوان اوس بن حجر (بيروت - دارصادر) تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٤٧٩ م .
- ٣ - الزمخشري ، جار الله ابو القاسم (دار الوراق) الطبعة الاولى - ١٣٩٧ هـ .
- ٤ - شيفو ، لويس : شعراء النصرانية (بيروت - مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٨٩٠ م .
- ٥ - طرفة بن العبد : ديوان طرفة بن العبد (بيروت - دارصادر) - تحقيق كرم البستاني د/ت . ديوان طرفة بن العبد (دمشق - مطبوعات مجمع اللغة العربية) تحقيق دورية الخطيب ولطفي المصتاكي - ١٣٩٥ هـ - ١٤٧٥ م - وعليه اعتمدنا .
- ٦ - عروة بن الورد : ديوان عروة بن الورد والسموال (بيروت - دار صادر ، ودار بيروت) تحقيق كسرم البستاني ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٧ - منترة بن شداد : ديوان منترة بن شداد (دمشق - المكتب الاسلامي) تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٨ - القالى ، ايو على : دليل الامانى والتوادر (بيروت - دار الكتاب العربي) بلا تاريخ .
- ٩ - ابن قتيبة : الشعر والشعراء (القاهرة - دار الماراف) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية - ١٩٦٦ م .
- ١٠ - المفضل الضبي : المفضليات (القاهرة - دار الماراف - الطبعة الخامسة) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون - ١٩٧٦ م .
- ١١ - المهدلية : ديوان المهدلية (القاهرة - نسخة مصورة من طبعة دار الكتب - نشر الدار القومية للطباعة والنشر) وزارة الثقافة والارشاد القومي - ١٣٨٦ هـ - ١٩٧٥ م .



سوق سار وبها

بدايات نشوء حيّ دمشق خلال القرن السادس الهجري

عبدالرازق معاذ

حظيت مسألة دراسة المدينة العربية الإسلامية منذ حوالي عشرين عاماً باهتمام واضح ، تلمسه يبعد التدوين والمؤتمرات التي تعقد دورياً ، والكتب التي تصلو سنوياً في الدول العربية والأجنبية وتناول هنا الموضوع ، سواء من قبل المؤرخين والبغرافيين وعلماء الاجتماع من جهة أم من قبل مهندسي العمارة وتخطيط المدن من جهة أخرى .

وبالنسبة لدراسة تطور مدينة دمشق عبر العصور التاريخية ، فما زلتا نرتكز بهذا الشأن على دراسة مختصرة تعود لعام ١٩٣٤، قام بها الباحث الفرنسي جان سوفاجيه(١) ، هذه الدراسة على الرغم من أهميتها وكون الكثير من عناصرها ما زال صالحاً حتى يومنا هذا إلا أن ظهور العديد من المطبوعات الجديدة ونشر الكثير من المخطوطات التي تتناول تاريخ دمشق ، بعد ظهور هذا البحث ، جعلت مسألة إعادة النظر في هذا المقال حتمية على ضوء هذه الوثائق والمعلومات الجديدة(٢) .

من جهة أخرى تعد مسألة دراسة الأحياء سوام من الناحية التاريخية أم الجغرافية أم المعمارية ، ذات أهمية خاصة ، لكون الحي هو عبارة عن مدينة مصفرة – كما يقول سوفاجيه – فيه مسجد ومصدر للمياه (طالع - سبيل) وحمام ومويقه(٣) .

ولعل سوية صاروجا أو ما يسمى اليوم بسوق ساروجا يعد مثالاً نموذجيأ لهذه الأحياء التقليدية ، من ناحية التخطيط والعمارـة ولما فيه من أوابـد تحمل أهمية تاريخية وفنـية كبيرة .

ونظراً لما يثار حول هذا الحي اليوم من قضايا ومشكلات تتعلق بعماليـتهـ والحفاظ عليهـ وإعادة الاعتـبارـ اليـهـ ، فقد رأيناـ أنـ نـحاولـ تسليـطـ الأـضـواءـ عـلـىـ فـترةـ هـامـةـ منـ تـارـيـخـ

هذا التي وهي فترة نشوئه وبداياته وذلك قبل ان تعم السويفية في المهد المملوكي .
فقد بنيت في هذه المنطقة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي أبنية كانت
هي الأوتاد التي نسج عليها النسيج العراني لهذا العي .

سويفية ساروجا (سوق ساروجا) كان يمد ر blas من أرباض المدينة، ونتيجة من نتائج
التوسيع العراني والنشاط المعماري الكبير الذي شهدته دمشق خلال العهدين الأيوبي والمملوكي ،
هذا النشاط والتوسيع بدأ منذ المهد السلاجقى « فمنذ أن تغلب السلاجقة على الفاطميين
وطردتهم من البلاد ، استقرت الأمور وانتسبت الرعية وعندما يدقوا بالخروج من المدينة ،
وظهرت الأرياف ومنها المقنية والشاغور . وظهر ميدانان بدمشق وما الميدان الآخر
في غرب المدينة ، وميدان العصى في جنوب المدينة ، وكلاهما يمثلان الحياة العسكرية
التي كانت تعيشها هذه المدينة نتيجة العرب الصليبية حيث كان الحكم والأمراء يلمبون
الأكراة على القيل ٥١٥ م وميدان العصى كان يؤدي وظيفة أخرى سكنية ، تخص : فنادق
الحكام والسفراء ، والقوافل المهمة ، هنا بالإضافة لكون كليهما مكائن للنزعه بالنسبة
لأهل دمشق (٤) .

وفي بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي بدأ ظهور منطقة في الجهة
الشرقية من سوق ساروجة اليوم عرفت بالموينة أو عوينة العمى ، وكانت وقتها مقبرة
صغيرة تعيط بها البساطين ، ثم أنشئت عدة أوابد وقباب هناك مثل التربة الجمجمية
والتربة المعينية وتربة علاء الدين بن زين الدين ، وأمست ست الشام أخت صلاح الدين
مدرسة كبيرة هناك ، وتوسعت المقبرة وعرفت بمقدمة التجعيف أو مقبرة الأكراد لأنها خصمت
للقيادة والجنود الأكراد . وقد ذكر صاحب تاريخ دمشق الكبير ابن عساكر عدة مبان
كانت موجودة هناك . أهمها ذكره لمسجد كبير بميتارة (٥) ، وحمام قال بأنه قرب عوينة
العمى ، ومسجد طفيف ، عند عين القصارين التي عند عوينة العمى ، ومسجد شرقى
عين القصارين ، قبل أن يصعد إلى عوينة العمى (٦) .

كذلك كان في هذه البقعة مكان يصنع فيه الورق (ورقة) ، فقد ورد في جملة ما
أوقف على المرسسة التورية الكبرى : « الورقة بعوينة العمى » . وفي هذه البقعة عين تسمى
عين علي ، لعلها هي الموينة . [المنجد : خطط دمشق من ١١١ - ١١٢] .

كما أنشئت هناك دار لبيع الفاكهة تعرف عادة بدار البطيخ ، ولا شك في أن إنشاء
القلعة في تلك الفترة كان له دور فعال في تلك الفترة في توسيع العمران في تلك
المنطقة (٧) .

أما في الجهة الغربية من هذه المنطقة (عند جوزة العدباء اليوم) ، فقد أسس مسجد
كبير بمدينة وهو مسجد الوزير ، ثم أسس قربه حمام حسن .

وفي عام ٦٢٣ هـ فتح شبل الدولة كافور الحسامي خادم حسام الدين لاجن ابن ست
الشام طريقاً من عند مقبرة العوينة للصالحية ، ولم يكن لها طريق إلا من جهة مقبرة باب
الفراديس (٨) .

ولاشك في أن في وجود مسجد وحمام في كلا البقعتين يدل على وجود أهلة سكانية هناك ، وعلى بداية ظهور حي ساً يأخذ اسم سوقية صاروجا في العصر المملوكي نسبة إلى صارم الدين صاروجا المظفري (المتوفى عام ٧٤٣ هـ) وكان أميراً بدمشق أيام نائب الشام تنكر ، وهو الذي عمر هذه السوقية^(٦) .

وستعرض فيما يلي للأبنية التي بنيت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في تلك المنطقة :

١ - مسجد الوزير :

عند رأس زقاق الأرزة^(٧) ، مدخل نزلة جوزة العدباء .

بناء الوزير أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني وزير أمير دمشق ظهير الدين طفتكنين الذي حكم دمشق بين عامي (٤٩٨ - ٥٢٢ هـ) ، وقد أصبح بعد وفاة طفتكنين وزير الناج الملك بوري بن طفتكنين ، وهو الذي أمر ببنائه عام ٥٢٣ هـ لتواظطه مع الباطلتين^(٨) .

قال ابن عساكر (المتوفى عام ٥٧١ هـ) : « مسجد الوزير المزدقاني ، عند رأس زقاق أرزة . كبير ، له منارة وآمام ، وفيه ستة أبواب ، وعلى بابه ستة أبواب »^(٩) .

ولا تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ بناء هذا المسجد الذي لم يبق منه اليوم سوى كتابة بالخط الكوفي موجودة هناك ، وهذا نصها :

[(١) بسم الله الرحمن الرحيم عمل هذا المسجد المبارك في أيام مولانا الأمير^(٢) الاسفهانلار الأجل السيد الكبير ظهير الدين عضد الاسلام وعمتمد البولعة^(٣) وشرف الملة وفخر الله قواه الملوك عماد الأمراء أمير الجيوش ناصر^(٤) المجاهدين قتل أبا منصور طفتكنين سيف أمير المؤمنين^(٥) فرحم الله من صلا [هكذا] فيه ودعاه بالثانية والنصر ... أعز الاسلام وأذل الشرك^(٦) ورحم الله عبد الوزير الفقير الى رحمة الله تعالى آيا على طاهر بن سعد^(٧) بن علي المزدقاني ... بناء وفي سبيل الله أنفق عليه من خالص ماله] .

٢ - التربة النجمية :

في الموينة ، جوار المدرسة الشامية البرانية .

تنسب الى نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين ، الذي مكن دمشق عام ٥٤٢ هـ ، ولكنه لم يدفن في هذه التربة ، لأنه توفي ودفن بمصر ثم نقل الى المدينة المنورة^(٩) . وكان أول من دفن في هذه التربة ابنته شاهنشاه وذلك في سنة ٥٤٣ هـ^(١٤) ، ثم دفن فيها عام ٥٧٥ هـ الملك المنصور حسن ابن السلطان صلاح الدين [كما يدل على ذلك الكتابة التي في البناء] ، وقبره القبر القبلي من القبور الاربعة الموجودة في هذه التربة ،

لأنه سيفاً إلى هذه القبور الثلاثة قبر رابع ربما يكون قبر تاج الملوك بوري بن أبوب أخي صلاح الدين الذي توفي عام ٥٧٩ هـ ودفن في حلب ثم نقله صلاح الدين إلى دمشق^(١٦).

صفات البناء ومميزاته : بناء حجري عليه قبة موزعة على رقبتين الأولى مشمنة والثانية ذات ستة عشر ضلماً ، وهو أسلوب اشتهر به مشتق في عمارة الترب . وعلى الجدران زخارف جصية . والتربة بحالة سيئة منذ فترة طويلة .

٣ - التربة المعينية :

موقعها كما تذكر المصادر : في محله الموينة ، بين دار البطيخ والمدرسة الشامية البرائية ، أو شاليسي دار البطيخ وقبل المدرسة الشامية^(١٧) . وقد هدمت هذه التربة في زمننا .

وهي تربة أتابك معين الدين أثر الأمير الاسفهلاز مقدم عسكري دمشق ، والحاكم الفعلي لدمشق في أيام « أبي بن محمد بن بوري بن حلتكين الذي كان صغير السن عندما توفي والده تاركاً له حكم دمشق سنة ٥٣٤ هـ^(١٨) ». وهو والد زوجة نور الدين محمود بن زنكي المدعوة عصمت الدين خاتون ، والتي تزوجها السلطان صلاح الدين عقب وفاة نور الدين . ومنين الدين أثر هنا بني المدرسة المينية غرب الجامع الأموي^(١٩) .

صفات هذه التربة ومميزاتها : كانت مبنية بحجارة بازلتينية ضخمة ، وتماثل في أسلوب عمارتها الترب التي عمرت في تلك الفترة مثل النجمية .

وكان على باب التربة كتابة بالخط النسخي ، وهي الآن في المتحف الوطني ، وهذا نصها :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الناس انواعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا

(٢) ولا يفرنكم بالله النور عملت هذه القبة على قبر الأمير الاسفهلاز الكبير .

(٣) أتابك معين الدين الفقير إلى رحمة الله الشهيد السعيد أثر رحمة الله توفي يوم الأحد

(٤) سابع عشر ربيع الأول سنة أربعين وأربعين وخمسة وأربعين وأرقت خاتون الكبيرة
اسار [مكنا] [رحهمها^(٤)] الله على هذه القبة البستان الذي بجهات الفندق واثنا عشر دكان
وثلاثة عشر بيت وقف عليها .

٤ - تربة الأمير علام الدين بن زين الدين :

في الموينة ، غربي المدرسة الشامية وشرقي التربة النجمية .

هي تربة الأمير الشاب الشهيد علاء الدين بن الأمير زين الدين وقد استشهد عام ٥٦٨ هـ والتي بنتها والدته ، كما يدل على ذلك نص النقش الكتابي على المدخل ، وهو بخط نسخي .



وقد اتبع في عمارتها اسلوب يختلف عن الاسلوب المتبع في الجمיה لكون القبة هنا قائمة على رقبتين مشتتين . وفي داخل التربة قبران .

٥ - حمام الجوزة :

يقع اليوم في وسط سوق ساروجا .

يرجع تاريخه الى النصف الثاني من القرن السادس الهجري وذلك تبعاً لشكله المعماري، لأننا لا نملك نصاً يذكر لنا تاريخ الاشاعه او اسم الباني .

القسم الجوانى من الحمام لا يزال يحتفظ بشكله الأصلى ومعلمه خلا بعض التعديلات الفرورية ، أما القسم البرانى فيعتبر حديثاً . ويعد هذا العام من أحسن وأنطاف وأنثر حمامات دمشق ، وانما أثرت قلة اقبال الناس عليه على وضعه .

٦ - دار البطيخ :

لم يبق له أثر اليوم .

اطلق اسم دار البطيخ على المكان الذي يباع فيه البطيخ ، في باذئ الأمر ، ثم توسع مفهوم هذا المكان ليشمل الموضع الذي تباع فيه الفواكه عامة .

وكانوا يسمون هذه الأماكن باسم ضرب من ضروب الشمار . ففي دمشق كانت دار البطيخ وفي بغداد مثلها ، أما في القاهرة فكانت دار التفاح .

ويعتقد أن موقع دار البطيخ يتغير بتغير التوابل وما توالى على المدينة من الغرب والغраб والهيم والبناء ، أو لضرورات اجتماعية^(٢٠) . ونستطيع تحديد موقعها هنا من نص عند أبي شامة عند كلامه عن معين الدين أنز « أن قبره في قبته بمقابر البوينة شمالي دار البطيخ الآن » الروضتين ٦٤/١ .

٧ - المدرسة الشامية الكبرى :

في محله البوينة ، وتعرف هذه المدرسة أيضاً بالحسامية نسبة إلى حسام الدين لاجين ابن ست الشام ، الذي دفنته بها^(٢١) . ويدعوها العامة بجامع الشامية اليوم .

أنشأت هذه المدرسة مت الشام بنت أيوب ، اخت السلطان صلاح الدين عام ٥٨٢ هـ [تستدل على ذلك من الكتابة التي على « الفريج الأول داخل التربية] ، وقد أوقفتها للشاقية .

وقد كانت هذه المدرسة من أكبر المدارس واعظمها ، وأكثرها فقهاء ، وأكثرها أوقافاً . والمدرسة القائمة اليوم ليست الأجزاء من المدرسة الأصلية . وللهذا البناء مئذنة حجرية مربعة ، وفي وسط الصحن تقوم بحرة مستطيلة تشبه الburas التي كانت في ذلك المهد . وتضم المدرسة تربة مسقوفة بعقود متقابلة بدلاً من القبة مثلها مثل



مدرسة الصالحية وترية مثقال في الصالحية وكلها من نفس المهد . وعلى الجدران الداخلية للتربة شاهد زخارف جصية تمدن أروع الزخارف الجصية بدمشق ، والتي تتجلى فيها المناسر الورقية النباتية والزخارف الكتابية البديمة . وتحت هذه المقود ثلاثة أضرحة في الأول دفن الملك المظيم توران شاه أخو صلاح الدين ، صاحب اليمن المتوفى عام ٥٧٦ هـ وقد نقل إلى هذه التربية عام ٥٨٢ هـ كما تدل على ذلك الكتابة التي على الضريح وهي بخط نسخي بديع . وفي الضريح الثاني دفن الأمير ناصر الدين محمد بن أمد الدين شيركوه صاحب حصن ابن عم مست الشام وزوجها الثاني وقد توفي عام ٥٨١ هـ في حصن (٢٢) ، ونقلته إلى هذه التربية ، وعلى الضريح كتابة بخط نسخي أيضاً .

أما الضريح الثالث فهو ضريح ابنتها حسام الدين عمر بن لاجين من زوجها الأول توفي عام ٥٨٧ هـ ، وقد دفنت هي بالقرب الذي هو فيه (٢٣) وعلى القبر كتابة .

وفي الجانب الشرقي للمدرسة ملاصق للتربة المصلى وهو مجد .

أخيراً نرى أن مرحلة البدايات التي تكلمنا عنها ، قد أرسست دعائهما بواسطه مبان عديدة ذات أهمية كبيرة ، عمرها ولاة الأمر وأفراد أسرهم وأمراء الجيوش ، والذين ما زال العديد من تربتهم وقبورهم باقيات في العي حتى يومنا هذا .

ونستنتج أن عملية الدفع الحضاري التي تهدتها دمشق منذ بداية المهد السلجوقي وبلفت شاروا بعيداً في المهدين الزنكى والأيوبي ، وتمثلت في توسيع الممران والنشاط المعماري ، قد وضعت الأسس لظهور حسى سيكون له شأن كبير في المهدين المملوكي والمشتاني .

ففي المهد المملوكي ، وهو المهد الذي عمرت فيه السوقية ، بنيت منشآت عديدة في هنا العي وبشكل خاص ترب وقباب مثل تربة صاروجا – وتربة بتعاصن السودوني (التربة البلباينة الثانية) – التربة الكركرية الأياسية (في حارة الورد) – وتربة مملوكية (مسجد بندق) – التربة البلباينة (تربة سيف الدين بلبان) – تربة مملوكية (هنت حديثاً وتقع تجاه المدرسة الشامية) – التربة العوادارية (هنت حديثاً ، في جوزة العديباء) .

وقد بني في ذلك المهد أيضاً مسجد جامع هو جامع الحاج برسبي (جامع الورد) – حمام الورد – وجامع ابن المنبرى (دثر) بالإضافة لبيوت ذات أهمية ومبان .

ولا شك في أن اتجاه المفول وتيمورلنك أثر على تطور هذا العي ، وعلينا أن ننتظر المهد المشتاني حتى يستعيد منه العي أهميته ويبلغ أوج تألقه ، ويصبح من أرقى أحياه دمشق ويطلق عليه اسم استانبول الصغيرة . من ذلك المهد ورثنا مبان عديدة مثل حمام ومسجد القرمانى ومساجد عديدة ، وبيوت تعد من أجمل وأهم بيوت دمشق مثل بيت المرادي الذى هدم في زمننا العالى ، وبيت سبع الذى هدم أيضاً ، وبيت المظيم (متحف دمشق التاريخي اليوم) .

العواجمي : □

- استندت لإنجاز هذا البحث من المجموعة الوثائقية التي يملكتها والدنا الباحث والمؤرخ خالد معاذ .
- ١ — J. Sauvaget : « Esquisse d'une histoire de la ville de Damas », Revue des Études Islamique, IV, 1934.
- ٢ — N. Elsséeff : « Damas à la lumière de théories de Jean Sauvaget », in The Islamic City, Bruno Cassirer Oxford and University of Pennsylvania Press, 1970, pp. 157-177.
- ٣ - السوية هي عبارة عن سوق غير متخصص ، تختص بـ الأحياء السكنية وبيع ما يحتاج إليه كل من لوائح ضرورية وغذائية بشكل خاص . J. Sauvaget : « Esquisse », p. 452-453 .
- ٤ - Ibid, p. 460 وراجع بحثنا أسماء المرأة في العمارة بم دمشق خلال العهد الأيوبي ، التراث العربي ، العدد ٢٩ ، تشرين أول ١٩٨٧ ، ص ٢١٦ - ٢٢٥ .
- ٥ - ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الثانية القسم الأول - خطط دمشق ، تحقيق صلاح الدين المتبد ، ص ٨٧ .
- ٦ - المصدر السابق ص ١٩٤ .
- ٧ - صلاح الدين المتبد : خطط دمشق ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .
- ٨ - أبو شامة : دليل على الروضتين ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٥٠ .
- ٩ - ابن العاد العجيلي : ثغرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، بدون تاريخ ، ١٢٨/٦ .
- ١٠ - آردة : محلة مكانها اليوم هي الشهداء في طريق الصالحة . ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحة ، القسم الأول ، ص ١٨ . مقدمة المحقق .
- ١١ - ابن القلائسي : دليل تاريخ دمشق ، تحقيق : أميروزن ، ليدن ، ١٩٠٨ ، ص ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ .
- ١٢ - ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (خطط دمشق) ص ٨٨ ، وانظر أيضاً ابن شداد : الأخلاق الفطيرية في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : سامي الدهان ، دمشق ، سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص ١٢٨ - ١٤٧ .
- ١٣ - ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، بدون تاريخ ، ٢٧٢/١٢ - ٢٧٧/١٢ . ابن إبراهيم العجيلي : شفاء القلوب في مطالببني أيوب ، تحقيق : ناظم وشيد ، بشداد ، ١٩٧٨ ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- ١٤ - أبو شامة : الروضتين في أخبار المؤمنين ، بيروت ، بدون تاريخ ، ١ / ٥٥ .
- ١٥ - المصدر السابق ١ / ١٤١ .
- ١٦ - ابن كثير : البداية / ١٧ / ٣١٣ .
- ١٧ - ابن القلائسي : دليل تاريخ دمشق ص ٣٠٦ - أبو شامة : الروضتين ١ / ٦٤ .
- ١٨ - أبو شامة : المصدر السابق ، نفس الصفحة . ابن خلكان : وفيات الأعيان وآياته إبانه الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ٤ / ٤٧ .
- ١٩ - النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر العسني ، دمشق ، ١ ، ١٩٤٨ ، ١ / ٥٨٨ .
- ٢٠ - المتبد : خطط دمشق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- ٢١ - أبو شامة : دليل على الروضتين ، ١ / ١١٩ .
- ٢٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢ ، ٤٨٠ / ٤٨٠ .
- ٢٣ - أبو شامة : دليل على الروضتين : ١ / ١١٩ .

التعاون الثقافي الإسباني العربي

راشد الكيلاني

تبذل إسبانيا جهوداً كبيرة من أجل نشر لغتها والتعريف على حضارتها العربية في مختلف أرجاء العالم، وعلى الأخص في بلدان أمريكا اللاتينية والعالم العربي ، فشعوب أمريكا اللاتينية يعتبرون إسبانيا هي الوطن الأم ، فثقافتهم من ثقافتها ، وحضارتهم من حضارتها ، ولغة معلمهم هي لغتها نفسها .

أما في العالم العربي فقد يكون الأمر مختلفاً . فالثقافة العربية هي أحد الروافد الرئيسية للحضارة الإسبانية ، إذ امتهنت هاتان الحضاراتان في الماضي وتفاعلتهما طوال ثلاثة قرون ، ليتخرج عن ذلك حضارة خاصة . فموقع إسبانيا الجغرافي جعلها صلة وصل بين أوروبا والعالم العربي ، وقد قامت إسبانيا برسالة حضارية بناءة في هذا الصدد . ويقوم المهد الإسباني العربي بمديرية الذي كان يرأسه السيد سفير إسبانيا بدمشق حالياً خيسوس ديو ساليدو بنشاطات ملحوظة وأعمال كبيرة ، منهاجاً أحياء التراث العربي الإسباني ، كإصدار الكتب والمجلفات والقيام بالمعارض وطبع المخطوطات . واقامة الندوات ، كندوة عبدالرحمن الأول سقر قريش التي استضافتها دمشق منذ عهد قريب . هنا بالإضافة إلى المراكز الثقافية الإسبانية المنتشرة في معظم المواصم العربية ، والتي تقوم بجهود مشكورة ، وأخص بالذكر هذا المركز الذي نحن برحابه ، والذي يقوم بنشاط واسع ، يفضل عمل رئيسه السيد خوان ماركتو سانتشيز وبإشراف وتوجيه السفارة الإسبانية بدمشق .

ولدت صيغات في الماضي في إسبانيا تطلب طمس كل أثر عربي ، وتقول بوجوب محو العقبة العربية من تاريخ إسبانيا . وقد انجر يادئ الأمر إلى اعتناق هذا التفكير كثيرون ، خاصة خلال فترة الانتصار حيث كان يسود شعور الكراهية ، لهؤلاء الذين كانوا يعكمونهم باسم دين غير دينهم ، وباسم قومية غير قوميتهم . غير أن المقل والمنطق ما عتما

أن تطلبنا ، فلاؤقتروا تبديل معايير الآثار والأوابد العربية ، بل وياشروا بترميم ما أصابه التلف منها ، فهذه المالم هي الآن ملك لهم وتشكل جزءاً من تاريخهم ، فليتم أن يحافظوا عليها دون تبديل أو تغيير ، فهي ليست ثروة عمرانية وحضارية فحسب ، لكنها مصدر ما لجذب السياح من كل حب وصوب ، وهكذا أصبحت الساحة في إسبانيا من أكبر الصناعات التي تدر عليها الربح الوفير . فتطور التفكير وأعتبرت حقبة الحكم العربي جزءاً من تاريخ إسبانيا مثلما مثل باقي المهد ، الروماني والجرمانى والقوطي ، فحضاررة الأمة هي محصلة لختلف الحضارات المتعاقبة عليها عبر تاريخها . والحقيقة فإن هذه الحضارة التي سطع نجمها في إسبانيا ، لم تكن قائمة على اكتاف العرب وحدهم ، بل اشتراك في انشائها جميع سكان الأندرس من عرب واسبان وبربر . وقد اعتنق الإسلام أعداد كبيرة من سكان شبه الجزيرة الإيبيرية ، ومع مرور الزمن أصبحت لغتهم هي العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ، بالإضافة إلى أن السكان الذين فضلوا الاحتفاظ بيديهم ، قد تعرّبوا كذلك ، فصار قسم كبير منهم يعيشون في مختلف العلوم والأداب والفنون . إن هذا التعاون الحضاري الذي جرى في إسبانيا بين الشرق والغرب قد أعطى البشرية خيراً كبيراً ، وكانت له ثمار يائنة القطاف ، فتبادل الثقافات بين الشعب مع الاحترام المتبادل والماملة المادلة قد أدى إلى تفتح المبادرات وتنفتح العقول في الماضي ، ويبعد أن يؤودي إلى نفس هذه النتائج في هذا العصر .

لم يكن من عادة العرب إكراء الشعوب التي يحكمونها على اعتناق الإسلام ، بل ترك لهم الحرية بعد أن تبين وشرح لهم أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها ، فمن يعتقد أن الإسلام يصبح متساوياً مع بقية العرب المسلمين في العقوق والواجبات ، له ما لهم وعلىه ما عليهم » لا فضل لعربي على أعمى إلا بالتقوى « . أما من يعي على دينه فهو حر في عباداته وطقوسه وعاداته ، ولا فرق في المعاشرة بينه وبين المسلم إلا في دفع الجزية مقابل اعفائه من تأدية الخدمة العسكرية . هذه هي أوامر القرآن » لا إكراء في الدين « .

وقد مهد العرب لجميع الشعوب التي حكموها الطريق للاندماج في مجتمعهم ، وأنسحوا لهم المجال لتقلد جميع الوظائف والقيام بجميع الأعمال التي يرغبون القيام بها .

لم يجد طارق بن زياد وموسى بن نصیر مسوية كبيرة في احتلال شبه الجزيرة عام ٧١١ م . ذلك أن الأوضاع فيها كانت سيئة للغاية ، فاللهوة كبيرة بين الحكام وأفراد الشعب الذين كانوا يعيشون في حالة بؤس ، ويملكون صنوفاً من الأضطهاد والتفرق الاجتماعية والاقتصادية ، لذلك رحبوا بالفاتحين الجدد واطمأنوا لعدالتهم وحسن معاملتهم . غير أن عهد الفتوحات الأولى الذي يدعى بهم الولاقوالذي دام ١٤ عاماً ، لم يكن سوى عهد تثبت للحكم ، فنهد الأذى ، قد بدأ مع عبد الرحمن الأول صقر قريش ، الذي فرّ من دمشق متخفياً خوفاً من بطش العباسين اثر سقوط الدولة الأموية . وكان أن أصبح هذا الشاب الأموي المفامر والطموح ، بمداد جيشه مضيق جبل طارق بوقت قصير سيد



الأندلس بلا منازع ، فجلب إليها الاستقرار خلال حكمه الذي دام زهاء ثلث قرن ، وأخذت في أيامه تتفتح أكمل الثقافة والأدب والفن ، وتتقدم مختلف المعلوم ، وتطورت الحضارة القادمة من المشرق العربي أبواب الأندلس ، فتفتح أمامها هذه الأبواب مشروعة على مصراعيها لتتجه الرفاهية والتقدم والازدهار .

ان الحديث من العصارة الأندرسية او حضارة اسبانيا المسلمة يبقى مبتوراً مما كان عبيقاً ، ذلك لأن تاريخ هذه العصارة لم يكتب بعد بشكل صحيح ، ويجد الباحث متعرقات عن هذا التاريخ بمثيرة هنا وهناك . وقد وصلت هذه العصارة إلى ذروتها في وقت من الأوقات عمماً وشموليةً وعطاءً . ولم تشهد قط شبه جزيرة ايبيريا نظير ما شهدته خلال العقبة العربية الإسلامية . وعلى الرغم من أن العديد من معالم هذه العصارة قد ضاع ، فإن ما نجا من الدمار قد قدم للعالم معلومات وثروات لا ينضب معينها ، تشهد على أن هذه العصارة قد كانت أساساً لمهد النهضة في أوروبا [رويسانس] .

تقول الباحثة الألمانية الدكتورة سيفرييد هونيكيه في كتابها « فضل العرب على أوروبا » ، إن العرب قد حلوا رسالة عالمية وإن الدين الذي في عنق العالم للعرب كبير . إن العرب أصحاب نهضة علمية فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ، فقد بقوا شمائية قرون يُشمون على العالم علماً وأدباً وفناً ، وهم الذين أخرجوا أوروبا من الظلمات إلى النور . وتضيف قائلة : إن المثل الإسباني هو أكبر دليل على ما أقول . فقد أصبحت في غضون مائتي عام من الوجود العربي فيها ، بلداً غنياً متقدماً ، ارتفع مستوى حياة شعبه ، وانتشر فيه التعليم وأزدهرت الثقافة بين سائر طبقاته ، فأضحت إسبانيا علينا وفتنا أرقى من سائر الدول الأوروبية ، وصارت مثلاً يحتذى وهنّا يقصده طلاب المعرفة من كل فوج ، وطلت تحمل لواء العلم والمعرفة خمسة عشر عام . وقد عرفت إسبانيا كيف تتنقل الثقافة العربية التي ورثت الثقافات التيمية اليونانية والفارسية والهندية عرفت كيف تنقلها إلى أوروبا ، وكانت هذه الرسالة التي نهضت بها إسبانيا تستحق التقدير والاعجاب . إن القول بأن دور العرب لم يتعذر دور سامي البريد الذي اقتصر على نقل التراث القديم إلى أوروبا عن طريق إسبانيا ولم يأت من عنده بجديد هو افتراض . فإن ما واجهه العرب عند الاتصال الأخرى لم يكن كافياً لسد حاجاتهم وارضاً مطهوراً لهم فأقبلوا على البحث والتنقيب الذاتي ، فكان لهم انتاج واختراع في مختلف النواحي العلمية والأدبية والفنية والفلسفية ، وهذا الانتاج وإن اعتمد على تراث من سبقهم إلا أنه كان تجأراً خاصاً بهم ، أغنوا به العالم وقدموثرات لا تقدر بشئن لأسس الحضارة الإنسانية ١٠ هـ .

خطت الأندلس خلال المهد الأموي الذي دام ثلاثة أضعاف حكم أجدادهم في دمشق ، خطوات جبارية في مختلف نواحي الحياة . فتقدمت الزراعة تقدماً ملحوظاً ، بحيث أصبحت إسبانيا مزرعة كبيرة . واستخدمو فيها وسائل تنمية متقدمة كما جلبو إليها أنواعاً جديدة من المزروعات والخضار والفاكه من المشرق ، كالنخيل والوردة الع麝ية والمشمش

الذى يدعى بالاسبانية دمشق وغير ذلك كثير. فعندما يقصد أحد الأوربيين اليوم صيدلية أو حانوت تريلاق ، ويطلب شراء جوزة الطيب والقرفة والجنزبيل والكمون والطربخون والمنبر فانيا يتكلم بمفردات عربية ، جاءت معرفتها عن طريق العرب ، وأضفت على حياة الأوروبي الكبير من الكثير من المتعة والرفاه ،

أما المغاربة فقد خطوا خطوات جبارة في المهد الأموي وما بعده ، بدأه عبد الرحمن الأول واستمر به خلفاؤه فيما بعد ، فبنيوا المدن والقصور والمساجد والمنارات والمستشفيات ، وأقاموا السدود لجمع المياه ونقلوها بواسطة القنطر والآفاقية من أماكن بعيدة .

ويعد جامع قرطبة آية في الفن ، يقوم على ١٨٠٠ عمود من المرمر ، موزعة بطريقة تخلب الآلباب ، وكان المصلون يدخلونه من ٢١ باباً مزينة بأجمل النقوش . كما أقيمت في قرطبة منشآت عمرانية آية في الروعة ، أشهرها ضاحية الزهراء التي أنشئت على طبقات متدرجة ، على منحدر جلي ، ففي الطبقة السفلية انبسطت العدانق والبساتين ، وفي الطبقة الوسطى قامت منازل موظفي البلاط ، أما قصر الخليفة فكان يشرف على كل ذلك ، وهو آية في الروعة والفخامة . زينت قاعته الكبرى بالذهب والرخام ، وأشرقت في وسطها جوهرة كبيرة أهدتها إمبراطور القسطنطينية للخليفة . وكان للقصر ١٥٠٠ باب وفيه ٤٣٠٠ عمود . أما قرطبة عاصمة الخلافة فقد أصبحت مدينة عظيمة ، بلغ عدد مكانتها نصف مليون نسمة في مطلع القرن العاشر ، وكان يحيط بها ٢٨ ضاحية وفيها ١١٣ ألف مسكن بينما لم يكن في أوروبا مدينة عند القسطنطينية لديها أكثر من ٣٠ ألف مسكن ، كما كان في قرطبة (٦٠٠) مسجد و (٣٠٠) حمام و (٥٠) مستشفى و (٨٠) مدرسة عامة و (١٧) مهندسات بيويا و (٢٠) مكتبة عامة . أما عدد سكان الأندلس فقد بلغ في القرن العاشر (٣٠) مليون نسمة . وكانت قرطبة مركزاً تجارياً كبيراً يعيش معظم سكانها عيشة راقهة . وقد بلغ دخل الدولة من الضرائب أكثر من ستة ملايين دينار في العام ، كان يرصد ثلثة لف涕ية نفقات الدولة الجارية ، وثلثة على مشروعات المغاربة ، ويدخر الثلث المتبقى كاحتياط في خزانة الدولة . وقد اضطرب تجارة قرطبة في أربعين السنين ، إلى حد كثيارات كبيرة من التصعّب لعدم تدفق الأسمار .

غير أن أعظم آثار الحضارة الأندلسية أو إسبانيا المسلمة هي الإنجازات العلمية والثقافية ، وهي التي كانت حضارة الأندلس ، ورسخت جذورها ، وجعلت تأثيراتها عظيمة على البلاد التي حولها ، فأصبحت مركز اشعاع للعلم والمعرفة ومحجة يقصد بها طلاب العلم من كل حدب وصوب . ولم يقتصر هذا الاهتمام بنشر العلم على عهود الترقا أيام الدولة الأموية ، بل مار على هذا المثال ملوك الطوائف أيضاً ، حين انفرط عقد الخلافة ، وأصبحت الدولة دويلات متعددة . أما خلال العهد الثاني للقومة ، أيام حكم المرابطين والموحدين ، فعلى الرغم من انحراف مؤلام إلى حياة الشوشنة والزهد ، جربوا على طريقتهم الدينية المتزمتة ، فإن خلفاءهم ما عتموا أن عادوا فاندمجو في حياة الأندلس

الراقية ، وجدبهم ثقافتها وحضارتها ، فاكملوا رسالة أسلافهم في رفع راية العلم والأدب والفن ، وأطلق حرية الفكر .

ولا شك بأن الاقبال على الثقافة والعلم يتطلب العناية بالكتب والحصول عليها ، لذا فقد شفف الأنجلسيون عامة وأهل قرطبة بشكل خاص باقتنام الكتب . ففي ضاحية قرطبة الفريبة فقط ، كانت ١٧٠ / امرأة تكتسبين عيشهن من نسخ الكتب . وكان ينشر في قرطبة كل عام ٦٠ / ألف كتاب ، كما كان في مكتبة الحكم الثاني ٥٠٠ / ألف كتاب وقد علق على هواش الكثير منها ، كما كان يجعل مكتبته على ثلاثين جملأً أينما حل . ويقال بأن فريدريك الثاني ملك مقلية النورماني قد اقتدى به بعمل مكتبته معه في ترحاله . وقد قلد الأنجلسيون ملوكهم ورؤسائهم ، فكان وجود مكتبة في كل منزل ، من مستلزمات الحياة الاجتماعية والثقافية .

يذكر المؤرخون بأن محمد بن اصحى الذي كان سفيراً لدى بلاط بيزنطة ، علم أنه يوجد في الأنضول مكتبة يونانية عظيمة الشان ، في أحد المبادر اليونانية القديمة المقلقة ، فطلب الحصول على هذا الكنز الشميم ، لكن الاسيراطور رفض فتح الميد الذي أغلق منذ أن اعتنق البيزنطيون المسيحية ، الا أن السفير العربي أصر والعن بالرجاء ، واخيراً أذن الاميراطور له فعمل من الميد الفا من الخطوطات ، كان بعضها ممزقاً وبعضاً الآخر قد اتلفته التوارض . وقد قدم لإنقاذ هذه المكتبة خدمة كبرى للحضارة الإنسانية .

بينما نجد الدولة المنصرة اليوم تطلب من الدولة المهزومة تسليمها ما بعوزتها من سلاح وعتاد ، نسمع أن الحكام العرب كانوا يطلبون من خصومهم عند اتصارهم بالمارك تسليمهم الخطوطات التي لم تترجم إلى العربية بعد ، كما فعل كل من هرون الرشيعي المأمون ، فهذه المكتب ، كما قال المأمون ، هي الأسلحة المقلية التي يُستسلح بها في سبيل السلام .

قامت لجنة إسبانية بالكشف على التراث العربي الذي أمكن إنقاذه ، والموجود في المكتبات الإسبانية ، فتبين لها أن هناك ثروة من الخطوطات العربية لا تقدر يشن .

كان في قرطبة سوق لبيع وشراء الكتب ، وكان يقال اذا أراد اشبيلي أن يبيع كتبه التي بها الى قرطبة ، وإذا أراد قرطبي أن يبيع آلات الموسيقى التي بها الى اشبيلية .

أما المدارس والمعاهد التعليمية فقد كانت منتشرة في كل مكان ، وكان الطلاب يقطنون فيها ، كما يتناولون في معظم الأحيان مرتبات شهرية ، لسد حاجاتهم ونفقاتهم الخاصة . أما الطريقة العادلة لطلب العلم فهي التوجّه الى الجامع ، فالمساجد ليست للعبادة فحسب ، بل هي دور للعلم أيضاً .

ازدهرت الجامعات في الأنجلس منذ القرن التاسع م ، وصارت تجذب المتعلمين للعلم من مسكان أوروبا ، ومن أشهر الذين تخرجوا منها جبرين تودي أو فيربينا الذي جلس على كرسي البابوية فيما بعد باسم البابا سيلفستري الثاني . أما حركة الترجمة فقد

نشطت نشاطاً كبيراً ، وكانت تجري باتجاهين ، أولهما ترجمة أمهات الكتب إلى العربية وثانيها ترجمتها إلى اللاتينية ، وأهم مركز للترجمة كان في طليطلة ، ويرجع فضل كبير لمطران طليطلة ريموندو بتنشيط حركة الترجمة إلى اللاتينية ، وكان من أشهر المתרגمين الشمام دومينجو كونسالفو وخوان بن داود ، اللذين ترجمما كتب ابن سينا والفالزالي وابن جبرول ، وقام يوحنا الإسباني بترجمة كتب الغوارزمي . كما قام اليهود والاسبان المستعربون بالتالييف أيضاً ، فقد وضع ابن عزرا عدة مؤلفات في الفلك والطب والفلسفة ، أما ابن ميمون الذي تولى التدريس في جامعة أشبيلية ، فقد وضع مؤلفات في الفلسفة والطب ، ثم رحل إلى المشرق وعين لبيبا خاصاً للسلطان صلاح الدين الأيوبي . ولكننا نستطيع القول بأن أشهر المتحدرين من أصول إسبانية من بين علماء الأندلس هما : ابن رشد وابن حزم . فقد وضع ابن حزم مؤلفه الشهير « الفصل في الملل والأقواء والنحل » وهو كتاب لم يسبق له نظير في الأدب العالمي . يحوي دراسة مقارنة بين مختلف الديانات والنحل اليهودية والسيجية والإسلامية . كما ألف كتاب « طرق العمامات » وهو مقطوعات غنائية شعرية وشعرية في الحب والمشق ، وقد كان له تأثير كبير في ادخال فكرة العب العذري في الأدب الأوروبي . ويقال بأن شعره هذا كان من الأسس التي قامت عليها أناشيد الترويادور أي شعراء الطرب الجواليين .

وصل طليطلة جورج فون كريمو ناماً فدمن قبل ملك صقلية ، لترجمة كتاب الماجستي المشهور لبلطيموس ، ولكن ما أن حل هذا الرجل في أندلس ، حتى استولت عليه الدعشة ، من علو شأن هذه الثقافة التي أصبحت بمتناول يده ، فيقي مدة عشرين عاماً في الأندلس ، ترجم خلالها أكثر من ثمانين كتاباً إلى اللاتينية .

وما كانت أوروبا تتسلم هذه الثروات القيمة من المعلوم والمعرف ، حتى تفتحت المقول فيها وجاءت بنتائج خيرة ، فبدئ بإنشاء الجامعات العلمية وكان أولها جامعة ساليرنو الطبية في إيطاليا ، ثم تدفقت هذه الينابيع الشرة إلى مونبيليه وبولونياباريس وأوكسفورد وغيرها ، وكانت هذه الجامعات تستخدم الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية .
والطبيب الذي يبرز اسمه في هذا المجال هو الرازى وكتابه « العاوى » الذي هو دائرة معارف طبية كبيرة .

كانت نسخة من هذا الكتاب موجودة في مكتبة كلية الطب بباريس ، وعندما أراد استمارتها ملك فرنسا لويس العادى عشر طلب إليه دفع تأمين باهظ ، نظراً لحرص الكلية الكبير على هذا الكتاب .

والرازى هو الذي استطاع القضاء على شهرة جاليتوس بالطب ، وكان من اقتنياته بالمال الإسباني آرنولدو في القرن الثالث عشر ، الذي أتقن العربية وعمق في دراسة التراث العربي .

ويلي الرازى ابن سينا الذي عرف بكتابه « القانون في الطب » .

و كذلك الزهراوي الأندلسي مؤلف كتاب « الجراحة والألات الجراحية » الذي اشتهر بعلاج الأورام السرطانية وبتحضير الأدوية .

أما ابن رشد الأندلسي فهو صاحب الرأي القائل بأن أسباب الأمراض والأوبئة يجب التعرى عنها خارج جسم المريض ، وهذه إشارة إلى نقل الأمراض والأوبئة إلى الإنسان من قبل الجراثيم . ولابن رشد سمعة كتب طبية تسمى الكليات Colleget ، هي شروح الكتاب القانون لابن سينا . هذا إضافة إلى مؤلفاته الأخرى في باقي العلوم .

وبقيت هذه الكتب عددة دراسة الطب في العالم لمدة قرون . وكان الطب يعتبر في بلاد المسلمين أرفع العلوم شأنًا .

ومن جملة اكتشافات الأندلسين الطبية جرثومة الجرب ، التي اكتشفها ابن زهر ، كما وضعوا قواعد التشخيص ، ممتددين على النصين والبیول . ويجب الا ننسى ابن البيطار الذي كان أكبر عالم نباتي لا في الأندلس وحدها بل في العالم . فقد ألف كتاب « الجامع لفردات الأدوية والأغذية » ، الذي حوى بين دفتيره جميع الواد الصيدلية في عصره . ثم تابع العلماء الإسبان وغيرهم من الأوربيين ، فوضع كوفير تصنيفاً للنباتات الطبية على شكل قلموس يشبه تمنيفات العصر العديدي .

جاء في كتاب « فضل العرب على أوروبا » ، الخطاب التالي المرسل من أحد نزلاء مستشفى عربي في الأندلس إلى والده متذكرة قرون . وهو يظهر مدى التقدم الطبي والرعاية الصحية في تلك المصور ، سواء كان هذا الخطاب حقيقياً أم وهماً تصوريياً :

والذي العزيز : « لا تضرلي نقود عند زيارتكم لي ، لأنّه سيصرف لي عند مفادرتي المستشفى خمس قطع نقود ذهبية وكسوة جديدة ، لثلاً اضطر للعمل خلال النقاوة . اتنى أقيم في القاعة التاريخية قرب المصحى الشعبية حيث يكشف فيها على المريض القاسم مجدداً الأطباء وبرفقهم الطلبة . وقد يمرض المريض اذا لزم الأمر على كبير الأطباء ، ومن ثم يحمله المرض الى قسم الرجال بعد أن يحممه ويلبسه ملابس المرضى . نحن نتناول كشف الأدوية من صيدلانية المستشفى ، وعلى يمين قاعتي يوجد قسم الجراحة ثم قسم النساء وبعده المكتبة فقاعة المحاضرات فالقاعة التهارمية التي يرتاح فيها المرضى ويستمعون للموسيقى » . هـ « وكان في قرطبة وحدها خمسون مستشفى شبيهاً بهذا المستشفى .

قام في القرن الثاني عشر نفر من العجاج الأوربيين بزيارة قبر الرسول يعقوب في شمال إسبانيا ، فعادوا وهم أول ورقة دخلت أوروبا ، فقهافت القوم على استيراد الورق من الأندلس . وهكذا انتشر الورق في العالم فتفتح بذلك على احتكار العلم والمرفة . فقد نقل العرب عنقاعة الورق عن الصينيين ، ولكن الصينيين يقررون بأنهم اقتسوا استخدام البوصلة عن المقرب ، والأندلسليون هم أول من استخدم البارود في أوروبا ، فقد أحدثت مدفعتهم في القرن الرابع عشر التحْرُّف الشديد في المارك حتى اعتقد وقتك أن الساعة قد اقتربت وأن المدنس قد أذلت بالرُّوال .

ان ما يسمى بالفن المدجن Arte mudéjar في العمارة هو في الواقع من عمل المدججين ، أي العرب الذين يقروا في اسبانيا بعد زوال الدولة المرية . وقد أثبتت لامبر الأسمان الأندلسية لطراز عقد القنطرة في الهندسة القوطية التي انتقلت من جامع قرطبة الى قنطرة الكنائس في فرنسا وانكلترا.

اما الزخرفة فتأثيرها أقوى ، وكان في مقدمتها الزخرفة بالخط الكوفي الذي هوا جمل خط عرقه الانسان . وقد زخرفت بعواجرات بعض الكنائس ، حيث وجد بينها تحميدات اسلامية نقلها الفنانون دون أن يتثنّيوا من معانيها .

وضع الاندلسيون مؤلفات قيمة في علم الجغرافيا ، أهمها السفر الضخم للشريف الاندريسي ، وضعه في القرن الثالث عشر بناء على طلب ملك صقلية روجر الثاني النورمانى وسماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وأرفقه بكرة ارضية صنعتها من الفضة ، قطرها مترين . وكان الاندريسي قد أكمل علومه في قرطبة ، وقام في سبيل وضع كتابه هذا برحلات استكشافية طويلة ، الى القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا دامت ربعة قرون .

كما يدين العالم في الرياضيات بكثير من الفضل للعلماء الاندلسيين . ومن المعلوم أن كلمة الجبر Algebra هي عربية وتعني جبر الكسور . كما ان علم اللوغاريتمات قد وضعه العالم العربي الخوارزمي وسياسي باسمه المعرف . أما الأرقام فقد اقتبسها العرب عن الهند وانتقلت الى أوروبا من الأندلس ، وأطلقوا عليها لفظة الصفر على هذه الأرقام Chiffre لأنهم اعتبروا الصفر هو أبو الترميم وهو كذلك في الواقع .

وكان الفلك من العلوم المحبوبة عند الاندلسيين وكان برج متذنة اشبيلية الذي دعي فيما بعدAlgeralda بالخيال الدا Algernalda يستخدم مرصداً ، ومن المعروف أنه كان يصعد الى هذا البرج او هذه المتذنة على ظهر الدابة لأن طريقتها ذو سطح مائل وهي ذات بناء هائل . وقد صنع عباس بن فرناس المشهور بأنه أول من طار بالأندلس ، صنع قبة تشبه قبة السماء الطبيعية ، وأبدع في تمثيل الأفلاك فيها ، حتى كان يخيل إلى الناظر إليها ، أنه يرى النجوم والفيوض والبرق والرعد يشكّلها الحقيقي . وقد أنشأ الملك الغوتوس العاشر ملك كاستيا (قشتالة) مرصداً في مدينة بورغوس بواسطة مستشار يهودي درس في الأندلس .

كان البيونني أول من قال بأن الشمس هي مركز الكون عام ١٠٠٠ م وذلك قبل أن ينادي كوبيرنيك بذلك .

وطبق الاندلسيون الرياضيات في دراسة الموسيقى كما عرفوا الأنثفام المسجلة (النوتات) قبل أن يعرّفها الإيطالي جويندو دي أريتسو الذي عزي اليه اكتشافها . كما أن معظم الآلات الموسيقية الحديثة هي تطوير للآلات التي كان يستخدمها العرب ، مثل القيثارة والمنبورة والرباب والبوق والناي . ومن المعروف أن البيانو هو ابن القانون . ويعتبر

المنفي الأندلسي ندياب أعيوبية زمانه ، وهو الذي طور المود فجعله أخف وزناً بثلث المود
القديم ، وأضاف إلى أدواته وترًا خامساً كذلك .

عندها يسمع الإنسان الموسيقى الإسبانية الأصلية والفنان الفنان المسمى فلامتكو ،
يشعر بالحال بالملقة الوثيقة بينه وبين الموسيقى والفنان العربي . فقد تأثر كل منهما
بآخر ، وظهر في جديد بين هذا وذاك .

إن ما نلمسه في شعر الأندلسيين من رقة في الأحساس وعمق بالعواطف ، ومن استجابة
للمقاطن الطبيعية ، إنما هو ارث إسباني ، كمان شعر الرجل والأرجوزة والموشحات ما هي
إلا فن أندلسي تأثر بالشعر الإسباني وأدخل إلى العربية . كما أصبح شائعاً في أوروبا
ولكن بطريقة أخرى ، على السنة شعراً الفنان الجليل التربوي بأدور وهذه الكلمة أصلها
عربي من الطرف . فقد اجتاز شاعران مولдан من أصول إسبانية هما الأعمي ابن معافى
وابن قزمان ، مبتكرة الرجل والأرجوزة ، على تعليم وحدة الشكل الروتينية التي تمتاز بها
القصيدة العربية ، فجزءاً منها إلى أساسات متعددة ، مقلدين في ذلك الشعر الإسباني .

يعتبر ابن رشد القرطبي Averros من أشهر فلاسفة الأندلس الذين مهدوا
بواسطة مؤلفاتهم وشرفهم لدراسة الفلسفة اليونانية عامة وفلسفة أرسطو خاصة . وقد
وُجد في مكتبة الإسكندرية بمدريداً /٨٧/ مؤلفاً لا ينكر رشد في الطب والفلسفة وغير ذلك .
وكان لأرائه تأثير كبير على الفكر الفلسفى الأوروبي ، فنشأ تفكير أو طريقة فلسفية
تدعى بالرشدية ، توافر لها أنصار في أوروبا طوال قرنين . أخذ عنها القديس توماً فكره
ضرورة الرحي الالهي ، وأخذ عنها سيجرماسالة قدم المالم ، أي أن هذا العالم ليس
مخلقاً في الزمان ، بل هو قد يرى قدم الباري نفسه ، وأن الله يعلم الكليات ولا يعلم
الجزئيات . غير أن هذه الأفكار الجريئة قد جلبت عليه نقمته الفقهاء بالأندلس التي أدت
إلى محنته وكراهيته الكنيسة التي حرمت نظرياته .

اما ابن خلدون الاشبيلي فقد حاول في مقدمته التي جعلها مدخلاً لكتاب تاريخ عصره ،
أن يرسم الخطوط الكبيرة لأول فلسفة تاريخية عنها الفكر الإنساني ، وتوصل إلى مجموعة
من الأفكار والمستنتاجات الثاقبة بتجربته العملية ، كوزير ودبلوماسي وقاض ومقاض ، في حقبة
لحكم عصره في الشرق والمغرب العربي ، وكان له تأثير على تطور العلوم الاجتماعية . وقد أخذ عنه
تاريخية مضطربة . ويمثل ابن خلدون المؤسس لعلم الاجتماع . وقد أخذ عنه
الغربيون الكثير من نظرياته وقوانينه في هذا العلم ، وكان له تأثير على العالم لمدة قرون .

كان بسكال يقول لن يريد أن يحثهم على الاعتقاد بوجود الآخرة : اذا كسبتم كسبتم
كل شيء ، وإذا خسرتم لم تخسروا شيئاً . وكان تأثير الفزالي على بسكال ظاهرًا فالفزالي
قد أورد في حجته عن نفس الموضوع قول علي بن أبي طالب لمن يماري بوجود الآخرة : ان
كان الأمر على ما زعمت تخلصنا جميعاً ، وإن كان كما قلت هلكت ونجوت .

أما دائني الشاعر الإيطالي الكبير فقد تأثر بكتاب محي الدين بن عربي وبقصة المراج ، فتصوّره للجحيم والجنة في رأيته الكوميديا الإلهية ، يشابه تشابهاً تطابقياً في بعض الأحيان ، ما جاء في قصة المراج مع تفصيلاته الدقيقة .

أما الطبيب والفيلسوف ابن الطفيلي الشيشلي ، أستاذ ابن رشد ، فقد وضع قصته الفلسفية (حي بن يقطان) التي استثار اسم بطلها ، من رسالة رمزية صوفية لابن سينا . فقد تخيل ابن الطفيلي أن حي ابن يقطان هذا هو صبي يتيم ، ترك ليعيش وحده في جزيرة منزلة ، فاستطاع بواسطة التأمل ، أن يقوده تفكيره إلى وجود الخالق ، كما اكتشف بطريق الاتصال بالطبيعة الأسس الفضورية لقوانين هذه الطبيعة . وقد ترجمت هذه الرسالة إلى مختلف اللغات وحاصلت على إعجاب المفكرين . وقد أوحىت هذه القصة إلى ديفو بقصة روبنسون كروزو الشبيهة بها .

ترك رحالتان عربيان للتراث الإنساني والثقافة العالمية صورتين زاهيتين عن المضاربة الشرقية في عصرهما . وهما ابن جبير المولود في بلنسية عام ١١٤٥ م وابن بطوطة ، المولود في طنجة عام ١٣٢٥ م أبهر ابن جبير عام ١١٨٣ لأداء فريضة العجيج ، وما ان انتهى من حجه حتى بدأ رحلته الأولى إلى بغداد فللموصل فحلب فدمشق فعكا ، ومنها إلى صقلية ، ووصل غرناطة عام ١١٨٥ م أي أن رحلته دامت ثلاثة أعوام . غير أن العذين إلى الأسفار لم يلبث أن جذبه بعد أربع سنوات ، فولى وجهه مرة أخرى فقتل المشرقي ، حيث قضى عامين آخرين . وعندما بلغ سن الثالثة والسبعين غامر برحلة أخيرة إلى الشرق أيضاً ، ولكن المنية أدركته قبل أن يصل إلى الإسكندرية . وكان قد دون قبل ذلك مشاهداته بأسلوب بارع خال من تصنّع المحترفين .

والخلاصة أن الشعب العربي والشعب الإسباني قد تعاونا أثناء احتقام زمنية متطاولة في إنشاء حضارة متالقة ، على ربوغ شبه الجزيرة الإيبيرية . رسمت معالمها في تاريخ الشعبين المريقين ، وعلى مختلف الميازين ، وأمدت أوروبا ببنابيع المعارف والعلوم . ونأمل أن يبقى هذا التعاون عميقاً ، بل أن يزداد ، وذلك في سبيل ازدهار حضارة البحر الأبيض المتوسط ، وتقدم الحضارة العالمية وفي سبيل توطيد السلام العالمي والأخوة الإنسانية .



الطواف حول البحر الأحمر

من

«القسم الثاني»

ابراهيم خوري

الفصل الأول

بندر ميوس (١) المصري أول البنادر المنشأة على البحر الأحمر ، وأعطيت الأسواق حوله . ومن يبحر منه ، يصل إلى بندر برنيكي (٢) على اليمين بعد قطع ١٨٠٠ ستاديون (٣) . ويقع هذان البندران على تخوم مصر في خليجين من البحر الأحمر .

الفصل الثاني

وتمتد أرض البربر (٤) على اليمين أيضاً ، وتجاور برنيكي . ويقطن بجانب البحر أكلة السك (٥) الذين يسكنون مسوارات ، تتوزع هنا وهناك في الأجوان الضيقة . ويستوطن البربر في الداخل ، ويأتي خلفهم أكلة الوحش (٦) وأكلة الأعشاب البرية (٧) الخاسرون لسلطة زعمائهم . وتقوم مدينة كبيرة تدعى ميروبى (٨) وراءهم في الداخل لجهة الغرب .

الفصل الثالث

وتلي سوق صفيرة قريبة من البحر أرض أكلة الأعشاب ، وتبعد حوالي ٨٠٠٠ ستاديون عنها ، وتدعى بـ توليماس الصيد (٩) التي كان صيادو الملك يتغذونها قاعدة لهم في عهود البطالسة . ويعرض في هذه السوق ذيل سلاحف بحرية صحيح ، وذيل سلاحف بحرية صفيرة أبيض وأصفر . ويعثر هنا أيضاً على قليل من العاج ، الشبيه بعاج أذولي (١٠) . ولا يندر لهذه السوق ، ولا يوصل إليها من البحر إلا بزوارق صفيرة .

الفصل الرابع

وتلي سوق أذولي العادية سوق بيتوليماس السيد ، على مسافة حوالي ٣٠٠٠ ستadiون عنها ، في خليج عميق يتجه الى الجنوب . وتقابلاها جزيرة أورييني^(١) ، التي تبعد ٢٠٠ ستadiون في عرض البحر عن طرف الخليج الاقصى ، وتوzioni ساحلي البر الرئيس من جهتها ، وترسو فيها السفن الداخلة الخليج هرباً من هجمات أهل البر ، في حين كانت في الماضي تطرح في وسط الخليج بالذات ، في الجزيرة المسماة ديدورس^(٢) التي تقترب من البر ويصلها به معبر يسلكه البرير المنطلقون من أرضهم ليهاجموها . وأذولي على البر مقابل أورييني ، وعلى مسافة عشرين ستadiون عن البحر ، وهي قرية متوسطة العجم على مسيرة ثلاثة أيام من كلوبى^(٣) ، المدينة الداخلية وسوق العاج الأولى . ومن كلوبى الى أكسوم^(٤) مسيرة خمسة أيام . وأكسوم مدينة كبيرة يجلب اليها جميع العاج من وراء النيل عبر المقاطعة المدعوة كينيون^(٥) ، ومن ثم الى أذولي . ذلك أن جميع الفيلة والكركدنات التي تصاد ، ترعى في الداخل ، وان كانت تسرح أحياناً قرب البحر بنواحي أذولي . وتناثر جزيرات رملية عديدة تسمى لا لايو^(٦) في عرض البحر بعد هذه السوق الى جهة اليمين ، ويعثر فيها على ذيل السلاحف البحريّة ، الذي ينتهي أكلة السمك الى أذولي .

الفصل الخامس

وينفتح في البر خليج طويل آخر ، على بعد ٨٠٠ ستadiون تقريباً . ويمتد على يمين مدخله رق رملي كبير ، يرسب في قعره حجر السبع (أبسيدين) الذي لا يشر عليه إلا في هذا المكان وحده . ويعكم زوسكليس هذه الأنجاء من أرض أكلة الوحش حتى أرض البرير . وله عليهم أسباب حياته ، ويتعين فرضها . وهو سامي المبادئ ، وضليع بالأداب اليونانية .

الفصل السادس

وتجلب لجميع هذه الأماكن قطع الثياب البربرية غير المقصّرة من مصر ، وأردية أرسينوي^(٧) ، والماطف الفضفاضة الملونة المقلدة ، والملابس الكتانية ، والماطف المهدبة ، والمديمن أنواع الأواني الزجاجية ، وأواني المورين (المقين) المصنوعة في ذيوبولس^(٨) وخلائط الشبه التي تستعمل في العللي وسک العملة ، ومادة تسمى « الشبه المسكى بالعسل » لصنع قدور الطبيخ وأساور النساء وخلافهن ، وحديد الرماح لصيده الفيلة وسائر الوحش وللحرب ، والغوز ، والحداء ، والسيوف ، وكؤوس الشرب الكبيرة المدوره المصنوعة من البرونز ، وبضم دنانير الفباء المقيمين في تلك الأماكن ، وخمور اللاذقة وايطالية لكن بكميات ضئيلة .

وتجلب للملك الأواني الذهبية والفضية المصنوعة على طراز البلد ، وأقمشة المعاطف الفضفاضة ، وأكسيه غير مبطنة لا قيمة كبيرة لها .

كذلك يتجلب من الأنحاء الداخلية من أريكي^(١٩) الحديد والفولاذ الهنديان ، والأثواب الهندية الفضفاضة المسماة «قططان»، ومعاطف «سفماتوجيني» ، والمناطق ، والأكسيه المسماة غفتاكى ، وأكسيه الباف الغبازة ، وقليل من الثياب الموصليه ، والله الملوان .

ويصدر من هذه الأماكن الماج ، والذبل ، وقرن الترکدن (وحيد القرن) .
وتجلب معظم هذه السلع من مصر إلى السوق بين شهرى كانون الثاني وايلول ، يعني شهرى توبى وتوت . وأفضل أوقات الاتجاه مع مصر حوالي شهر ايلول .

الفصل السابع

ومن هنا يتجه الخليج العربي إلى الشرق ويضيق إلى الحد الأقصى عند أفاليتيس .
ويلاقي الذين يبحرون شرقاً على طول الساحل الأفريقي ذاته ، بعد حوالي ٤٠٠٠ ستاديون ، الأسواق البربرية الأخرى ، التي تسمى «أسواق ما وراء الباب» ، وتتوالى الواحدة إثر الأولى . وفيها جميعاً بناirs مزودة بمراسي ومرابط يمكن استخدامها في الأوقات المناسبة . وتدعى السوق الأولى منها أفاليتيس^(٢٠) ويقربها أقصر معيار من جزيرة العرب إلى الشاطئ الآخر . وتقع في هذا المكان سوق أفاليتيس الصغيرة التي يوصل إليها بالأرماث والزوارق الصغيرة فقط .

وتجلب إليها شتى الأواني الزجاجية ، والزيتون الأخضر من ديوبيوس^(٢١) والثياب البربرية المتنوعة والمدرة الصفراء ، والخمور ، وقليل من القصدير .
ويحمل منها البربر أنفسهم أحياناً على الأطوااف إلى أوكلير^(٢٢) وموزا^(٢٣) المتوايل ، وقليلاً من الماج ، والذبل ، وقليلاً جداً من المر ، وهو أجود من سواه .
والبربر القاطلون في هذا المكان عنده .

الفصل الثامن

وتأتي سوق أخرى: بعد أفاليتيس ، تختلف عنها ، وتدعى ملاوو^(٢٤) ، وتبعد عنها حوالي ٨٠٠ ستاديون بحراً . وبندرها مفتوح من جهة البحر ، لكن يحميه نتوء بري يندفع من جهة الشرق . وأهلها أميل إلى المسالمة .

وتجلب إليها الأصناف التي تحمل إلى أفاليتيس ، يضاف إليها أيضاً كثير من الجلابيب

القصار المعدة في أرسينيبي والمصووغة فيها ، وكؤوس الشرب ، وقليل من « الشبه المسمى بالعسل » ، والعديد ، والدناير لكن بمقادير قليلة ، والذهب والفضة .

ويتحمل من جهاتها المرّ ، وقليل من البخور المسمى « بخور ما وراء الباب » ، والقرفة القاسية ، والدواكة ، والقرفة العادية ، والمكير الذي يصدر إلى جزيرة العرب ، والرقيق بين الفينة والأخرى .

الفصل التاسع

والمسافة مسيرة يومين من ملاوى إلى سوق موندو (٢٤) حيث ترسو السفن بمزيد من الأمان في جزيرة قرية جداً من البر . وتجلب إليها وتحمل منها الأصناف ذاتها والتي ذكرناها من قبل ، يضاف إليها الصمغ العطر المسمى موكر وتو . والسكان الذين يتاجرون هنا أشد عناداً من سواهم .

الفصل العاشر

وتجري السفن بعد موندو باتجاه الشرق أيضاً مسيرة يومين أو نحو ثلاثة أيام لتمصل إلى موسلن (٢٥) ، الواقعة على شاطيء خال من البنادر . وتجلب إليها السلع المذكورة من قبل ، يضاف إليها أوان فضية ، وقليل من العديد ، وحجارة كريمة . وتحمل من نواحيها مقادير كبيرة من قرفة الكاسيا ، التي تحتاج كمياتها إلى وجود سفن كبيرة في سوتها . ومن صادراتها أيضاً الصمغ العطرة والتوايل وقليل من السلاحف الصغيرة ، والصمغ المطر المسمى موكر وتو الذي تقل جودته عن جودة صمغ موندو ، و « بخور ما وراء الباب » وأحياناً العاج والمر .

الفصل العادي عشر

وتتلوى بعد جري يومين في البحر من موسلن ، الأسواق التي تسمى نيلوبوليماؤ (٢٦) وتبيجي (٢٧) ، وغيضة النار الصنفية (٢٨) ورأس الفيل (٢٩) ، وغيضة النار الكبيرة المسماة أكانى (٣٠) التي تتنج وحدها أكبر كمية من أجود « بخور ما وراء الباب » .

الفصل الثاني عشر

ينعطف البر بعد ذلك نحو الجنوب ، وتظهر « سوق التوابل » (٣١) والرأس الشديد الانحدار (٣٢) الذي يمثل الطرف الشرقي من بر البر الرئيس . ويفتح هذا البندر على البحر ، ويعد خطراً في بعض الأوقات ، لأن الرياح الشمالية تهب عليه . ومن العلامات المحلية لاقتراب هبوب العاصفة ، ازدياد الهيجان في أعماق البحر ، وتفثير لون مائه . وعندما يحدث ذلك ، يحتم الجميع قرب الرأس الكبير في مكاناً يدعى تابسي (٣٣) . وتجلب إلى هذه السوق السلع التي ذكرت من قبل . وتنتج هنا قرفة الكاسيا ، ويزير وأسفى ، والتوابل ، ومنلا ، ومتوا ، واللبان .

الفصل الثالث عشر

وتجري السفن بعد تابي على طول شبه الجزيرة ٤٠٠ ستاديون ، يدفعها تيار الماء، فتصل إلى سوق أخرى، اسمها أبوني^(٣٤) تجلب إليها السلع المذكورة من قبل . وتنتج فيها مقادير كبيرة من قرفة الكاسيا والتوابل والمو . وفيها رقيق مرغوب يرسل معظمها إلى مصر . وتحمل منها مقادير كبيرة من الذيل الذي يفوق غيره جودة .

الفصل الرابع عشر

وموسم السفر من مصر إلى جميع هذه الأسواق الواقعة وراء الباب ، في شهر تموز أي أبيب . وجرت العادة أن يؤتي بالمعاصيل والسلع المحلية من الأنحاء الداخلية من أزيفكي^(٣٥) وبريفازة^(٣٦) إلى هذه الأسواق وهي القمح ، والأرز ، وسمن البقر ، وزيت السمسم ، والأكسية المسماة قطنانات وسفناوتاغيني ، والمناطق ، وقصب العسل المعسني « السكري » .

ويجدر بعض التجار رأساً إلى هذه الأسواق ، ويجربي بعضهم الآخر الساحل ويقايسون سلتهم . ولا تخضع هذه البلاد لزعيم واحد، بل لكل سوق شهبندرها .

الفصل الخامس عشر

ويتمد السيف بعد أبوني بعيداً إلى الجنوب ، وأوله ما يسمى بأجرف أزنياس^(٣٧) الصخرية الصغرى وأجرفها الكبرى ، التي تحوى مراسي ، وتستمر مسيرة ستة أيام باتجاه الجنوب الغربي . وتليها الشواطئ المكسوقة الصغرى والكبرى على مسيرة ستة أيام أخرى . ثم ثاني مجري أزنياس ، وفي طليعتها مجرى سرابيونس^(٣٨) وثانيها مجرى نيكنس^(٣٩) . وتمقه عدة أنهار ومكلات أخرى مفصولة بمطارح كثيرة وبمجاري يوم واحد عددها الإجمالي سبعة حتى جزر بيلالون^(٤٠) وما يسمى بـ « القناة »^(٤١) . وتلاقي جزيرة مينوثيس^(٤٢) بميلة ضئيلة إلى الجنوب الغربي ، بعد جري يومين ليلاً نهاراً على ساحل أزنياس ، وعلى بعد حوالي ٣٠٠ ستاديون من البر الرئيس . وجزيرة مينوثيس منخفضة ومكسوة بالأشجار ، وتجري فيها أنهار . وفيها أنواع كثيرة من الطيور ، والسلامف الجبلية . ولا وحوش فيها سوى الناسخ التي لا تؤذي البشر . وفيها وارق صغيرة مخيطة بالألياف أو مصنوعة من خشب واحدة^(٤٣) ، تستعمل لصيد السمك والسلامف البعيرية . ويصطادون السمك بالسلامف المفعحة عوضاً عن الشباك ، ويضمونها في عرض تفريضات الشاطئ .

الفصل السادس عشر

وتقع آخر سوق في أزنياس بعد مسيرة يومين عن البر . وتسمى رابتا^(٤٤) . ويشتق اسمها من المراكب المخيطة المذكورة من قبل . وفيها مقادير كبيرة من العاج والمذيل . وأبدان

أهل هذه البلاد ضخمة جداً ، ويتهنون القرصنة . ولكل مكان فيها زعيم خاص به . ويعكمها ملك الماءف استناداً إلى اتفاق قديم وضعها تحت سلطة مملكته التي أصبحت الأولى في جزيرة العرب . ويتوى أهل موزا شؤونها لقاء دفع ضريبة له . ويرسلون سفنهم إليها، وفيها ربابين وعملاء أكثرهم عرب ، أقاموا وترموا جوا فيها مع أهلها ، فاصبعوا خبراً في طبيعة معالها ولغتها .

الفصل السابع عشر

وتُجلب إلى تلك الأسواق سلع تصنع في موزا بالذات . منها الرماح ، والفووس ، والسيوف القصيرة ، والمخازن ، وأنواع عديدة من الأواني الزجاجية .

وتُحمل إلى بعض الأماكن الخمر وقليل من القمح لا للتجارة ، بل لتوزيعهما لكتب الأصدقاء بين البربر . وتُحمل من تلك الأسواق مقادير كبيرة من العاج ، وإن كان أقل جودة من عاج أفريقي ، وقرون الكركدن ، والذيل الذي يأتي الطلب عليه بعد ذيل الهند الأجدود منه ، وقليل من جوز الهند .

الفصل الثامن عشر

وتقاد هذه الأسواق تكون آخر أسواق آرتيساس على يمين القادر من بن برنيكي . ذلك أن المعيط لم يستكشف بعد هذه الأسواق ، وينتطف مستديراً إلى الغرب . ويمتد نحو الجنوب باتجاه يماكس اتجاه إثيوبية وليبية وأفريقية ، ويتزوج بمياه البحر العربي .

★ ★ ★

الفصل التاسع عشر

ويقع بندر لفكى كومي^(٤٠) على يسار برنيكي . وفيه حصن . وتصل إليه السفن بعد جري يومين أو ثلاثة ، إذا أطلقت من ميوس أو رمس ، وعبرت البحر باتجاه الشرق . وتذهب منه طريق بري إلى مدينة البتراء^(٤١) إلى مملكة مالخس^(٤٢) ملك الأنباط . وتشتهر سفنها ، مع أنها ليست كبيرة ، وتأتي محملة من جزيرة العرب . لذلك يقيم فيها جابي ضرائب الربيع على السلع المستوردة ، وقادمة وحامية لحفظ الأمن .

الفصل العشرون

ويجاور بحر العرب لفكى كومي مباشرة ، ويمتد معظمها على طول البحر الأحمر . وتقطن فيه قبائل شتى ، تتباين لغاتها ، بعضها جزئياً وبعضها كلياً . وتنتشر مسoras أكلة السمك على ساحله على غرار الساحل الإفريقي . وتتوزع على المرتفعات الداخلية القرى وخيoms البدو التي تضم أوغاداً يتكلمون لغتين . وإذا ضلت بعض السفن وحادت عن المجرى الأوسط ، ووقعت بين أيديهم ، فاما أن يسلبوها ركايبها أو أن يأخذوهم رقيقاً ان بقوا على قيد الحياة بين حطامها . لذلك تقع السفن دوماً في أسر زعماء جزيرة العرب

ولوكها . ويسمون كنرايتي (المقدوفين؟) . وهكذا يتضح أن مجازة ساحل جزيرة العرب خطرة أجمالاً ، لأنه خال من البنادر ، وسي المراسي ، ووسع الشاطئ ، تحول الصخور دون الاقتراب منه ، فهو رهيب من جميع النواحي . لذلك ، عندما تقترب السفن منه تبقى في المجرى الأوسط ، وتسرع إلى أقصى حد حتى الجزيرة « المروقة » (٤٨) التي تليها مناطق متصلة يقطنها سكان متخصصون يملكون قطعاً سارحة من الماشية والابل .

الفصل العادي والعشرون

وتقع موزا ، السوق الثانية قرب البحر ، بعد المناطق المذكورة ، في أقصى جون على شاطئ البحر الأيسر . وتبعد عن برنيكي ١٢٠٠٠ ستadiون (٤٩) في الحد الأدنى . بالنسبة إلى الذين يبحرون باتجاه الجنوب . وتتجه هذه السوق بالقرب ، من ربابنة وبخار ، وبالنشاط التجاري الشديد ، لأن أهلها يستخدمون ما يملكون من سفن في تجارةهم مع الساحل المقابل ومع بريغنا .

الفصل الثاني والعشرون

والمسافة ثلاثة أيام بين سوق موزا وبين مدينة سفي (٥٠) في البلاد المسماة بلاد المعاشر . ويسمى حاكمها المستبد المقيم فيها خليب (٥١) .

الفصل الثالث والعشرون

وبعد مسيرة تسعة أيام أخرى ، تأتي مدينة سنار (٥٢) الكبيرة التي يعيش فيها كرب آل (٥٣) الملك الشرعي على قبليتشي حمير وجارتها سبا . ويدعى « صديق الأباطرة » بسبب سفاراته المتواصلة إليهم وهداياهم لهم .

الفصل الرابع والعشرون

وليس لسوق موزا (٥٤) مكرر بقدر ، إلا أن لها مطارات جيدة بعيدة عنها في البحر بفضل الرقوق التي توفر فيها المراسي . وتحل إلى هذه السوق الثياب الأرجوانية النفيسة والمادية ، والعباءات العربية غير المبطنة والعادية ، المخلطة من رباعات والمقصبة بالذهب ، والزغفران ، والسمد ، والثياب القطنية ، والmantafat الفضفاضة ، وقليل من الأغطية المفردة وال محلية ، والنظمات المقلمة ، ومقادير متوسطة من العطور ، ومقادير كافية من العملات ، وخم ، وقليل من القمح لأن البلاد تنتاج مقادير متوسطة منه وكثيراً من الخمر .
ويهدى الملك وزعيم موزا الخيول وبغال العمل وسبائك الذهب والأواني المرصدة بالفضة والإكسسوارات النفيسة ، وأدوات الشبه .

وتتحمل منها المنتجات المحلية ، كالملح الممتاز ، وزيت المر الأبيري والمعيني مما ، والرخام ، وجميع السلع التي ذكرنا أنها تأتي من أذولي على الجاثب الآخر من البحر . وأفضل أوقات السهر من مصر إلى موزا حوالي شهر أيلول أي توت ، لكن لا شيء يمكنه السفر إليها قبل هذا التاريخ .

الفصل الخامس والعشرون

ويعد مجازاة الشاطئ نحواً من ٣٠٠ ستadiون ، يقترب بر جزيرة العرب وساحل بربرة المقابل له ، قرب أفاليس . وهناك قناة ليست طويلة جداً ، تمرج مياه البحر بعضها ببعض وتدفعها في مضيق ضيق . وتعتبر جزيرة ذيوزورس^(٥٥) هذه القناة ، في وسط المضيق^(٥٦) الذي يبلغ طوله ٦٠ ستاديون . لذلك يهد المور فيه عسيراً ، لأن الرياح الهابطة من التلال المجاورة ، تهيج البحر . وتقع في هنا المضيق أوكلس^(٥٧) ، وهي قرية عربية قرب الماء ، تتضمن سلسلة ملك موزا . ولديها سوقاً ، بل مرسي ومركز استعداد ، وأول بر يراه المسافرون في السفن في الغليق .

الفصل السادس والعشرون

ويعرض البحر مجدداً من الجهة الشرقية بعد أوكلس . ولا تثبت الجمئة أن تُرى . وتقع قرية « العربية السعيدة »^(٥٨) بجانب البحر . وتتبع الملك كربآل ذاته ، وبهامرسى مناسب واستعداد أفضل من استعداد أوكلس . وهي الآن في مدخل جون يبدأ البر يتراجع فيه . وسميت « العربية السعيدة سعيدة » ، عندما كانت مدينة في غابر الزمان ، وكان أهل الهند لا يسافرون من الهند مباشرة إلى مصر ، ولا يغامرون أهل مصر بركوب البحر إلى أماكن تتبعها بنادر المر البري الداخلية ، بل ي giozون إلى هنا بعمولات سفنهم من الهند ومصر ، مثلما تأتي إلى الأسكندرية الحمولات من وراء البحر ومن مصر ذاتها . إلا أن قيصر أخضعها منذ وقت قصير^(٥٩) . ليس بعيداً عن أيامنا العاضرة .

الفصل السابع والعشرون

ويلي سيف طويل من الشواطئ المرملية المتصلة ، وخليج ، يمتدان على ٢٠٠٠ ستاديون أو أكثر ، يقطن فيها البدو وأكلة السمك المقيمين في القرى الساحلية ، قرية « العربية السعيدة » . وتُرى سوق آخر بعد رأس يندفع في البحر ، تدعى قنا^(٦٠) . وتتبع مملكة اليازوس^(٦١) أي مملكة البغور . وتقابلها في البحر جزيرتان احدهما جزيرة الطيور^(٦٢) والأخرى ترولاس^(٦٣) . وتبعدان ١٢٠ ستاديون عن قنا ، التي تشرف عليها من الداخل مدينة سفاثا^(٦٤) مقر الملك .

ويُجلب إلى هنا كل البغور الذي تنتجه البلاد ، كما لو كان ينقل إلى مستودع ، على ظهور الأبل ، أو على أطواط مصنوعة محلياً من جلد يطفو على قرب منقوحة ، أو على مراكب . وترتبط منطقة قنا بعلاقات تجارية مع أسواق تقع على الجانب الآخر في بريماروسكيثية وعمانه وأنحاء فارس القريبة منها .

الفصل الثامن والعشرون

كذلك يجلب الى قنا من مصر قليل من العنطة والخمر كما يجلب الى موزا ، والعباءات العربية غير المبطنة والعادمة واكثرها مقلد ، والشبّه ، والقصدير ، والرجان ، والميعة ، وسائر السلع كما يجلب الى موزا .

لكن يهدى الملك كثيراً من الأوانى القضية المرصعة والعملات ، والنجيل والتماثيل والثياب النفيسة غير المبطنة . وتُحمل من قنا المنتبات المحلية ، كاللبان والصبر والسلع الأخرى المروفة فيسائر الأسواق . وأفضل أوقات السفر إليها في موسم السفر الى موزا ذاته أو قبله .

الفصل التاسع والعشرون

ويكتفى البحر بعد قتنا إلى الوراء انكفاء هائلاً . ويتشكل خليج آخر يتوجّل في البر يسمى سخليتس^(٥)) . وتدعى تلك البلاد بلاد اللبان (البغور) ، وهي جبلية ووعرة، جوها ثقيل وغائم بسبب أشجار اللبان . ولا يمرض هذا الشجر كثيراً ولا يطول ، ويحمل البخور الصلب على لعائمه . تماماً مثلما يقتصر الصمغ من بعض الأشجار عندنا في مصر . ويجمع البغور رقيق الملك ومن يرسل لهذا العمل قصاصاته . والمكان غير صالح إلى حد رهيب ، ووبيء حتى بالنسبة أن يمر مروراً في السفن أمامه . ويقتضي على الذين يعملون فيه . إضافة إلى ذلك يموتون من جراء نقص الفداء كلّياً .

الفصل الثلاثون

ويقع هنا أكبر رأس في الخليج ، ويتجه إلى الشرق ، ويسمى سيفرس^(٦)) . وقدبني فيه حصن البلاد وبندر ومستودع البغور الذي يجمع وتناسبه في البحر جزيرة تسمى ذيوكوريندو^(٧)) ، على منتصف الطريق بينه وبين رأس التوابيل على الشاطئ^(٨)) ، لكنها أقرب إلى سيفرس . وهذه الجزيرة كبيرة جداً ، ومعظم أرضها مقفرة ورطبة . وفيها أنهار وتماسيح وأفاعي كثيرة جداً ، وعظاءات ضخمة يأكلون لحمها ويديبون شحها ويستعملونه عوضاً عن الزيت . ولا تنتهي لا خيراً ولا حبوباً . وأهلها خليط من العرب والهنود وقليل من اليونانيين الذين أبحروا إليها للتجارة . ولديها كثير من السلاحف ، البحريّة والبرية والبيض ، العجيدة والقبيدة ، الضخامة ذبها . وعندما سلحف جبلية أيضاً ، ذبها ضخم وسميك . ولا يمكن قص بطونها لختتها . لكن تفضّل ظهورها صناديق وصحوناً وصحون حلوى وما يشكلها .

الفصل العادي والثلاثون

وتخضع جزيرة ذيوكوريندو لسلطة ملك بلاد اللبان ، تماماً كما تخضع أزيناس لكرب آل ولزعيم المعاشر . وكانت تقوم علاقات تجارية بينها وبين بعض التجار من سوق

موزا ، وبعض التجار الذين يبحرون من ليميريكي^(٦٩) وبريفازة . ويرسون فيهـا صدفة . ويقايضون الأرض والقمح والثياب الهندية والرقيق الإناث - اللواتي يندر أن تجلب إليها - بمقادير كبيرة من الذهب . تشعن بسفنهـم عند مغادرتهم . أما الآن في عهد الملوك ، فقد أصبح الساحل مزروعاً ومحروساً .

الفصل الثاني والثلاثون

ويستمر الخليج بعد سيفرس ، ويتوغل عميقاً في بـر عـمانـه الرئيس . ويفتح فيهـا مـرأـة طـولـه ٦٠٠ ستـادـيون ، تـليـهـ على طـولـهـ ٥٠٠ ستـادـيونـ آخـرى ، جـبـالـ عـالـيـةـ مـخـرـيـةـ شـدـيـدةـ الـانـحدـارـ يـقطـنـ أـهـلـهـاـ فـيـ الـكـهـفـ . ثمـ يـجيـءـ بـنـدرـ يـسمـىـ مـوسـخـاـ^(٧٠) يـخـتـصـ بـشـعـنـ الـلـبـانـ مـنـ خـلـيـجـ سـخـلـيـتـسـ . وـتـاتـيـ إـلـيـهـ بـاـنـظـامـ بـعـضـ السـفـنـ قـادـمـةـ مـنـ قـتاـ . وـتـمضـيـ فـيـ بـعـضـ السـفـنـ التـيـ تـجـارـيـ السـاحـلـ مـقـبـلـةـ الـيـهـمـ لـيمـيرـيـكـيـ أوـ بـرـيفـازـةـ ، فـصـلـ الشـتـاءـ فـيـ موـاسـمـ السـفـرـ الـمـتـاخـرـةـ ، وـيـقـايـضـونـ الثـيـابـ وـالـقـمـحـ وـالـزـيـتـ مـعـ عـلـاءـ الـمـلـكـ ، بـعـهـوـدـةـ لـسـفـنـهـمـ مـنـ الـلـبـانـ . الـذـيـ يـتـبـعـ عـامـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ سـخـلـيـتـسـ . مـنـ عـلـىـ مـكـسـرـ خـربـ وـغـيرـ مـحـرـوسـ لـأـنـ الـأـلـهـ تـحـمـيـ هـذـاـ الـمـاـكـنـ وـتـحـرـسـهـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـعـتـلـلـ عـلـىـ سـفـنـةـ ، لـأـسـرـأـ وـلـاـ عـلـنـاـ ، بـلـ اـذـنـ مـنـ الـمـلـكـ . وـإـذـ أـخـدـ أـحـدـ وـلـوـذـرـةـ مـنـ الـلـبـانـ ، لـاـ تـسـتـطـعـ السـفـنـةـ أـنـ تـجـريـ ، لـأـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـابـحـارـ يـخـالـفـ اـرـادـةـ الـأـلـهـ .

الفصل الثالث والثلاثون

وتـنـتـصـبـ سـلـسـلـةـ جـبـالـ عـلـىـ طـولـهـ ١٥٠٠ ستـادـيونـ ، وـتـمـتـدـ عـلـىـ طـولـهـ ١٥٠٠ ستـادـيونـ ، وـتـقـعـ فـيـ أـقـصـاهـ سـبـعـ جـزـرـ مـصـطـفـةـ ، تـسـمـىـ جـزـرـ زـيـنـوبـوسـ^(٧١) ، الـتـيـ تـلـيـهـ عـلـىـ السـاحـلـ أـرـضـ أـمـهـاجـ لـاـ تـتـبـعـ الـمـلـكـةـ السـابـقـةـ . بـلـ تـدـخـلـ فـيـ مـمـلـكـةـ فـارـسـ . وـإـذـ جـارـتـ السـفـنـةـ الشـاطـئـ نـحـوـ ٢٠٠٠ ستـادـيونـ وـرـاءـ جـزـرـ زـيـنـوبـوسـ ، تـصلـ إـلـىـ جـزـيرـةـ تـدـعـيـ سـرـابـسـ^(٧٢) الـتـيـ تـبـعـ ١٢٠ ستـادـيونـ عـنـ الـبـرـ وـيـتـجـمـعـ سـكـانـهـاـ فـيـ ثـلـاثـ قـرـىـ ، وـهـمـ مـنـ أـكـلـةـ السـمـكـ وـمـقـدـسـوـنـ ، وـيـتـكـلـمـونـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـيـسـتـرـوـنـ عـورـتـهـمـ بـأـورـاقـ النـخـيلـ . وـفـيـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ ذـبـلـ جـيدـ وـكـافـ . وـتـمـدـ قـتـاـ بـاـنـظـامـ مـرـاكـبـ خـفـيـةـ أـوـ مـقـطـورـةـ ، وـتـجـريـهـاـ إـلـىـ جـزـيرـةـ سـرـابـسـ .

الفصل الرابع والثلاثون

وـإـذـ دـارـتـ السـفـنـةـ حـوـلـ الـخـلـيـجـ ، وـجـارـتـ الـبـرـ الـمـجاـوـرـ . الـذـيـ يـتـجـهـ إـلـىـ الشـمـالـ نـحـوـ مـدـخـلـ الـخـلـيـجـ الـعـرـبـيـ الـحـالـيـ ، تـلـقـىـ عـدـةـ جـزـرـ تـدـعـيـ جـزـرـ كـلـاـيـوـ^(٧٣) الـتـيـ تـواـزـيـ الـبـرـ عـلـىـ طـولـ حـوـالـيـ ٢٠٠٠ ستـادـيونـ . وـسـكـانـهـاـ مـصـابـونـ بـمـرـضـ فـيـ أـعـيـنـهـمـ^(٧٤) .

الفصل الخامس والثلاثون

وـيـدـاـ الـخـلـيـجـ الـعـرـبـيـ الـعـالـيـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـ أـقـصـىـ رـأـسـ جـزـرـ كـلـاـيـوـ وـمـنـ الـجـبـلـ المـسـمـىـ كـالـنـ^(٧٥) . وـعـلـىـ مـسـافـةـ لـيـسـ بـعـيـدـةـ وـرـاءـهـمـاـ . وـتـقـعـ فـيـ مـصـاـيدـ الـلـؤـلـؤـ . وـعـلـىـ

يسار هذا المدخل ، تنتصب جبال أسبون^(٧٧) العظيمة جداً ، ويشاهد جبل آخر يسمى سير أميس على يمينه مباشرة وعلى مدار النظر . ويبلغ عرض وسط هذا المرأ عن مدخله حوالي ٦٠ ستadiون ، يعظم البعر جداً بعده ويعرض كثيراً ، ويمتد حتى أقصى أطرافه . وتقوم عند نهاية الفصوى سوق تدعى أبو لوغو، وتقع قرب بسينوخاركس^(٧٨) نهر الفرات .

الفصل السادس والثلاثون

وإذا جارت السفينة الشاطئي عبر مدخل هذا الخليج ، تصل إلى سوق فارسية تدعى عمانة^(٧٩) بعد جري ستة أيام .

وتجيء السفن إليها عادة من بريغازة وإلى السوقين الفارسيتين - أي عمانة وأبولوغو - وهي سفن كبيرة محملة بالشبه وخشب الصندل ، والعوارض الخشبية ، وخشب الفرمن ، وجذوع شيشم ، وأعواد الأبنوس .

ويحمل اللبناني من قتنا إلى عمانة أيضاً . وتحمل من عمانة إلى جزيرة العرب السفن المحلية الخفيفة المسماة مذرات^(٨٠) .

ويحمل من سوق عمانة وأبولوغو إلى بريغازة وجزيرة العرب كثيراً من اللؤلؤ وان كان أقل جودة من اللؤلؤ الهندي والصباug الأرجواني والثياب المحلية والخمر ، ومقادير من التمور والذهب والرقيق .

★ ★ ★

الفصل السابع والثلاثون

كذلك تقع بلاد برسيد ، وهي تابعة لمملكة أخرى ، بعد منطقة عمانة ، وتمتد متوازية مع خليج واسع يسمى خليج الجيدروزيين ، يندفع رأس من وسطه ، ويقع بجواره نهر تدخل فيه السفن ، وتقوم السوق المسماة حوريه^(٨١) على مسافة قريبة من مصبها . وخلفها مدينة داخلية ، تبعد مسيرة سبعة أيام عن البحر ، وفيها المملكة المسماة ريميكية^(٨٢) . وتنتاج هذه البلاد كثيراً من القمح ، والخمر والأرز والتمور أما البر الرئيس ، فلا ينتاج شيئاً سوى صناع نبات البذليليون .

الفصل الثامن والثلاثون

ويختفي البر الرئيس بعد هذه المنطقة في الأفق القصبي من جهة الشرق ، بسبب عمق الغلجان . وتتتابع أجزاء ساحل سكيشية^(٨٣) التي تمتد نحو الشمال ، وتنخفض جداً . ويأتي منها نهر سينتش^(٨٤) الذي يعد أعظم الأنهر المائية إلى البحر الأحمر ، ويصب فيه مقادير كبيرة جداً من المياه حتى أن البحر يبيض بعيداً جداً عن الشاطئي وقبل أن يرى البر . ومن علامات قرب هذا البر للقادمين إليه من البحر ، رؤية العيات التي

تطلع من الأعمق لللاقاتهم . وتشاهد علامة مماثلة مقابل ساحل فارس ، يظهر فيها ما يسمى بسرطانات البحر . ولهذا النهر سبع أذرع مصبات ضيقة ، مليئة بالضلال ، لا يصلح منها للملاحة الا الفرع الأوسط الذي تقسم عليه سوق قرب البحر ، تدعى بربريكون^(٨٥) . وتقابلاها في البحر جزيرة صغيرة ، وخلفها في البر منفأة^(٨٦) وهي مدينة سكشية الكبيرة . ويحكم البارثيون هذه البلاد ويطردون بعضهم بعضاً .

الفصل التاسع والثلاثون

اذن تأتي السفن الى مرسى أمين في بربريكون . وتصعد في النهر جميعها محملة وقادمة ملك سكشية . وتجلب الى سوق بربريكون كمية كبيرة من الثياب غير المبطنة وقليل من الثياب المقليدة والمطرزات ، والزبرجد ، والرجان ، والمعيمة ، واللبان ، والأواني الرجالية ، وبسائقك الفضة ، والعملات ، والخمر بكعيات قليلة .

وتشمل حمولة السفن المخصصة للتتبادل جذور القسطط ، والبديلة ، والزعرور (ليكيون) والناردين والفيروذج ، واللازورد ، والجلود الصينية ، والثياب ، والفزوول الصينية ، والعبير الهندي (الصيني) .

ويخرج الذين يبعرون بالرياح الهندية (الموسمية) في شهر تموز وهو أبيب . والسفر خطر لكنه مباشر وأقصر .

الفصل الأربعون

ويقع خور آخر بعد نهر سينش ، ويتجه الى الشمار . لكنه لم يستكشف بعد . ويدعى بربينون^(٨٧) . ويمكن القول انه خوران ، أحدهما صغير والآخر كبير . والبحر ضحل في كليهما ، وفيه دوارات تتبدل أماكنها باستمرار ، وتبعد عن البر حتى ان السفن تصطدم بقعر البحر في الغالب ، ولو كان الساحل لا يرى بعد . واذا دفعتها تيار الماء الى ابعد من ذلك ، تفرق . وبعد خور بربينون ينبعطف رأس من البر يستدير متوجه الى الشرق ، ثم الى الجنوب فالغرب ، فيحصر الغور المسمى خور براككي^(٨٨) (الذي يعود سبع جزر . فالسفن التي تتعلق في أول خور براككي ، تنجو اذا رجعت الى الوراء وأغفرت قليلاً . اما السفن التي تتحجر في بطنه ، فتفترق في النهاية لأن الأمواج كبيرة وثقيلة جداً ، والبحر هائج وعكر وبه دوامات سريعة وتيارات عنيفة ، وينحدر قعره بشدة في بعض الأماكن ، ويصير صغريراً واحداً في أماكن أخرى ، مما يؤدي الى تقطيع سلاسل آثار السفن على جوانبها ، او عندما ترمي لتنقاوم السفينة التيار . او عند احتكاكها بالقعر . وما يدل على أن الملحقين يقتربون من هذين النوعين من قعر البحر ، ظهور حيتان سود كبيرة جداً تخرج لللاقاتهم . وتصفري الحيتان في الأرجاء التالية وحول بريفازة ويضرب لونها الى الصفرة والشهبة .

الفصل العادي والأربعون

بعد خور براكي . على استقامه واحدة ، يقع خليج بريغازة وبر بلاد أديكي الرئيس وبداية مملكة مينيانوس^(٨١) وأرض الهند بأجمعها . ويسمى داخل كل هذا البر على امتداد سكثية ، أبيرية ، ويدعى ساحله سيرستريني^(٩٠) ، التي تنتفع كثيراً من القمح والأرز ، وزيت السمسم ، والسمن البقرى ، وثياب اللبان . والأكسيه الهندية البسيطة المصنوعة منه . وفيها قطعان كبيرة من الماشي ، وأجسام أهلها ضخمة جداً وبشرتهم سوداء . ومنقاره^(٩١) المدينة الكبيرة في هذه البلاد . وتتحمل منها كميات كبيرة من الثياب إلى بريغازة . وما تزال في تلك الأرجاء آثار حملة الاسكندر مثل الهياكل القديمة ، وموائع المسكرات والأبار الواسعة جداً . وقطع السفينة ٣٠٠٠ ستadios ، اذا جارت الشاطئ من بربيريكي باتجاه استكابرة^(٩٢) مقابل بريغازة والرأس المسمى ببيكي^(٩٣) .

الفصل الثاني والأربعون

يأتي بعد ذلك خور آخر على هذا الجانب من البحر ، يتجه إلى الشمال ، وتقع في مدخله جزيرة تدعى بيونس^(٩٤) ، وفي نهيتها بدقة ، نهر كبير جداً يسمى مايس^(٩٥) . ومن يركب البحر إلى بريغازة ، يقطع هذا النهر الذي يبلغ عرضه حوالي ٣٠٠ ستadios ، ويترك خلفه وعلى اليسار ، جزيرة بيونس التي يشاهد أعلاها بوضوح ، ثم يتجه شرقاً إلى مصب نهر بريغازة الذي يسمى لنيوس^(٩٦) .

الفصل الثالث والأربعون

ويذهب إلى بريغازة خور صيق . يصعب دخوله على القادمين من البحر . سواء سلكوا الممر الواقع على يمينهم أو الممر الواقع على سارهم ، وإن كان ولوح الممر الأيسر أسلم . ذلك أن في الممر الأيمن عند مدخل الغور شريط أرضيأً وعرضاً وصخرياً يدعى هيروني^(٩٧) مقابل قرية كموني^(٩٨) . أما الممر الأيسر فإنه فيقدمه رأس ببيكي أمام استكابرة . وفيه مرسي سيء لأن تيار الماء يشتد حوله ، ولأن قفر البحر الصخري الوعر يقطع سلاسل الأناجر . وحتى لوتمكن السفينة أن تلتح الغور ، يصعب عليها العثور على مصب النهر قرب بريغازة ، لأن الأرض متخصضة ، ولا يمكن معاینة شيء على وجه اليقين إلا عند الاقتراب منه . وحتى لو اهتدى إلى مصب النهر . يبقى دخوله خطراً بسبب الضحل المنتشرة حوالي مصبه .

الفصل الرابع والأربعون

لجميع هذه الأسباب ، يصعد صيادو الملك في هذه المقاطعة ، الواقعة قرب المصب ، في سفن طويلة يجدهونها بمجاديفهم ، وتسمى ترابفة وكوتيبة ، ويصلون بها إلى سيرستريني ،

يللاقوا السفن القادمة . ويقوموا بارشادها حتى بريغازة . ذلك أن ملاحي سفنهم يقودونها بأنفسهم مباشرة من مدخل الغور عبر الضحى ، ويربطونها في مطارح مجهزة من قبل لهذه الغاية ، ثم يأخذونها منها عندما يبدأ المد بالارتفاع ، ويررسونها في أثناء المد المالي في مطارحهم هم وأحواضهم . وأحواضهم أعمق الأماكن في النهر حتى بريغازة ، وتقع في مجراه صعداً على مسافة ٣٠٠ ستadios من مصبه

الفصل الخامس والأربعون

والأنهار كثيرة وكبيرة في كل بره الهند . وبها جزر ومد كباران . ويرتفع المد ثلاثة أيام في غرة الشهر وفي ليلة البدر ، ثم ينسحب الجزر في الفترات الواقعة بينهما . ويعتمل تناوب المد والجزر كثيراً في بريغازة حتى ان قعر البحر يرى فجأة ، وتتجف بعض انحاء البر التي كانت السفن تجري فيها متذوقت قريب . وعندما يرجع المد من البحر ، يدفع مياه الأنهار الى الوراء بقوة تفوق قوة الجريان العادي ، على مسافة عدة ستاديونات .

الفصل السادس والأربعون

لذلك يعد دخول السفن الى سوق بريغازة وخروجها منها خطراً بالنسبة لللاحين لا خبرة لهم يأتون اليها للمرة الأولى . ففي أثناء مدارياه ، لا يسع السفن أن تقاوم حركتها العنيفة ، ولا تملأ أناجرها ، فتلتقي صدمة قوية ، ويقلبهما عنف التيار ، ويجرها الى الضحى ، ويفرقها . وتنقلب السفن الصغيرة . أما السفن التي تلجم الى الأنجوان في أثناء الجزر ، فتمتلئ ماءاً اذا لم تُسحب الى مكان مرتفع . منذ وصول أول تيار المد المالي عند عودته فجأة . ذلك ان مياه البحر تدخل الغور بعنف شديد جداً في أول الشهر القمري ، خاصة اذا حدث ارتفاع المد في الليل . وحتى لو بدأت السفينة بولوج الغور عندما يكون البحر ما يزال هادئاً ، ينبعث على حين غرة هدير من مدخل الغور يشبه هتف جيش يُسمع من بعيد ، وفوراً يندفع البحر في الغور ويغير الضحى باعتدال صوتاً مثل زفير الأسد .

الفصل السابع والأربعون

وستقر قبائل عديدة وراء بريغازة ، منها قبيلة أرتوري ، وقبيلة أرخوسبي ، وقبيلة غندرابي ، وقبائل مقاطعة بروكلايس^(٩٩) التي تقع ذيها اسكندرية بوكيفلس^(١٠٠) ويقطن البليخيون وراء هذه القبائل ، ولهم ملتهم الخاص بهم . وقد انتقام الاسكندر من هذه الأجزاء ، ووصل الى نهر الفانج ، وترك على أحد جانبيه لميريكي والأقسام الجنوبية من الهند . ويتداولون حتى الان في بريغازة نقوداً قديمة منقوشة عليها حروف يونانية وعليها نقوش ابولودotos وميتندر اللذين ملكا بدر الاسكندر^(١٠١) .

الفصل الثامن والأربعون

وتقع مدينة تسمى أزيني^(١٠٢) في هذه المنطقة الى شرق بريغازة . وكانت في الماضي مقر حكمة . ويحمل منها الى بريغازة كل ما هو لخير البلاد وصالح تجارتنا ، كالعقبق

الأحمر ، وأواني الماء وموصليات الهند ، وثياب ألياف الغبازة ، وكثير من الثياب العادمة . ويأتي أيضاً بواسطتها إلى بريغازة من الجبال عبر بروكلايس ، أنواع النارددين ، المسماة كتبوريني ، وبتروبلبيجي ، وكيلتي (١٠٣) ، ونارددين من بلاد سكينة المجاورة ، وجذور القسطنطينية والبديلة .

الفصل التاسع والأربعون

ويُجلب إلى سوق بريغازة الخمر خاصة من إيطالية ومن اللاذقية وجزيرة العرب [ايضاً] والشبه ، والقصدرين ، والرصاص ، والمرجان ، والزبرجد الأخضر ، والثياب غير المبطنة وزيف الثياب من جميع الأنواع ، وسيوردمشقية طولها ذراع ، والمعية ، والنفل الحلو ، والزجاج غير المصقول ، والرهج الأصفر ، والاثمد ، والنقدود الفضية والذهبية التي يمكن صرفها بنقود محلية بأرباح طائلة ، وعطور رخيصة وبمقادير غير كبيرة .

ويهدى الملك بهذه المناسبات الأواني الفضية والنفيسة ، والغازفين المعترفين ، والجواري العسان لعرمه ، والخمرة الممتازة ، وثياباً غير مبطنة نفيسة ، ومجموعة عطور . ويحمل من بريغازة النارددين وجذور القسطنطينية والبديلة والماج والمقيق الأخضر والمر ول يكن وجميع أنواع الثياب ، والهراير ، وثياب ألياف الغبازة ، وغزوول العرير ، واللفل الظويل ، وسلع محمولة إليها من الأسواق الأخرى ، وفي موسم السفر ، يخرج الملاحون من مصر إلى سوق بريغازة حوالي شهر تموز أي أبيب .

الفصل الخامسون

ويتمد بر الهند الذي يجاور بريغازة من الشمال إلى الجنوب . لذلك تسمى البلاد ذخينباذس (١٠٤) ، إذ إن ذخينا تعني الجنوب في لغتهم . ويضم داخلها أراضي كثيرة وصحاري وجبالاً عالية ووحشة متنوعة ، كالقهود والأسود والفيلة والعبيات العظيمة جداً والفباء والرّبّاج (بابون) وفيها قبائل كثيرة وكبيرة تنتشر حتى نهر النانج .

الفصل العاشر والخمسون

وفي ذخينباذس ذاتها ، سوقان شهرينان جداً ، أولاهما بيثنان على عشرين يوماً جنوب بريغازة ، والثانية مدينة تفارة (١٠٥) الكبيرة جداً على بعد عشرة أيام شرقها . ويُجلب منها إلى بريغازة في عربات تسير في أرجاء واسعة خالية من الطرقات ، مقادير كبيرة من المقيق الأخضر من بيثنان ، ومن تفارة كثيرة من الثياب العادمة ، وجميع أنواع الموصليات ، وثياب ألياف الغبازة ، وبعض السلع الأخرى التي تأتي إليها من أماكن واقعة على طول الساحل . ويبلغ طول الرحلة الساحلية ٧٠٠٠ ستاديون حتى لميريكي . لكن يزداد هذا الطول حتى السيف (١٠٦) .

الفصل الثاني والخمسون

وتتوالى الأسواق هنا الواحدة اثر الأخرى ، وتضم أكبارو ، وسوبارو ، ومدينة كلئانة التي صارت سوقاً شرعية في عهد سرغنيس الأكبر . لكن تعرقلت التجارة كثيراً في عهد سندنيس (١٠٧) وأصبحت السفن اليونانية تُرسل مخفرة الى بريغافازة عندما تدخل صدفة الى تلك الأسواق .

الفصل الثالث والخمسون

وتتابع أسواق محلية أخرى بعد سوق كلئانة ، وهي سيملة ، ومنذغورة ، وبالسي باتمي ، ومليزينفارة ، وبيرانتيرون ، وتوبارون ، وايرانوبواس . ثم تجيء الجزر المسماة سيسكريبيني ، وجزر ايجديون ، وجزر كينيتون مقابل ما يدعى بشبه الجزيرة – وهي جزر فيها قراستنة – وتلي آخر جزيرة منها الجزيرة البيضاء ، ثم ناوره وتندس ، وهما السوقان الأوليان في ليميريكي ، وبعدهما موزرس وتلكليندة اللتان تعلوتا الآن الى سوقين نشطتين (١٠٨) .

الفصل الرابع والخمسون

وتقع تندس في مملكة كيبر وبوتيس (١٠٩) ، وهي قرية شهيرة على مقربة من البحر . وموزرس (١١٠) سوق مزدهرة في المملكة ذاتها ، تأتي اليها السفن من أريكي ، وتصدّها السفن اليونانية أيضاً . وتقع على أحد الأنهر ، وتبعد ٥٠٠ ستاديون عن تندس بالنهر او بالبحر وتبعد ٢٠ ستاديون عن مصب نهرها (١١١) . والمسافة ٥٠٠ ستاديون بين تلكليندة وبين موزرس تقرباً بالنهر او البحر . وتتبع تلكليندة مملكة أخرى اسمها بنديون ، وتقع على نهر أيضاً وتبعد حوالي ١٢٠ ستاديون عن البحر .

الفصل الخامس والخمسون

وتقوم قرية أخرى تسمى بكري (١١٢) على النهر ذاته . وترسل اليها السفن من تلكليندة قبل أن تخرج الى البحر ، وتبقى في الملا لاكتي تشحّن حمولتها ، لأن النهر مليء بمنبسطات الطين ، والمرات بيته ضحلة . ويقيم ملكاً السوقين في الداخل . وتدل القادمين اليها من عرض البحر على اقتراب البر ، رؤية حيات سود وقصيرة – أقصر من حيات نواحي براكـيـ . لها رؤوس التنانين وعيون حمراء كالدم ، تذهب للقاءاتهم .

الفصل السادس والخمسون

وتبحر السفن الكبيرة الى هذه البنادر ، لأن فيها كميات كبيرة من الفلفل والتبول وتحمل الى ليميريكي على وجه العموم كميات كبيرة من النقود والقيق الأخضر وقليل من الشيب غير المبطنة ، والمطرزات الدمشقية ، والاثمد ، والرجان ، والزجاج غير المصقول ، والشبة والقصدير ، والرصاص ، وقليل من الخمر حسب توفره في بريغافازة ، والرهج الأحمر ، والرهج الأصفر (الزرنيخ) ، وقبح يكفي طاقم السفينة لأن التجار لا يغتنونه .

ويحمل منها الفلفل ، الذي يزرع بمقادير كبيرة في مكان واحد فقط يسمى كوتانيكي ، والماج ، والثياب الصينية ، وناردين الفانج ، وتنبول الداخل المعلوب إلى البندور ذاته ، وجميع أنواع العجارة الكريمية ، واللمس ، والياقوت ، والذيل من خريسي ومن الجزر الواقعة مقابل لميريكي نفسها وموسم السفر إلى هنا من مصر حوالي شهر تموز ، أي أبيب.

الفصل السابع والخمسون

كانت دورة البحر كلها ، الموصوفة من قتا ومن « العربية السعيدة ». تتم في الماضي في سفن صغار تتبع شواطئ الخليجان . الا أن هيبالس^(١١٤) كان أول ملاح راقب موقع الأسواق وصفة البحر ، فاكتشف طريقاً يقطع المعيط . ومنذ ذلك العين ، صارت الرياح تسمى رياح هيبالس ، نسبة إلى الرجل الذي اكتشف الطريق عبر الباحة ، عندما تهب محليناً من المعيط وفق الموسم . كما هي الحال معنا عندما تصبح الموسيمات في بحر الهند جنوبية غربية . ومن ذلك التاريخ حتى الآن ،أخذ بعض الملحنين يقطلون البحر مباشرة من قتا ، وبعدهم الآخر من رأس التوابل . ومن يقصد لميريكي . يدير مقدمة السفينة ضد هبوب الرياح ، ومن يذهب إلى بريغافاز أو سكشية يمسك المكس ثلاثة أيام لا أكثر . ثم يحافظ على مباريه بعيدة عن البر الباقي للرحلة ، ويسير في معاذة الآخوار التي ذكرناها من قبل .

الفصل الثامن والخمسون

ويقع ما يسمى الجبل الأحمر^(١١٥) بعد بكري . وتمتد بلاد أخرى ٠٠٠ تسمى برلية باتجاه الجنوب . ويدعى أول مكان فيها باللة وهي بندور جيد ، وله قرية قرب البحر . وخلفه مكان آخر يدعى كمار ، فيه حصن وبندور يجيء إليه الطاهرون الذين يندرؤن حياتهم لخدمة الآلهة من رجال ونساء ، وبيقون عازبين . ذلك أنه يقال بأن الآلهة أقامت هنا في الماضي ، وإن المكان ظاهر دينياً .

الفصل التاسع والخمسون

وتمتد البلاد من كمار نحو كولخي التي يصاد فيها اللؤلؤ ويقوم به المجرمون . وتقع كولخي في مملكة بنديون ، وليها ساحل يدور حول خور وراء منطقة داخلية تسمى أرغلو^(١١٦) . ويجعل اللؤلؤ إلى أحد الأماكنة هنا ، ويجمع من هذه الأنواع الغنية . وتحمل منها المصليات المسماة أرغلوية .

الفصل الستون

ويغير الملاخون من لميريكي ومن الشمال إلى أسواق وبنادر واقعة في هذه المنطقة ، أهمها كمارة ، وبوزوكى ، وسباتة^(١١٧) تملك سفناً محلية تبحر إلى لميريكي بمارية الشاطئ ، وسفناً أخرى كبيرة جداً تصنع من عوارض مفردة يضم بعضها إلى بعض وتسمى سانفرا ، والسفن التي تذهب إلى خريسي والفانج ، وتسمى كولنديوفونته .

وهي أضخمها . ويجلب الى هذه الأماكن كل ما يصنع في ليميريكي ، وجميع ما يأتي من مصر من النقود سنوياً تقريراً . وتأتيها عبر البر الساحلي كل الأصناف التي تنتج في ليميريكي .

الفصل العادي والستون

وينعلق البر الى الشرق بعد ذلك ، وتقابله في البحر ، باتجاه الغرب ، جزيرة تدعى باليسيموندو يعرفها أهل البلاد القديمي باسم تبروباني ، شمالها متعرض ، والعيور اليها طويل . وهي كبيرة جداً حتى أنها تكاد تتصل الى ساحل آزنياس مقابلها(١١٨) . ولديها لآلئ وحجارة كريمة وذيل سلاحف وموصليات .

الفصل الثاني والستون

وتقع أرض مسالية(١١٩) بجوار هذه الأماكن ، وتمتد بعيداً في الداخل وبعض الشيء على الساحل وتتنبع كثيراً من الموصليات ، وتليها بلاد ذيسريني(١٢٠) من الجهة الشرقية ، وتتوغل في الخور المجاور ، وعندها الملاج المسمى بوسري . وينتشر الشاطئ بعدها الى الشمال ، وتنزل وراء قبائل متواحشة عديدة منها أمماج كرادى يأنفهم الفطس ، وقبيلة برغيسى ، وقبيلة هيبوبوسوبى(١٢١) ويقال انهم أكلة لحوم البشر .

الفصل الثالث والستون

وينعلق البر الى الشرق بعد هذه القبائل ، ويصبح المحيط على يمين السفينة المجرة ، وأجزاء البر الأخرى على يسارها . وتبدو سوق مدينة الفانج على مدة النظر ، وخلفها خريسي ، آخر البر الرئيس من جهة الشرق . ويدعى الهر القريب من مدينة الفانج الفانج أيضاً . وفيه ينخفض مستوى مثل النيل . وهو أعظم أنهار الهند . وتقوم عليه سوق اسمها الفانج أيضاً ، يحمل منها التنبول ، وناردين الفانج واللؤلؤ ، والموصليات النفيسة جداً المسماة الفانجية . ويقال بأن المنطقة تحوي مناجم ذهب ونقداً ذهبياً يسمى كلتس . وتقع جزيرة قرب النهر ، في المحيط ، تعتبر آخر الأرض الممورة من جهة الشرق ، وتسمى خريسي ، وفيها أفضل ذيل معروف في جميع الأماكن على سواحل البحر الأحمر(١٢٢) .

الفصل الرابع والستون

وينتهي البحر في مكان ما وراء تلك الجزيرة ، في أقصى الشمال ، وهنالك تقوم مدينة داخلية كبيرة تدعى الصين(١٢٣) ، يحمل منها العرير الخام وغزله والثياب الصينية برأ الى بريفازة ، عبر بلاد بلخ ثم الى ليميريكي بنهر الفانج . ولا يسهل الوصول الى

الصين . ونادرًا ما يأتي الناس منها ، ولا يذهب إليها كثيرون . وتقع هذه البلاد تحت الدب الأصفر ، ويقال أنها تجاور أنحاء بحر بنطس وبحر الخزر حيث يبدل الساحل اتجاهه ، وببحيرة ميوتس(١٢٤) القريبة التي تصب في المحيط .

الفصل الخامس والستون

وتذهب في كل عام إلى تخوم الصين قبيلة أناس قصار القامة ، عراض الوجوه ، فطمس الأنوف تماماً ببعض البشرة ، متتوحشين ، يسمون سيساتي . ويأتونهم ونساؤهم وأولادهم حاملين صريراً كبيرة وسلاملاً مصفورة ، مليئة بما يبذلو وكأنه أوراق كرمة طازجة . ويمكثون في أحد الأماكن على الحدود بين قومهم وقوم الصين ، ويعيون عيادة أيام ، ويفرغون ما في سلالهم أمامهم ، ثم ينسحبون إلى جانبهم . ويراقبهم الشارون ، ويقدمون مجتمعين إلى ذلك المكان ، ويجمعون ما تشر وياخذون قطعاً من ألياف القصب تسمى بيترس ، ويطلقون الأوراق برقق ، ويعملونها رزماً مستديرة ، ويربطونها بالياف القصب . والرزم على ثلاثة أنواع رزم أعرض الأوراق وتسمى رزم التنبول العريض ، ورزم الأوراق المتوسطة ، وتسمى رزم التنبول المتوسط ، ورزم الأوراق الصغيرة وتسمى رزم التنبول الصغير . بهذه الطريقة تصنف أنواع التنبول الثلاثة ، ويحملها مصنفوها إلى الهند .

الفصل السادس والستون

ولم تستكشف الأراضي الواقعه وراء هذه الأماكن، لتساوة فصول شتائهما ، والتجمد فيها ، وربما أيضًا تنفيذاً لمشيئة الآلهة .

□ العواشي :

- ١ - يقع بندر ميوس أو بندر بلج البحر . قرب مرفا القصیر ، عند أبو شرم . القبلي ، على بعد ٣٠٠ ميل جنوبى السويس .
- ٢ - برنيكي : اسمها بطليموس الثاني فيلاذلس . من تلك مصر (٢٤٦ - ٢٨٢ ق.م) وسمها باسم والدته . وما تزال خارجها معروفة قرب آم الكتف .
- ٣ - الستابيون وحدة قياس طول يونانية فرومانية ، تساوي ٤٤٧ إلى ١٩٢ م حسب انواعها .
- ٤ - قد يقصد بهذا اللقطة جنس من البشر أو البرابرة بمعنى متخلقين حضارياً .
- ٥ - قوم غذائهم الأساسي سمك يصيدونه من البحر ، ويشترط هذا التمدد من العيادة مهارة في صنع الزوارق والسفن والملاحة .
- ٦ - قوم يعيشون من القنص على الأرجح ، إشارة إلى مستوىهم الحضاري .
- ٧ - قوم يعيشون من القطع إشارة إلى مستوىهم الحضاري .
- ٨ - ميروبين : مروي عاصمة النوبة في مطلع القرن الرابع قبل الميلاد .
- ٩ - لا يعرف مكانها ، وينظر بعضهم أنها العقيق ، ويقترح آخرون سواكن .

- ١٠ - بندر اثيوبي قديم يعود الى ما قبل الميلاد ، ذكره كورزمانديكوبلوستشن .
- ١١ - يظن أنها جزيرة ديسيني ، وإن كانت لا تتحقق فيها جميع الأوصاف .
- ١٢ - ما يزال الغوض يكتنف تحديد هذه الجزيرة .
- ١٣ - قهيتو العديدة ، وتنشر خرائطها على مساحة واسعة .
- ١٤ - عاصمة اثيوبيا قديمة .
- ١٥ - منطقة سنار على الارجع .
- ١٦ - ارتغيل هناك .
- ١٧ - ارسينيوي قرب السويس .
- ١٨ - ديسوبولس أو ديبوبولس بين ابيدس وتنقيرة في نيبابيد .
- ١٩ - اركي المنطقة الواقعة وراء بريغاظة (بروج) .
- ٢٠ - زيلع .
- ٢١ - الشيخ سعيد .
- ٢٢ - موسى على بعد ٢٥ ميلاً شمالي مخا ، وإن كانت اليوم ليست على البحر .
- ٢٣ - بربرة .
- ٢٤ - موندو : الارجع ميط .
- ٢٥ - بندر قاسم .
- ٢٦ - بنياميس النيل : تشير هذه التسمية الى الاعتقاد القديم بأن النيل ينبع عند مولتن (بندر قاسم) .
- ٢٧ - لم تتفق الآراء بشأنها ، قيل «الكسارات» وقيل ينبع تابا ، وقيل ينبع غزة .
- ٢٨ - مشكون يوجودها .
- ٢٩ - رأس فيلك .
- ٣٠ - أكاني : بندر هالونة .
- ٣١ - لم يعرف أحد على اسم هذه السوق حتى الان ، ويظن هنا أنها فربة او لاوك الحالية على مسافة ميل واحد غرب رأس جردهون . ويسمى بطليموس رأس جردهون «رأس التراابل» . وتجارة التراابل قديمة بذات الرونا عديدة قبل الميلاد . ويرى أن ارجحيس - وهو أمايوناني أو من أصل غيريوناني يجعل أسماء يونانيا - الفرض ، حوالي ١٥٠ قم ، خاصة رجال ليسافروا الى رأس التراابل ويشتروها من هناك .
- ٣٢ - لم يرد في النص اسم الرأس ، لكن يظن أنه رأس عسوس المعنى رأس جردهون أيضا .
- ٣٣ - يرجع أنه توهن ، عند مصب نهر صغير يبعد خمسة أميال جنوبى منارة جردهون .
- ٣٤ - ابوني : اشتقت هذا الاسم من اسمها المصري القديم «بنت» . وما تزال هذه التسمية باقية في رأس حافون . وقد أرسلت الملكة المصرية الشهيرة حتشبسوت من السلالة ١٨، بعثة الى ايوني . أخبارها مدونة على جدران معبد دير البحري في طيبة (نيبة) .
- ٣٥ - انظر العاشرة ١٩ .
- ٣٦ - بريغاظة : مدينة بروج الهندية .
- ٣٧ - ازنياس : قيل أن هذا الاسم تعريف لفظ عجم العربي بلا اثبات . وقيل انه مشتق من فعل يوناني يعني جف نظرا لبغاف المنطقة المعنية . والمعنى وارد في أناشيد هوميروس . مما يكتنف الطسوان ان هذه البلاد تبدأ قرب رأس حافونى .
- ٣٨ - مقدشووه .
- ٣٩ - براوة .

- ٤٠ - جزر بيت ، منذة ، لامو .
 ٤١ - فناة سيو .
 ٤٢ - مينتويس : قنطرة او بعثا .
 ٤٣ - يتحمل النص الاصلي الاداء بالسفن المتقورة في جلوع الشجر ، او المتقورة والمضاد اليها خشب مقاوم بالالisan على جوانبها .
 ٤٤ - في دلتا نهر دوفيسي على الاربع ، في تزاينية ، خلفجزيرة متنه ، والجدل مستمر لتحديد لها بدلة .
 ٤٥ - معنى لفكي كومي « القرية البيضاء » ، وتبعد ٢٠٠ ميل عن برنيكي . ربما كانت يتبع البحر التي تبعد ٥٠٠ ميل عن البتراء .
 ٤٦ - مدينة اثرب ادومية هي سلع القديمة او الصفرة ، سماعا اليونان البترا ، وحولوها الى مستودع حبوب ومسنون ، جعلتها الانباء عاصمتهم الى ان اختلها الامبراطور تراجان .
 ٤٧ - مالقنس ، لقب ملوك الانباط وليس اسم ملك بالذات ليما يظن .
 ٤٨ - الجزيرة المعروفة اي البركانية : يقصد بها الزيبر على بعد ١٢٠ ميلا شمالي غربي موذا .
 ٤٩ - المسافة الحقيقية ٩٠ ميلا تقريبا .
 ٥٠ - يرجع أنها اذين على بعد حوالي ٥٠ ميلا عن موذا .
 ٥١ - اواراء متباعدة بشان خليس .
 ٥٢ - كانت سفار قرب بريم على بعد ٩٠ ميلا شمال شرقى موذا .
 ٥٣ - كربآل : أحد ملوك سيا ، ملك حمير وسيا وقبطان معاقفما يظن .
 ٥٣ مكرر - موذا (او موسى او متجر موذا عند بطلميس) موشح في راي ر. ب . سرجنت .
 ٥٤ - نسبة الى ابيرة (ابهة عند الهنود) : جوزرات الشمالية شمالي بروج مع شبه جزيرة كالياوار .
 ٥٥ - جزيرة بريم في مضيق باب المندب .
 ٥٦ - المقصود بباب المندب او المندم .
 ٥٧ - اوكلس : الشيخ سعيد مقابل بريم والمسافة بينهما أربعة أيام .
 ٥٨ - القرية السعيدة : على .
 ٥٩ - لا بد من وجود خطأ في كتابة فيصر . يرى ماك كرندال ان اليسار هو الاصواب .
 ٦٠ - فنا : حصن غراب عند عرض ١٤° شمالاً وطول ١٩° شرقاً . والرأس داس عصيدة .
 ٦١ - اليازوس : العزيزليط ملك ضرموت .
 ٦٢ - جزيرة الطيور : جزيرة سيفخا حاليا .
 ٦٣ - جزيرة ترولاس : جزيرة حلئنة اليوم .
 ٦٤ - سيفانا : شبوة على بعد ١٢٠ ميلا شمالي غربي فنا .
 ٦٥ - يقع هذا الخليج بين فنا وبين سيفرس ، ويحيى مكلوا والشجر .
 ٦٦ - رأس سيفرس : رأس فرتك على بعد ٥٠٠ ميلا شرقي شمالي شرقى عدن .
 ٦٧ - ديبوكوريدو : جزيرة سقلة . وليس في الواقع منتصف الطريق بين رأس سيفرس وراس التوابيل ، بل تبعد ١٥٠ ميلا عن رأس التوابيل و ٢٥٠ ميلا عن سيفرس . وليس اسمها يونانيا بل سنسكريتية معناه جزيرة السعادة او النعيم .
 ٦٨ - المقصود شاطئ رأس التوابيل .

- ٦٩ - ليوريكي : الصواب زميريكي اي بلاد التاميل .
- ٧٠ - موسغا : يرجع انها سلالة العديدة .
- ٧١ - اسيغنس : جبال خلف رأس فرتك .
- ٧٢ - ذيتوبوس : خوريا موريا ، والاسم يوناني ماخوذ من قبيلةبني جنابي .
- ٧٣ - سرايس : مصرية على بعد ٢٥٠ ميلا شمالي شرقى خوريا موريا ، على ٧ الى ١٠ اميال عن البر .
- ٧٤ - كلابو : مجموعة جزر غربى مستقط (كل ، ديمانيات ، جازجون ، سواندى) .
- ٧٥ - المقصود انهم لا يهصرون جيدا في الليل على الاغلب .
- ٧٦ - كالن : لم يتفق على ما يقابل هذا الجبل .
- ٧٧ - اسپون : جبال عصب حسب ماك كرندل .
- ٧٨ - سمير أميس : في جزيرة لارك على الارجع . ابو لوغو : الابلة قرب البصرة . بسينوخاركس : مدينة قديمة قرب القرنة عند التقائه دجلة او الفرات .
- ٧٩ - عمانة : غير عمانة (= عمان) الفصل ٣٢ . وهي على ساحل فارس . ولم يتفق لا على موقعها ولا على ما يقابلها .
- ٨٠ - مدنات : المدunas اي المربوطة بجبال اليافق نغيل .
- ٨١ - خليج البيريزين : ساحل مكران وبيلوشتان . حورية : النهر المقصود بورالي او العب .
- ٨٢ - رميكية : لم يعرف موقعها حتى الان .
- ٨٣ - سكينة : بلاد ساكا في عرف اليونان .
- ٨٤ - سينثس : نهر الهنوس .
- ٨٥ - بربريكون : تغيرت دلتا نهر الهنوس ، وزال البر الذي قامت عليه هذه السوق والجزيرة الصغيرة المقابلة لها .
- ٨٦ - منقارة : من سور وعاصمة سيرستريني .
- ٨٧ - بريثون : رن كوتشن ، معناها المستنقع الماء .
- ٨٨ - براكي : دواركة في الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة كاثياوار .
- ٨٩ - بلاد اريكي : البلاد الواقعة خلف بريغازة وجوزرات . حكم منهاذوس من ١١٥ الى ١٢٥ ميلادية .
- ٩٠ - سيرستريني : شبه جزيرة كاثياوار .
- ٩١ - انظر العاشية .
- ٩٢ - استكابرية : اسمها الهندي هستاكفيرا ، وهي حاليا هشاب قرب بهمنغار مقابل بروج تغريبا .
- ٩٣ - بيبكي : قرب استكابرية ، مقابل دهج الواقعة على ساحل كمباده الشرقي .
- ٩٤ - بيونس : جزيرة برم .
- ٩٥ - ماس : نهر ماهي حديثا .
- ٩٦ - لتيوس : نهر تربادة .
- ٩٧ - بريغازة : اسمها الاصلى بهاروكاشا ، أصبح اليوم بروج . كانت سوقا تجارية هامة عند مصب نربادة هيوني : رقم مقابل كمونى ، يتعتمل ان يكون جزءا من الرصيف الواقع جنوبى مصب نهر تربادة .
- ٩٨ - كهتونى : قرية في الجانب الجنوبي من فوهه نهر تربادة . يظن انها كيم العديدة .
- ٩٩ - بروكلاس : اصوات بوكلاس : بسلافتى ، وحاليا شرسدة . على ٢٥ ميلا شمالي شرقى بيشاور .
- ١٠٠ - اسكندرية يوكفلس : مدينة بناتها الاسكندر احياء الذكرى جواده العزيز عليه الذي نفق قرب احد معابر نهر جهليوم .

- ١٠١ - الواقع ان الاسكتلندر لم يقترب من نهر الفانج ، بدل كر - راجحا عندما وصل الى مكان في مقاطعة غورديسبور لا يبعد كثيرا عن لاهور . ومنه ذهب الى قومة نهر المہنسوس، ومنها ابى الى رأس الخليج .
- ١٠٢ - اذيني : اجين : مدينة قديمة جدا كان سكانها الہندو ي Gusbon اطوالهم منها . تقع على ٢٠ ميلا شمالي نربادة ، وعلى ما يقرب من ٢٠٠ ميل شرقی بربیفازة .
- ١٠٣ - لم تحمل معانى هذه التعبير باستثناء كبلتي الذي يظن انه يراوه ، كابلي نسبة الى كابل .
- ١٠٤ - ذخينادس : لفظ سانسكريتي يعني المنطقة الجنوبي اي شبه جزيرة الدکن جنوبي نهر نربادة ما عددا صاحل التاميل وملبار .
- ١٠٥ - بيشانة : تقع على نهر غنداري على ما يقرب من ١٨٠ ميلا شرقی سوبارا على ساحلها الغربي ، وكانت سوقا تجارية كبيرة . تغارة : سوق داخلية كبيرة ايضا ، تقع على حوالي ١٠٠ ميل شرقی شمالي شرقي بيشانة ، واسمها العالى تير .
- ١٠٦ - لم يعرف الاسيف المقصود .
- ١٠٧ - اكبارو : يظن انها خبرون الواردة عند الاذربيسي . سوبارا : ماتزال قائمة على حوالي ٣٠ ميلا شمالي يومباني .
- ١٠٨ - مدن هندية على الساحل الغربي لهضبة الدکن وجزر تقابلها .
- ١٠٩ - تندس : تتواء العديدة على حوالي ٧٥ ميلا جنوبي كنثور . والملكة في بلاد التاميل .
- ١١٠ - موژرس : كرتكور ، على حوالي ٢٥ ميلا تقريبا جنوبي كنثور .
- ١١١ - ناكيندنة : كوتيم على حوالي ٥٠ ميلا جنوبي كرتكور .
- ١١٢ - يكري : حاليا فيكارى .
- ١١٣ - المقصود كوتانارة حول كوتيم وكيلون .
- ١١٤ - هذا رأى المصري او اليوناني الذي صفت الكتاب . ولاريب ان العرب والهند عرفوا الرياح الموسمية بين قدموم اي ملاج غريب الى بحر الهند من بلاد بيميدة عن سواحله .
- ١١٥ - الجبل الاحمر : يطلق اسم الاجرف العمراء على الشاطئ العاد الانحدار تحت كيلون .
- ١١٦ - باثنة : لعلها تريپانڈروم او منبالي . كمار : دامنكموري . كولنغي : قرب توتيكورين . ارفلو : اوبيسور او تيشينتوبولي القديمة عاصمة مملكة شولا .
- ١١٧ - كمارا بوهار . يوفوكى : على الارجح اريكيبيو . سوباتمة : لعلها مدراس القديمة .
- ١١٨ - المقصود جزيرة سيلان .
- ١١٩ - مسالية : ماسوليفيت .
- ١٢٠ - ذيسريني : ارض اوريسة قديما .
- ١٢١ - لم تتحدد هذه القبائل بعد .
- ١٢٢ - خرسى : يرجح ان المقصود بورمة واسية الجنوبي الشرقية .
- ١٢٣ - كان المصتفون القدامى يطلقون اسم البلدان المجهولة على مدينتها الرئيسة ، مما يدل على جهلهم لما وراء الهند .
- ١٢٤ - بحر ينطس : البحر الاسود . بعية ميوتس : بحر ازواف .

استِدَرَائِيٌّ عَلَى دِيْوَانِ ”دِيكَرِ الْأَجْنَّ“

نشر القسم الأول في العدد ٢٥ - ٢٦

خير الدين شمسي باشا

قافية الباء

١ - في الديوان (ص ١٣) البيت الثالث :

وَتَضَحِّكُ سِنَّ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ مَوْجَعٌ
وَيَرْضُى الْفَتَنَى عَنْ دَهْرَهُ وَهُوَ عَاتِبٌ
وَهُوَ فِي الْحَمَاسَةِ الْبَصَرِيَّةِ (عَالَمُ الْكِتَابِ بَيْرُوتُ ص ١/٢٢٧) :
« وَتَضَحِّكُ سِنَّ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ عَابِسٌ »

٢ - البيت الخامس :

إِلَى أَيِّ فَتِيَانَ النَّدَى قَصْدُ الرَّدَى
وَأَيْهُمْ نَابَتْ حَمَاءُ النَّوَائِبِ
وَهُوَ فِي الْحَمَاسَةِ الْبَصَرِيَّةِ :

إِلَى أَيِّ فَتِيَانَ النَّدَى سَبْقُ الرَّدَى
وَأَيْهُمْ انتَبَتْ حَمَاءُ النَّوَائِبِ
٣ - البيت السادس (ص ١٤) :

فِيَا لَأْبَيِّ الْعَبَاسِ كَمْ رَدَّ رَاغِبٍ
لَفْقَدَكَ مَلْهُوفًا وَكَمْ جُبَّ غَارِبٌ
وَفِي الْحَمَاسَةِ الْبَصَرِيَّةِ :
« أَلَا يَا أَبَا الْعَبَاسِ ٠٠٠ »

٤ - البيت الثامن :

فيا قبره جُدْ كل قبر بجوده فيك سماء "ثرة وسحائب
وهو في الحماسة البصرية :

« ويا قبر جُدْ كل القبور بجوده »

٥ - البيت التاسع :

فائق لو تدرى بما فيك من علا علوت وباتت في ذراك الكواكب
وهو في الحماسة البصرية :

« علوت فلاحت في ذراك الكواكب »

٦ - البيت العاشر :

أخ كنت أبكيه دماً وهو نائم حذاراً، وتعى مقلتي وهو غائب
وهو في الحماسة البصرية :

« أخ كنت تدمي مهجتي وهو نائم »

وفي زهر الأدب (عيسى البابي العلبي وشركاه الطبعة الثانية
ص ٢/٧٥٤) :

« أخ كنت أبكيه دماً وهو حاضر »

٧ - البيت العادي عشر (ص ١٥) :

فمات ولا صبري على الأجر واقف ولا أنا في عمرى الى الله راغب

« فمات ولا صبري على الأجر واقفاً »

وفي زهر الأدب (ص ٢/٧٥٤) :

فمات فما شوقي الى الأجر واقف ولا أنا في عمرى الى الله راغب

٨ - البيت الرابع عشر :

يقولون : مقدار على المرء واجب فقلت : واعوال على المرء واجب
وهو في الحماسة البصرية :

يقولون : مقدار على العر واجب فقلت : واعوال على العر واجب

٩ - البيت الخامس عشر (ص ١٦) :

وهي جانب منه وخلف جانب

هو القلب لما حُمِّ يوم ابن أمه

وبعده هذه الأبيات في العمامة البصرية :

لنائبة ناتيك فهو مضارب
بلسي ان اخوان الصفاء أقارب
كأنك للدنيا اخ ومناسب
أرى زمان لم تبق فيه مصائب

فتى كان مثل السيف من حيث جئته
بكاك اخ لم تحوه بقرابة
وأظلمت الدنيا التي كنت جارها
يبرد نيران المصائب أنتي

وبهذا انتهت القصيدة في العمامة البصرية . على حين ذكر صاحب زهر الآداب
بعد البيت العاشر حسب ترتيب الديوان هذه الأبيات وذلك بعد ذكره بيت على
ابن محمد الكوفي :

اذا لم يؤنسنها انتساب قلوب

ونسبة ما بين الأقارب وحشة"

قال : وهذا البيت كقول الطائي :

فقتلتهم : ان الشكول أقارب
وان باعدتنا في الأصول المناسب

وقلت أخي ، قالوا : أخ من قرابة
نسبي فيرأيي وعزمي ومذهبني

وقال عبد السلام بن رغبان ، وسلك طريق الطائي (فما ضل عنها) :
خذاراً وتعمى مقلتي وهو غائب
بلى ان اخوان الصفاء أقارب
ولا أنا في عمري الى الله راغب
كأنك للدنيا اخ ومناسب
أرى زمان لم تبق فيه مصائب

اخ كنت ابكيه دما وهو حاضر
بكاءً اخ لم تحوه بقرابة
فمات فما شوقي الى الأجر واقف
وأظلمت الدنيا التي أنت نورها
يبرد نيران المصائب أنتي

وفي هذه القصيدة :

اليكَ وغالبتَ الردى وهو غالب
وأي يد لي والزمان المحارب
وها أنا أو فازدَدْ فانا عصائب

ترشتَ أيامِي وهُنْ كتوالِح
ودافعتَ في كيد الزمان ونعره
وقلت له : خلْ ابن أمي لعصبةِ

والا فعبي آل أحمد كاذب
دم القلب حتى يقضب العبل قاضب
يداً للمردئ ما حجج الله راكب
لنائبة نابتك فهو مضارب
وان ناب عنه ماله وهو عازب
ظام" وان ترحل فهن ركائب

فواهه اخلاصاً من القول صادقاً
لو ان يدي كانت شفاءك أو دمي
سلمت سليم الرضا واتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جثته
فتى همة "حمد" على الدهر رائح"
شمايل ان تشهد فهن مشاهد
ولنا تعليق على قول صاحب زهر الآداب : « وسلك طريق الطائي فيما ضل عنها »
نقول : لعل العكس هو الصحيح ، أي أن آبا تمام هو الذي سلك طريق ديك الجن ،
وأخذ عنه ، وقد شهد بذلك أبو منصور الشعالي في كتابه (ديوان المعاني) - منشورات
وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ص ٣٥٩ / ٢) : وقال ديك الجن
في وصف السكر :

(وهذا البيتان المذكوران فيما يلي في قافية الراء) . ثم قال الشعالي : وأخذه
أبو تمام - وكان كثير الأخذ عنه .

وذكر الأديبان المرحوم معين الدين الدرويش وطويل العمر الأستاذ عبد
العين الملودي جامعاً الديوان في مقالهما عن حياة الشاعر :
بين ديك الجن وأبي تمام :

وحدث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال : كنت جالساً عند ديك
الجن ، فدخل عليه حدث " فأنشده شعرًا من عمله ، فاخترج ديك الجن من تحت
مصلحة درجة كبيرة فيه كثير من شعره " فسلمه إليه وقال : يا فتى ، تكسّب بهذه
واسمعت به على قوله ، فلما خرج سأله عنه فقال : هذا فتى من أهل جاسم يذكر
أنه من طيء يكنى أباً تمام واسمها حبيب بن أوس ، وفيه أدب وذكاء وله قريحة
وطبع : قال : وعمر ديك الجن إلى أن مات أبو تمام ورثاه . انتهى .

١٠ - في كتاب التمثيل والمعاضرة للشعالي :

(نشر عيسى البابي العلبي وشركاه - القاهرة ص ١٠٠) باب الأمثال
السائلة للمولددين . هذا البيت لديك الجن (وليس في الديوان) :

سبحانَ مَنْ جَعَلَ الْآدَابَ فِي عَصَبٍ خَطَا وَصَيَّرَهَا غَيْظًا عَلَى عُصَبٍ

قافية العام

- ١١ - في الفيث المنسجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفوي
(بالطبعية الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هـ / ص ٤٥) وقال ديك الجن
(وليس في الديوان) :
حتى آصادف مالاً أو يقال فتى لاقى الردى بين أسياف وأرماح
- ١٢ - في الديوان (ص ٣٢) :

رَقْ حَتَىْ حَسِبْتَهُ وَرَقَ الْوَرْدِ جَنِيَاً يَرْفَ بَيْنَ الرِّيَاحِ
وَفِي كِتَابٍ (خَاصُ الْخَاصِ لِلشَّعَابِيِّ - طَبْعَ دَارِ الْحَيَاةِ بِيَرْبُوتِ ١٩٦٦ ص ١٢٨)
« نَدِيَاً يَرِفُ بَيْنَ الرِّيَاحِ »

قافية الدال

- ١٣ - في كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسى :
- (طبع دار الثقافة بالدار البيضاء ٢١٥ ص ١) : وقال ديك الجن :
- وليس المرء ذو العزمات الا فتى يلقاه كل غدو بلاد
وفي العمامة البصرية (ص ١١٥) ذكر المحقق في العاشية في شرح بيت
العرishi السعدي :
- فدعني أطوف في البلاد لعبني أسر صديقاً أو يمسأ حسود
قال : نظر اليه ديك الجن :
- وليس المرء ذو العزمات الا فتى يلقاه كل غدو بلاد
فتى ينصب في صدر الفيافي كما ينصب في المقل الرماد
البيت الأول ليس في الديوان ، والثاني بهذا النظم :
- فتى ينصب في ثغر الفيافي كما ينصب في المقل الرقاد

قافية الراء

١٤ - في الديوان (ص ٣٩) البيتان الخامس والسادس :

ظللنا بأيدينا نتعتنق روحها فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
وهما في ديوان المعاني للشعالي (٢/٣٥٨) :

مشعشعه من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
فظللت بأيدينا نتعتنق روحها وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

قال أبو منصور الشعالي : أخذه أبو تمام ، وكان كثير الأخذ عنه :
إذا اليد نالتها بوسر توقدت على ضعفها ثم استقادت من الرجل

١٥ - في الديوان (ص ٤٧) :

أترك لذة الصبهاء عمداً لما وعدوه من لبن وخمص
وفي دفترى ، ولم ذكر من أين نقلته :
« أترك هننا الصبهاء نقداً »

١٦ - في الديوان (ص ٥١) :

وردية (يحملها شادن) كأنها من خده تعصر
وفي ديوان المعاني للمسكري :

« وردية يحتثها أحور »

قافية السين

١٧ - في العمامة البصرية (ص ٢/٣٤٩) :

الصفات والنعموت : وقال ديك العبن عبد السلام : (وليس في الديوان) .
لكنها انصرفت والنور منغمس
يريك ذهنك أن الرزق ينبجس
الا وفيه لأبكار الشري عرس
قال الشارح في الحاشية : لعلها : جادت .

قافية العين

١٨ - في العمامة البصرية (ص ٢٧٢/١) :

وقال ديك الجن عبد السلام : (وليس في الديوان)
ليس يخشى جيش المعاواث من جُنداه وفدا صباة ودموع
قمر حين رام أن يتجلّى سار فيه المعاق قبل الطلوع
فلذة من صميم قلبي وجزء من ضلوعي
لصغير أعمام رزء كبير وفريد أذاق فقد جميع
ان تكون في التراب خير ضجيع كنت لي في المعاد خير شفيع

قافية الفاء

١٩ - في الديوان (ص ٦٨) :

أوفي بصبغ أبي قابوس مفرقه كدرة التاج لما أن علا شرفا
وفي ديوان المعاني للعسكري (ص ٥٣٨/٢) :
« كدرة التاج لما علّيتُ شرفاً »

٢٠ - في الديوان (ص ٧٠) البيت العاشر عشر :

كان قافاً أديرت فوق وجنته واختلط كاتبها من فوقها ألفا
وفي ديوان المعاني للعسكري (ص ٢٧٩/٢) :

كان لاماً أديرت فوق وجنته واختلط كاتبها من تحتها ألفا

٢١ - في العمامة البصرية (ص ٣٦٠/٢) :

وقال ديك الجن : (وليس في الديوان) :

وكم قربت من دار عبلة عبلة كجندلة السور المقابل مشرفه
فيروعى الفلا ما قد رعنه من الفلا وينحضاها المرّت القفار وتنحّفه

٢٢ - في الديوان (ص ٦٧) البيتان الأول والثاني :

وشافي النصح يُعْدَل بالأشافي وليس القدر الا بالأشافي
إذا شجر المودة لم تجُدْه سماء البر أسرع بالجفاف

وفي كتاب (التمثيل والمعاضرة للشعالي) (ص ٩٩) :
ديك الجن :

وشاقي النصح يعدل بالأشافي ومن جعل القوادم كالخوافي
وليس القدر الا بالأشافي

اذا شجر المسودة لم تجده بغيث البر اسرع في الجفاف
وقال محقق الكتاب في العاشية :

وفي (خاص العاصي للشعالي ص ١٠٢) [طبع دار الحياة ، بيروت ص ١٢٨] :
أبا عثمان معتبة وصبراً وشاقي النصح يعدل بالأشافي
وفي (نهاية الأرب ٣ / ٩٥) [طبع المؤسسة المصرية العامة ص ٩٨] .
وشاقي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر الا بالأشافي
وقال المحقق : ديك الجن : هو عبد السلام بن رغبان الكلبي شاعر ماجن ، سمي بذلك
لأن عينيه كانوا حضراوين . مات بمحض سنة ٢٤٥ هـ (وفيات الأعيان ٢٥٦ / ٢)

قافية القاف

٢٣ - في كتاب التوفيق للتلفيق - للشعالي :
(مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ص ٣٦) قال : وفي التلفيق بين لوني
العاشق والمشوق يقول بعض المؤلدين وهو يصف الخمرة :

وحرماء قبل المزج صفراء بعده أنت بين ثوبى نرجس وشقاائق
حكت وجنة المشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكستت لون عاشق

وقال محقق الكتاب في العاشية : البيتان في ديوان ديك الجن (ص ٧٤) وهما
وبعدهما ثالث في قطب السرور للنديم (ص ٦٥١) بعد أبيات ثلاثة لابن المعتز .
انتهى .

وهما في الديوان :
« أنت بين ثوبى نرجس وشقاائق »
« عليها مزاجاً فاكستت لون عاشق »

والبيت الثالث هو :
ومن عرف الأيام لم يفترر بها وبارد بالذات قبل الوائـق

قافية السلام

٢٤ - في الديوان (ص ٨١) وقال في العكم وطلب الرزق :

لا تقم للزمان في منزل الضيم ولا ترتبطك رقة حال
وإذا خفتَ أن يراهوك العدم فمُذْبَبٌ بالمشفات العوالى
وأهِنْ نفسك الكريمة للموت وقحّم بها على الأحوال
فلعمرى للموت ازين للحرُّ من الذل ضارعاً للرجال
وهي في ديوان الماعنى للعسكرى (١/١٦٥) كما يلى :

قال ديك الجن :

لا تقم للزمان في منزل الضيم ، ولا ترتبطك رقة حال
وأهِنْ نفسك الكريمة نموت ، وقحم بها على الأحوال
فلعمرى للموت أجمل بالحر من العيش ضارعاً للرجال
أي ماء يجول في وجهك الحرُّ ، اذا ما امتهنته بالسؤال

قافية الميم

٢٥ - في ديوان الماعنى للعسكرى (ص ١/١٢٦) :

وقال ديك الجن يفتخر بكلب : (وليس في الديوان)
كلب " قبيلي ، وكلب " خير من ولدت حواء' من عَرَبٍ غُرْرٌ ومن عَجَمٍ

قافية النون

٢٦ - في الديوان (ص ١٠٥) البيت الثاني :

ولا تنظرن اليوم لهوا الى غدٍ وَمَنْ لِفَدَٰ من حادث بآمان
وفي ديوان الماعنى للعسكرى (ص ٢/٣٥٦) :

« وما لِفَدَٰ من حادث بآمان »

٢٧ - في العمامة البصرية (ص ٢٦٥ / ١) ذكر البصري بيتي يعقوب بن الريبع بن حارثة في امراته :

فلو أتنسي اذ حُمَّ يوماً وفاتها
فحلَّ بنا المقدور في ساعة معاً
ثم قال : وقال ديك الجن عبد السلام في معناه : (وليست في الديوان) :

أحڪم في عمرِي لشاطرِتها عمرِي
فماتت ولا أدرِي ومت ولا تدرِي
ولا بقيت إلى يوم تمويتنا
ويرغم الله فينا أنفسنا واسينا
حتى إذا ما انقضت أيام مدتانا
متنا كلانا كغضني بانة ذبلا

قافية الهاء

٢٨ - في الديوان (ص ١١٢) جاء ترتيب الأبيات كالتالي :

(١) - يا طلة ٠٠٠ (٢) رويت ٠٠٠ (٣) حكمت ٠٠٠

وترتبها في أمالى الزجاج (دار الكاتب العربي بيروت ص ٦٥) .

(١) - يا مُهْبَّة ٠٠٠ (٢) حكمت ٠٠٠ (٣) رويت .

وجاء فيها البيتان الخامس والسادس كما يلي :

ما كان قتليها لأنني لم أكن أبكي اذا سقط الذباب عليها
لكن بَخَلَّتْ على العيون بلحظتها وأنفست من نظر العيون اليها
ولمل المطلا في السادس من الطبع. وصحته :

لكن بَخَلَّتْ على العيون بلحظتها وأنفست من نظر العيون اليها
وهما في الديوان كما يلي :

ما كان قتليها لأنني لم أكن أخشى اذا سقط الغبار عليها
لكن ضنت على العيون بحسنها وأنفست من نظر العسود اليها
خير الدين شمسى باشا

من النجوم الغَوارب

الشاعر صالح طه

عمر طه

نبغ في بلاد الشام في أواخر العصر الفائق وأوائل هذا العصر على الرغم من الصرف التاريخية الصعبة التي أحاطت بها وعاقت مسيرتها نوابع في كل ميدان تعهلو أنفسهم بأنفسهم وشقوا كالنجوم اللامعة خلال ظلام الزمان مسالكهم النيرة . و تعرض محلة التراث العربي أن تثير من حين إلى آخر ذكرياتهم وتنوه بجهودهم وتسلح ما قدموه إلى وطنهم وأهله من جزيل البر وجليل العمل . فيما يلي دراسة موجزة للشاعر صالح أحمد طه بقلم الأستاذ عمر طه من كلية العلوم في جامعة دمشق

❑ نشاته وحياته :

هو صالح بن أحمد بن محمد بن طه ولد في مدينة دوما القريبة من دمشق عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م .

انتخب والده أحمد بن محمد طه عضواً في محكمة دوما عام ١٨٩١ م ، وكان يدير إدارة أملاك الوجيه محمد البارودي .

نشأ الشاعر صالح طه في كتف والده وكانت مخايل الذكاء الفطري تظهر عليه منذ طفولته .

درس القراءة والكتابة والقرآن الكريم على بعض شيوخ عصره ، ومنهم الأستاذ العلامة الشيخ محمد الخطيب ، ولم يتلق قواعد اللغة العربية وعلوم البيان والمنطق على أحد من العلماء الأعلام .

توفيت والدته عام ١٨٧٤ م وكان في سن الوعي والرشد ، فأخذ ارثه منها واشتغل

★ ستصدر آثار الشاعر صالح طه تباعاً وهي القصائد المهمة – ديوان شعره – روض البيان ومتنه الإنسان – تعسين البديع بمدح الشفيع – السفينة .

بالتجارة . ثم توفي شقيقه محمد في عام ١٨٨٤ م وعمره ٢٤ سنة ، فرثاه بقصيدة مؤثرة، ثم توفي ولده محمود وعمره ستة سنين عام ١٨٨٥ ، وتوفي جده محمد بن محمد طه في عام ١٨٨٨ م وعمره ١١٠ سنين ، وتوفي والده أحمد بن محمد بن محمد طه في عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م ، وقد عاش ٦٤ سنة .

تبعد الشاعر في علوم الهندسة والحساب حتى أصبح بازغاً في حل اعقد المسائل العسابية بسرعة فائقة حسب طريقته الخاصة .

وكان يمتاز بخبرته في الشؤون العصرانية الهندسية ، وكان علياً بقراط الخطوط الجميلة وكتابتها ، وله باع طويل في العلوم الروحانية ، يهوى الطرب ويقتنه سماحة الأصوات الجميلة ، وكان ذا خبرة في الفن والموسيقى وعلم النغم وأوزانه ، وقد نظم المنشعات البديعية .

وفي عام ١٨٨٤ م عين كاتب ومحاسبًا في بلدية دوما ، وفي عام ١٨٩١ م عين رئيس لفرقة الزراعة والتجارة . وفي عام ١٨٩٢ م انتخب عضواً في شعبة المعارف ، وفي عام ١٨٩٤ م عين رئيساً للمصرف الزراعي .

□ رئاسة بلدية دوما :

حاز بطريق الانتخاب رئاسة بلدية دوما وذلك في عام ١٩٠٠ م ، وكانت حياته مليئة بمختلف وجوه النشاط . ومن أبرز مزاياه التي كانت السبب في اجماع الناس على محبته وتقديره أنه جعل بيته وبين المناقش الشخصية حجرًا محجوراً ، خدم بلده بزيارة وخلاص ، فمنعه مواطنوه ثقتم وطالعه في تلك الرئاسة ، والذين عرفوا الشاعر صالح طه يعيشون فيه سمة الكرم والابتعاد عن التلذذ والترفع عن المال .

قام بأعمال إصلاحية عديدة منها توسيع جامع دوما الكبير بإضافة مئذنة على طول حرميه ، واقامة الجسور الشمالية فيها بشكل هندسي بدبيع وذلك في عام ١٨٩٠ م .

وفي عام ١٩٨٢ م قامت وزارة الأوقاف بتتجديد بناء جامع دوما الكبير .
بني جامعاً من ماله الخاص سمي باسم جامع طه وقد أكمله أولاده من بعده .

□ مميزاته :

كان الشاعر صالح طه طلق اللسان ، قوي العجة ، جريئاً وصريحاً ، يرتجل التوارد والشعر مع الناس ، يلقاءه بشعر ياسن ، نشيطة في عمله ، يكره الشهرة وحب الظهور، وهب الله له خصباً في الفكر ، ومتأنقة في الاستدلال ، كان فيما لا يجاري ، فيعطي الجواب من روح السؤال ، وله حافظة قوية تميّل إلى الصواب ، وهو وسيم الوجه ، مشرق الجبين، يسدي الخير لمن يحيط به من الناس .

اما اسلوبه في الأدب فكان يعبر عن رسالة الفكر والقلب .

اما اسلوبه في الشعر فكان لسان القلب الرقيق ، ولغة الماطفة المعبرة المرهفة .
وترجمان العيون الهائة في عالم الجمال .

□ علماء عصره :

عاصر العلماء : الشيخ طاهر الجزائري وكان شاعراً وأستاذ العلماء الإعلام ، والشيخ عبد الرحمن القصار ، والشيخ محمد المبارك ، والأمير معين الدين الجزائري ، والشاعر الهلالي العموي ، والشيخ طاهر شمس الدين العمسي ، والشيخ عبدالقادر بدران وغيرهم . وكان مؤلام العلماء والشعراء يترددون مع تلاميذهم لزيارة في دومة ، وله اجتماعات ومساجلات أدبية كثيرة مع أفضل علماء دمشق وفي طليعتهم الشيخ بدر الدين الحسني .

□ شعره :

اذا مرحنا النظر في ديوان هنا الشاعر المطبوع نجد فيه السلوى المنعشة والمنعة الروحية ، واللوحات الجمالية الخلابة المنسجمة مع روح ذلك العصر ، من قصائد غزلية ووصفية لجمال الطبيعة ، ثم قصائد في المدح ، واخرى في الحكم والتأمل والفضحية ، وقصائد في الرثاء ، وقصائد في الفخر وعززة النفس ، وقصائد صوفية . وكان الشاعر يميل خاصة الى الشعر التأملي الصوفي والى الخمريات ، فكان شعره من النوع المؤثر بطلانث البديع والبلاغة .

والشاعر صالح طه مبدع كالصانع تتميز صياغته بمتانة اللفظ وانشراق الفكرة ووضوح في المعنى .

وظهرت عبقرية الشعرية في الشعر المهم والتاريخ الشعري ، وكانت ارتجالاته الشعرية موضع العجب والاعجاز ، ومن قوله الارتجالي في الوفاء :

اذا ذهب الوفاء فقل سلام على اهل العجابة والوفاء
ولا تعتبر على ابناء دهر فلون الماء من لون الاناء

وقوله في المقاطعة :

سأترك حكم من غير بعض
اذا وقع الذباب على طعام
وقوله في فلسفة العب :

عشق المحبوب طيباً مثله
كان مشوقاً فأنسى عاشقاً

وقوله في وصف حبيبه :

أزيد وصاله ويريد هجري
وأعشق ما أراد بكل أن

وقوله في التورية :

حيث يذكر الشاعر لفظاً مفرداً له معنیان أحدهما قریب ظاهر غير مراد والآخر يعيد
معنى هو المراد :

حبيبي عليه الدهر كان قد اعنتى
وعالمة بالنحو قلت لها اعرابي
قالت حبيبي متدا بكلامه فقلت لها (ضميّه) ان كان متدا

□ نماذج من شعره :

- شعره بالتاريخ .. رحلته الى استانبول :

سافر الشاعر الى استانبول وقابل السلطان عبد العميد الثاني ، ومدحه بقصيدة
تاريخية بمناسبة اليد الفضي سنة ١٣٠٨ هـ أي ١٨٩٠ م ، وهي ٣١ بيتاً والمشتملة على
(١٥٩٠) تاريخاً لعام ١٣٠٨ هـ :

كرر ثنا مسحه بالعلم واللقب	أرخ ثنا قمر بالوسم والطرب
٤٢٠ ٥٥١ ١١١ ٦٧ ٤٢٠ ٥٥١ ١٦٩	٢٤٨ ٢٤٠ ١٦٩
عبد" فقير رأى الملتوان كالكتيب	قفت كي ترى سلعاً كالنصر حبيبها
٧٦ ٤٧٣ ٢٢١ ٢٩٠ ٣٠ ٦١٠ ٧٩	١٨٠ ٢٩١ ٧٩ ١٨
عنان اوصى له بالملك في رصبر	وامدح يعز خطيباً يبرئ طلبع جوى
٦٦١ ٦٦١ ١٠٧ ٣٥ ١٢٢ ٩٠ ٩٩	٩٩ ٨٢٠ ٢٢٢ ١٠٩
أمل لطبع الثنا والمصطفى العربي	وأطבע ثناً بدر الأمر في ملوك
٢١٣ ٥٦٢ ١١١ ٦٦ ٢٦ ٩٠ ٢٧٢ ٢٠٦	٨٨

- وبذلك يكون في البيت الأول وفي كل بيتٍ تواريخت لعام ١٣٠٨ هـ ، فنالت استحسان
السلطان فساله عما ينتفيه فأجابه : لا يزيد سوى اكتساب مرضاة الله بتوصيع
جامع دوماً الكبير ، فامر له بسلح ٦٥٠ لردة ذهبية لهذه النهاية ، وأثارت عزة نفسه اعجاب
السلطان الذي كان يتهالك الشعراً على مدحه للحصول على عطاياه ، وقد صرف هذا
المبلغ على الجامع بمعرفة لجنة خاصة كان الشاعر يرأسها .

□ شعره المهل :

اهتم الشاعر صالح طه بالشعر المهل (العرف المهل) : هو كل حرف يدون نقطه ،
وقد ألل قصائد بدمعية وموشحات كثيرة منها الرسالة التي سماها « الدراري واللال »
للح مدح محمد واللال ، وكان عمره ٣٠ سنة ، مطبوع في عام ١٨٩٠ م وتتألف من :

١ - مقدمة نثرية يبدأها ببسملة من تاليقه خالية من النقط ف قال :

اسم الله السلام اول الكلام

٢ - قصيدة بمدح الرسول الاعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عدد أبياتها ١٩ بيتاً مطلعها :
أسر الأسود هلال سليم والعمي لما ردعى آل اللوثي ولهم حمى

٢ - قصيدة في مدح السلطان عبد الحميد عدد أبياتها ٣٤ وقد عظمت مكانته في قلوب العرب والمسلمين إذ ذاك حين رفض مكاييس الصهيونية وعرضها السخية أولها :

ملك المكارم والمعامد والعلا ملك الملوك مع المالك والملا

٤ - تفسير المفردات أيضاً بالمهمل .

٥ - تقرير الشعرا له بالمهمل وتحوي سبع قصائد للشعراء : عبد الحميد الغانبي - محمد نسيب العزاوي - محمد هلال - عبدالعزيز الجزائري - محمد علي الكيلاني - عبد القادر بدران - سليم جاويش .

□ شعره في المنشعات البدوية : (٥٧) بيتاً .

- قال رائياً الأستاذ الملاة الشيخ محمد الخطيب المتوفى في مدينة الرسول (عليه الصلاة والسلام) عام ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م .

**يا لقومي ما ليمعي هملا
هل خطيب العبد استاذ العلا
وفؤادي ناره في ضرم
مات وجدا في رياض العرم**

□ شعره في الوصف :

- وقال يصنف الريبع : (٥٨) بيتاً :

ووفي الزمان وطابت الفيحة
وشددا الهزار وغنت الورقاء
بين الرياضن وراقت المنهماء
فتارتلت بأرجيهمَا الأرجماء
دررا لها فوق النجوم سنام
فالتبمْ زهر والربى الغضراء
والغضراء في الباب الأخير من معانها
السماء وهو المراد هنا وفيه تورية .

- وقال في وصف رأس العين بدموعاً عين فامر يا :

واملئار" تصمادح' كالأغاني
أرق' من الصباية في الفواني
غضون' البان من نقم المثاني
ظباء' الانس في بنت الدنان

برأس العين منتزة ومام'
ورووض فيه يا صاحي هواة
ومنظر بهجة فيه تشتت
بسفع طالما غازلت فيه

□ شعره في الغزل :

- وقال في عام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م :

يا فنتة الشعرا وقبلة خاطري
وبفترط جبك قد تهتك ظاهري

لنك في فؤادي مرتع وبناظري
وبنور وجهك كم تنور باطننا

وبقرة مثل الصباح السافر
وببل اجفان كلمن سريري
سحرت عقول عوانزي وعواذري
فيبدت ينضرتها كصب حائز

قساً يشعرك وهو ليل مظلمٌ
وبسيف العاطق وقوس حواejib
ويمقلة كحلاء هاروتية
وبوجنة سرت دماء قلوبنا

□ شعره في المدح :

— وقال مادحاً صاحب السعادة أحمد باشا الشمعة ومهنثاً له بعيد الفطر عام ١٣١٥ هـ -
١٨٩٧ م : (٤١) بيتاً :

هل سمعتم مثل هذا الاعتذار
فاح عطر الورد من آمن العذار
تحت ليلٍ يزدري شمس النهار
جوهرى الثغر دري التشار
يعنى: المهد شامي، الوقفار
بين جنبي لقتلي ذو القفار
صده قد علم الطبي النفار
يالـ' المدن ولا يهوى القفار

عذر أرباب الهوى خل العذار
فاعذروني بالذي من خدّه
بدر حسن فوق غصن مسفر
عنبرى الحال مسكن اللعا
وصولتى الوعد كوفي الوفا
بابلى الطرف سحار النهى
سمهري "القد" فضاح القنا
سارت عيناي ظبياً قبله

□ شعره في الغر :

— وقال في عام ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م في قصيدة مطلعها :

وشبّئ فيه بالفواية جامل
عن الرجس لا ما تدعه الأراذل
ام الدار قفرى منهم، والمنازل
فقد درست آثارهم والفضائل
فلي عنّه شغل بالمخاير شاغل
بهور قلّه في الدهور الأفضل
قد ابتعدت عن حالي المشاكل

تركتنا الهوى لئاً ادعته الأسفل
وما الشق الا ما علمت مقدساً
فهل للهوى المدري أهل بوقتنا
سلام على رب الزرام وأمه
وانسي وان كنت المتيم بالهوى
ومن كان مثلي لا يضيع وقت
لذلك سرت القوم غير مشارك

□ شعره في الرثاء :

— وقال راثياً شقيقه محمد بن أحمد طه وكانت وفاته في ربيع شبابه وعمره ٢٤ سنة
في عام ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م بقصيدة مطلعها :

حور أرتك الشمس تحت البرقمع
فندوت ملقى لا تفيق ولا تعي
وتلاه نور ضاء مكلا

ه ببطت اليك من محل الأرفع
وسقطك كأساً بالرحيق مسكا
وفدلاً جبينك بالرضاء مكلا

لم أنس يوماً فيه شِيمتكَ صامتاً ينبي سكوتُك عن رضاك يادمعي
ان كنت ترضي دمع عين غاملاً ايَّه دموعي هذا وقتك فاعمي
هذا ولم يدع غرضاً من أغراض الشعر المتداولة اذ ذاك الا وعالجها، فله في الحكمة
والخمريات والمدح والهجاء اشعار كثيرة سوف تظهر في ديوانه ورسائله ٠

شعر في الغمرات :

دعني من النثر والأشعار والأدب
وعاطنني الكأس رغم اللامتن بها
وقل لمن لا يرى رأياً وظن سوى
هذا زمان أباً جهل فداء حكماً

شعره في الحكمة :

- وقال في قميضة مطلعها :

العلم والعلم' والمعروف والمدل
والصدق' كالفلك الأعلى له أثر'
والخمس للمرء كالخمس العوام فان
والمرء' رهن' الهوى فليغش' عاطفة'
فالرأي كالسهم يخطي القصد آونة
لا ينكر الفضل الا من به سفة'
فالفضل كالشمس بالاشراق تتكره'
والحق يملو ولا يعلى عليه ومن
والشكر فرض" علينا كل آونة

شعره في عزة النفس والكرامة :

وقد عالج التشنط ، فمن تشطيره الذي راج اذ ذاك بيتان منسوبيان الى جدّ الرسول عبدالمطلب القرشي الهاشمي امّا زعرا بن عبد النفس والكرامة :

لنا نفوسٌ لنبيل المجد عاشقة
ما ان تسلّت بما يزري لنا حسنا
لا ينزلُ المجد الا في منازلنا
ونحنُ والمجد ان شبهت إلقتنا

لنا نقوسٌ لنبيل المجد عاشقة
ما ان تسلّت بما يزري لنا حسباً
لا ينزلُ المجد الا في منازلنا
ونحنُ والجند ان شبهتم إلتفتنا

وكذاك من التشطير قال الشاعر :

وإذا نطقت ففي صفات جمالكم
وإذا رويت فمن صحيح حديثكم

وإذا سألت الكائنات فعنكم
وإذا سكت فحالسي تتكلّم

و اذا ذكرتكم فكلي السن وبذكركم يتزئم المترنم
و اذا نظمت تفزاً في صورة . فالقصد انت والبرية تعلم

□ شعره في التخييس :

وقد شهد أفال من أفضلياته من الأدباء والشعراء بأنه كان آية باهرة من الذكاء الفطري والباهة والفرامة فقد طلب منه الشيخ محمد الشركة من علماء دمشق في عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٤ م أن يخمس الأبيات التي مطلعها :

يا قاضي الفزان جَفْنِي والكَرِي خَصْمَانِ يَخْتَصِّمَنِ فَاحْكُمْ وَاهْدِنِي
فأدرك الشاعر بقوته فراسته انه يتعذر قوة نظمه الارتجالي فايتم وكتب تخييساً جسلاً للأبيات كلها مستهلاً بالشطرنجم الخامسة الآتية :

نادي السلوٰ فما أجبَ فأَقْسَرَ دَنْفٍ باحْكَامِ النِّرَامِ تُعْرِيَا
كيف الغلاص من القضم اذا جرى يا قاضي الفزان جَفْنِي والكَرِي
خَصْمَانِ يَخْتَصِّمَنِ فَاحْكُمْ وَاهْدِنِي

- وكذلك خمس مطلع قصيدة الشاعر ابن الفارض :

زَدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيْكَ تَحِيرَا وَارْحَمْ حَشَا بِلْطَى هَوَكَ تَسْمِرَا

فقال الشاعر مرتجلًا :

سِبْعَانَ مِنْ أَمْرِي بِصَبْرِي مِنْ سَرِي دَمْعِي فِيَاجِ سِرَنَا وَبِمَا جَرِي
وَغَدُوتْ مَحْتَارًا وَصَعْتْ مَكْبُرًا زَدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيْكَ تَحِيرَا
وَارْحَمْ حَشَا بِلْطَى هَوَكَ تَسْمِرَا

□ شعره في النصيحة للعلم :

- وقال في عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م في النصيحة من أجل العلم في قصيدة مطلعها :

لَقَدْ ضَيَّعْتَ وَقْتَكَ غَيْرَ صَاحِبِ مَعْجَالٍ فِيْ قِيلٍ وَقَالٍ
مَعَ الْجَهَالِ فِيْ قِيلٍ وَقَالٍ وَبَعْثَتْ الْمُسْرِ فِيْ سَوقِ الْمَلَامِيْ
بِرْخَصْ لَا تَفْكِرْ وَهُوَ غَالِيْ سَتَدْكِرْ حِينَ تَصْحُو صَدْقَ قُولِيْ
وَتَعْلَمْ أَنْتِي أَهْسَوْ الْمَعَالِيْ أَمَا تَدْرِي بَانِ الْجَهَلِ عَارِيْ
وَانِ الْعِلْمِ مَجْدُ غَيْرِ بَالِ

□ شعره في العلماء :

- وقال في عام ١٣٢٢ هـ - ١٩٥٠ م في العلماء :

أَعْلَى الرَّاتِبِ رَتِبَةً "الْعَلَمَاءِ" وَهُمُّ النَّجُومُ لِهَنْدِ بَصِيمَ
فَمَنْ اقْتَدَى بِصَيَانِهِمْ فَنَدَ اهْتَدَى لِتَجَاهِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْلَّيْلَامِ
وَرَثُوا عِلْمَ الْأَنْبِيَاءَ فَهُدِيْهِمْ وَهُمُّ الْمَلَادُ بِشَدَّةِ وَرَخَاءِ
نُورِ يَضْيَءُ عَلَى شَمَاعِ ذَكَارِ

شعره في النصب التذكارية والتاريخية :

- وقال الشاعر صالح طه مؤرخاً وضع عمود النصب التذكاري بمبدأ السبيل «ساحة المرجة» في عام ١٩٠٠ م - ١٣٢٨ هـ بمناسبة السلك البرقي بين دمشق ومكة المكرمة . وقد صنعت هذا العمود في معامل كروب الالمانية بطلب من السلطان عبد العزيز :

هذا عمود البرق عن قطب الفلك
وبعيد ربعة القرن أسس ثابتة
عبدالعليم ومن لئنها بسيطه
لا زال منصورة وإن أرخت قل:

شعر في السؤال :

- سئل الشاعر عن جواب هذا البيت :
ما لي أرى الشمع يبكي في مواقده
- فاجاب الشاعر مرتقبلاً :
من لم تتعاقبه اخرين، أن تعالسه
- ـ ما ضر بالشتم الا صحة الفتن

شـعـرـهـ عـلـىـ صـورـتـهـ :

فقد أهدى صورته الشمسية عام ١٨٩٠ م فكتب عليها مفتخرًا :
شمس البلاحة ما سرت في سانري
الا رات ابراجها بسرايري
هيئات غائيتها برسم طواهري
من اين للأدسام تدرك غائيتي

مقابلة الشاعر صالح طه مع الامر شبيب ارسلان في استانبول :

دعيا الى حفلة ختان انجيل احمد عزت باشا العابد في استانبول وكان الامير بجانب الشاعر فساله هل هيأ قصيدة في هذا الموضوع فلما جا به بالتفي وقال له الامير وأنا مثلك ، ولما بدأت الحفلة قام الامير والقى قصيدة بالتهنئة، فورج الشاعر وانتفخت اوداجه ثم قام وهنـا صاحب الدعوى يأخذ ارتجلها وكان لها الوقم الحسن نذكر منها :

السرور فلاح نجم' فلاحي
وتزينت سرر' الملاء لمجده
وتمايلت أغصان هاتيك الرّبّا
والطير يصدح في العبور عشية'
حيث الغتان' يقول' في تاريخه

□ شعره في التصوف :

ومن نوادر الشاعر صالح طه أنه امتنع في مناسبة واقعية الشیخ عبدالقادر بدران في التصوف فقال :

ملات الكون معرفة وسرّي سار كالنفس ولست أرى معي أحداً فسلم لسي ولا تقيس

وقاته :

كان الشاعر في آخر حياته صالحًا ورعاً ويدل على ذلك تشطير بيت الشاعر ابن الوردي:

فاترك الخمرة ان كنت فتى وصل المقلع بعلم وعمل فهـي والله جنـون ظـاهر كـيف يـسعـي في جـنـونـ من عـقـلـ

وحم القضاة على الشاعر فاصيب بذات الرئة في شهر صفر ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م ، ودفن في مقبرة دوما ، وكتب على لوح قبره الآيات التالية :

غـيثـ المـراـحـمـ وـالـفـقـرـانـ أـحـيـ شـرـىـ روـضـ باـفـائـهـ قـدـ أـودـعـواـ قـمـراـ ذـاكـ الأـدـيـبـ الـبـلـيـغـ الـأـلـمـيـ وـمـنـ شـرـقاـ وـغـربـاـ بـوـاـيـ فـضـلـهـ اـشـتـهـرـاـ فـيـاـ جـفـونـ الـمـالـيـ اـبـكـيـ عـلـيـهـ دـمـاـ وـيـاجـيدـ الـقـرـيـصـ اـنـدـبـ وـزـدـ كـدـرـاـ وـقـلـ بـعـزـنـ تـوارـىـ يـاـ مـؤـرـخـهـ بـهـاءـ صـالـحـ طـهـ اـشـمـ الشـعـرـاـ

٦٠٢ ٥٧١ ١٤ ١٢٦ ٩

مجموع الأرقام ١٣٢٥ وهي توافق العام الميلادي ١٩٠٧
والخلاصة ان آثار الشاعر صالح طه تسجل في طياتها صوراً متعددة ومختلفة لمهد تاريخي في بلاد الشام وللذوق الأدبي والشعري في أواخر القرن الماضي .

□ آثاره :

- ١ - ديوان شعره .
- ٢ - الدرارى واللال مدح محمد والآل .
- ٣ - روض البيان ومتنه الانسان .
- ٤ - تحسين البديع بمدح الشفيع .
- ٥ - نظم متن دليل الطالب .
- ٦ - جمع كلام المهم على الترتيب الابعدي .
- ٧ - كتاب السفينة .

□ المصادر :

- ١ - مميم المؤلفين : عمر رضا كماله : ج ٤ : ص ٢٢٠ .
- ٢ - فهرس دار الكتب المصرية : ج ٣ : ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٠ .
- ٣ - الريف السوري : وصفى ذكريها : ج ١ : ص ٢٥٢ .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي : د كارل بركلمان : ملحق ٣ : ص ٣٦٢ .
- ٥ - القاهرة : ج ٣ : ص ٩٠ - ٩٠ .
- ٦ - أعلام الأدب والفنون : ادهم الجنبي : من ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- ٧ - الموسوعة الوجزة : حسان يدر الدين الكاتب : مجلد ٢ - جزء ٨ حرف د : ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ .
- ٨ - تاريخ دوما : معروف تدقيق : ص ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ .

في ذمة الخلود

رضا صافي

١٧ رمضان ١٣٢٥ ٢٥ رمضان ١٤٠٨
٢٥ تشرين الأول ١٩٠٢ ١٢ أيار ١٩٨٨

قل من الأدباء والشعراء من حَمْلَةِ الْعَرْفَ رسالة عالية كالتي حَمَلَهُ إِيَّاهَا
أبو نجم رضا صافي .

لقد نشأنا رفاقاً وأشقاء أتراب . فتفتحت قلوبنا وأذكارنا على شعره الجزل وأدبه البارع اللذين كان يصوغهما صوغ المجوهرى للذائع يمدده في ذلك حسُّ الفنان وأخلاص العربي العز وسلامة الطبع وارهاف الفكر . فلم تكن تنسخ فرصة للتقوية بمثابة عربية إلا وكان مزارها البليغ ، ولا كانت تتاح ثفرة لتضال الأجنبي المتذهب إلا وكان ليتها المدافع وخطيبها المفوء . الفاظه على سلامتها شهب متتهبة ، ومعانيه باياعه انها شواطئ محرق .

عمل في حقل التعليم ، اشرف العِرْفَ والحقول على ضاللة جناء ، فأسس ثانية الأمل للبنات فكان في تعليمه وادارته ومسريجياته التومية التي كتبها وأخرجها في إثنان نشاطه التعليمي يسعى دائماً في توجيه الناشئة توجيهاً سديداً ، ويعثثهم على انتهاج سبل المعالي ، ويشرح مزايا التراث العربي المجيد ، وينفع روح الثورة والنضال في نفوس الشباب ، ويستشرف بهم نحو ملامح مستقبل عربي وانساني كريم .

لقد عاش في حمص وكانت نفسه كالبلور الصافي تستقبل جميع الأحداث التي تمر بها فتسجل أصداءها الايجابية وتحلل الوانها كما يتحلل النور الابيض على المشور البلوري الى طيفه السبعة ينساب كل لون حسب العدد غناءً وأملًا أو هناءً وغضباً أو كفاحاً وتفاخراً وما الى ذلك من خوالج وخواطر وأمانى .

وبقيت تلك الأصداء الاجتماعية والقومية والانسانية في تلك النفس الكبيرة مطبوعة بعرف نورانية . وكانتا خشي عليها في أكلا العمر أن تضيع أو تفوت بوفاته فحمد الى تسجيلها بريشته الماسية وبلغته السلسلة في كتابه « على جناح الذكرى » . وهكذا استوعب الكتاب بأجزائه الاربعة حقبة واسعة من الزمن بما فيها من نشوء وجد وعنة ورجاء وعلم وتعليم وكفاح ونضال وتقدم وما شئت من مشكلات اجتماعية ونفسية وثقافية وتعরيرية . كتب في مقدمة الكتاب : « وانما كان الهدف أن أعرض لمواطني أبناء بلدي حمص ولا سيما أجيال الشباب والياوغين منهم لما من حياة أجبار تقميthem في يدهم هذا العجيب وملامح من معامله ومظاهره وأطراقا من تعاليمه وعاداته وشندرات من كفاحه ونضاله . فإذا لم يكن فيها ما يغدوهم فاني لأزعم أن فيها ما يطرفهم حيناً ويثير فغارهم واعتزازهم في كثير من الأحيان » .

ولما كانت البلاد العربية السورية تكاد تكون الأحداث المعاصرة عليها واحدة والمصروف التاريخية والاجتماعية متشابهة ومتنازرة كان ذلك الكتاب لا يصور حياة حمص بجميلها وتفاصيلها وحدها في تلك العقبة الزمنية بل حياة المدن السورية كلها تقريباً .

فالكتاب سهل واف وحافل بصور العيادة وصور المدينة وصورها وأحداثها في ذلك المهد القصير المتطاول .

نعم ذلك المهد قصير وان تطاول . وانما أقصد به عمر انسان عاش وجد وكافع وكتب وتالق فهو قصير مهما فسح له في الاجل اذا قايسناه الى طول المكث تحت الشرى . اريد هنا ان اتف بعض الشيء فاتصور عمر الأرض حتى الآن وهو يقدر باربعة مليارات من السنين واتصور ايضاً تاريخ ظهور الانسان على الأرض وهو يقدر بـ 300 مليون سنة تقريباً . ولو اعتبرنا عمر الأرض بالفرض عاماً واحداً لكان ظهور الانسان قد حصل في الساعتين الأخيرتين من ذلك العام ، ولكان التاريخ البليادي وهو يكاد يتم عشرين قرناً عبارة عن الخمس عشرة ثانية الأخيرة ولكن عمر الانسان في احسن أحواله لا يزيد على ثلاثة أرباع الثانية . فما بالنا بالنسبة الى الأيدى البعيد يوم تقوم القيمة وتبدل الأرض غير الأرض . او ليست هذه الملاحظات الخطاطة التي هي عمر الانسان تعادل وبيض البرق حين ينبلج بين كفاف السحاب ثم مرعان ما ينطوي ؟ !

هنا نقدر حدس الشيخ الرئيس ابن سينا في قصيدته المبنية المشهورة حين يصف قصر حياة المرء على الأرض في بيت منهافيقول :

فكانها برق تالق بالعمى ثم انطوى لكانه لم يلمع

وذلك بيت الفيلسوف السهوردي الذي يشعر الشعور نفسه ويستعمل غالبية الناظر ابن سينا فيقول :

فإذا بها برق تالق بالعمى ثم انطفا فكانه ما ابرقا

ولكنتنا نحن نقدر مع قيسراً هذا الوسيض سناء الذي هتك حجب الظلم وأثار بعض الطريق للمسارين على ظهر هذا الكوكب وساعد على نصيحة من التقدم والرقي وأعان على شر التعاون وكبح شرور الفساد .

إيه آبا نجم ! آتي أذ أعرب عن مواساتي القلبية لأسرة الكتاب السوريين ولابناء حمص ولآل الصافي الكرام لأنوته بنور برقة الالاعيب وكل ما قدمت من سعي ونضال وأدب رفيع .
وها آنذا أذرف عبراتي أبياتاً على نهجك أذ كنت طول حياتك تعتمد النثر والشعر مدافعين في زورق الحياة الأدبية الذي أطلق إلى شاطئ الأبدية :

وأهلاً بـ
مقام المرأة في الدنيا قليل
أبو نجم مضى فعيت نفسى
وكله خلفه أجل . وبيل
أسيت لفقده وبكت حينا
وكفيف دمعي الصبر العميل
واشأ لاحقون به جميرا
رحيله بعده نوم طويول
وكم ودعت من خل وأهل
سيودعني آخر لي أو خليل
كذا الدنيا فلا بقيا النفس
الآ ان اللقا يوم مهول
من الأدب المقصى لا يزورون
أبو نجم مضى لكن كنزا
يمدّه بيانه الطبع الأصيل
وشعر رائع القسمات عنبر
الي كل القلوب له سبيل
ونثر بارع البسمات حرة
له في كل مأشورة هديل
وذكر مرهف الاحساس ذاك
سجايا كلها راح شمول
واكتناف موطة رقاق
فراج كريم خلقك لا تغول
وان غالات عقول الناس راح
فطاقت في معالمها الفصول
هي الذكري صنعت لها جناحا
فيما لك من فصول ملهمات
تناول رسمنها قلم نبيل
أبا نجم فلا تجزع علينا
فان كفاحنا القاسي يطوفون
سنجعل مثل فعلك كل حرف
شهاب لفلى على الباقي يصلون
وكم دخل البقاء الى يلامي
فزال البغي واصطلح الدخيل
وكلما ازاح فارقها الذبول
تساوت عند خالقها البرايا
وأقربها الى الباري العقول
عطاؤك في حياتك كان ضخماً
وفي غرفاتك الفضل : القليل
فعش في الغلد ما ووك سلسبيل

في ذمة الغلود

وبهذا المرض الموجز ينكشف اتساع ثقافة الدكتور فروخ وعلو شأنه في مختلف آفاق الآداب والعلوم والتاريخ ، وكذلك ارتفاع مكانته في الدفاع عن التراث وعنعروبة الاسلام .

ولد الدكتور فروخ في بيروت في ٥/٨/١٩٠٦ ، ولقي وجه ربه في ٢/١١/١٩٨٧ .

الباحث عمر رضا كعالة

توفاه الله في ٣٠/١١/١٩٨٧ وقد ولد الأستاذ في دمشق عام ١٩٥٠ م ١٣٢٣ هـ لأسرة تشتغل بالتجارة والصناعة ، وليس لها اهتمامات علمية ، ولكنه اكب على الدراسات بكل جهده لا تثنيه صعوبة ، وأخرج كتاباً عديداً نذكر منها :

- معجم المؤلفين (١٥ مجلداً) ، ثم أعقبه بمستدرك ()
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٥ مجلدات) .
- أعلام النساء (٥ مجلدات) .
- فهراس مجلة الجمع العلمي (٧ مجلدات تغطي ٤٠ سنة) .
- الألفاظ المزورة والموضوعة التي وردت في مجلة الجمع العلمي بدمشق (مجلدان) .
- جغرافية شبه جزيرة العرب .
- العالم الاسلامي (مجلدان) .
- النسل والعنابة به (مجلدان) .
- المرأة في القديم وال الحديث (٣ مجلدات) .
- نال وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ١٩٨٢ .

مطيع العافظ

الدكتور عمر عبدالله فروخ

عضو مراسل في مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابق) بدمشق ، وعضو جمعية البحوث الاسلامية في يومي بيروت وحاملي وسام المدارف في لبنان من الدرجة الأولى ، ووسام الأرض الوطني من رتبة فارس (لبنان) ، ووسام الاستحقاق من رتبة ضابط من مرتبة عسكري ، وعضو المجمع العلمي العراقي ، ورئيس جمعية البر والاحسان في لبنان ، ومؤلف الكتب الكثيرة التي نذكر منها : تاريخ العلوم عند العرب ، تاريخ الفكر العربي ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب ، العرب والفلسفة اليونانية ، صفحات من حياة الكندي وفسينته ، الفارابي (الفارابي وابن سينا) ، اخوان الصفا ، ابن باجئه والفلسفة المغربية ، ابن طفيل وقصة حي بن يقطان ، تاريخ الادب العربي في عدة اجزاء ، عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، شعراء البلاط الاموي ، خمسة شعراء جاهليون ، أبو تمام دراسة تحليلية ، أبو فراس ، حكيم المرة ، الشاعر شاعر العب والحياة ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، القومية الفصحى ، تاريخ سوريا ولبنان المصور ، تاريخ الجاهلية ، العرب في حضارتهم وثقافتهم ، وغيرها من الكتب والرسائل . وقد ترجم عن الانكليزية : الاسلام على مفترق الطرق ، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، الطريق الى النجوم ، أصدقائنا لا سادة ، الاسلام منهج حياة .

أصدر (١٩٣٨ - ١٩٤١) مجلة « الأمل » الثقافية الأسبوعية بيروت .

هذا وله ديوان شعر بعنوان فجر وشفق .

فهرس النسخة التاسعة

تشرين الأول ١٩٨٨ - أيلول ١٩٨٧

إعداد: عبد اللطيف أربناؤوط

الأبحاث والدراسات

العنوان	الكاتب	العدد	الصفحة
- ابن بكران العموي قاضي قضاة بغداد	محمد عدنان قيطاز	٢١	٦٩
- ابن خلدون شاعراً	محمد خير شيخ موسى	٣٠	٤٩
- ابن رشد العالم والفيلسوف	حسان الكاتب	٣٠	١٣٣
- أبو نصر الفارابي - المعلم الأول	عبد الكريم اليافي	٣٠	١٢٩
- آسيا الغلاف اللغوي وأسلوب البحث في تراث العالم	محمد ولد العاظط	٣٠	١٢٢
- استدراك على ديوان (ديك الجن) (٢)	خير الدين شمسي باشا	٢٢	٧
- اسهام المرأة في العمارة بدمشق خلال المهد الأيوبي	عبدالرازق معاذ	٢٩	٢١٦
- التراث العربي .. خطة ومنهج	شكري فيصل	٢٠	١٤٩
- التعاون الثقافي الإسباني العربي	راشد الكيلاني	٣٢	٩٦
- تلخيص المتشابه في الرسم	نسيب نشاوي	٣٠	١٤٦
- الحس المشترك والتراث العربي ونظرية النسبة	عبدالكريم اليافي	٢٩	٧
- الحياة الفكرية في العصر المملوكي	صادق أثينة وند	٣٠	٩٠

العنوان	الكاتب	العدد	الصفحة
- الغيل في شعر تقلب - في العصر الجاهلي	علي أبو زيد	٦٩	٣٢
- دمشق .. حديقة الاسلام (ت)	احمد عبدالكريم	٨٨	٣١
- رحلة مع يعقوب بن كلتس	عارف تامر	٨٢	٣٠
- سور دمشق - حارس أعفي من الخدمة		١٣٩	٣٠
- سوق ساروجا .. بدايات نشوء حي بدمشق	عبدالرزاق معاذ	٨٩	٣٢
- شعر أبي الطمعان القيني بين جمعين	ياسين محمد الفاخوري	٧٤	٣٠
- شمس الدين سامي فراشري (الرائد)		٢٢٦	٢٩
- الأول في البلاد الإسلامية (قاموس الأعلام)	عدنان مردم بك		
- الصيدلاني الأندلسي : أبو الباس النباتي	فاضل السباعي	١١٦	٣٠
- الطواف حول البحر الأحمر (وثيقة			
- يونانية فريدة من القرن الأول الميلادي)	ابراهيم خوري	٧٥	٣١
- القسم الأول -			
- الطواف حول البحر الأحمر			
- القسم الثاني -	ابراهيم خوري	١٠٦	٢٢
- ظاهرة الانتقام والانتقام في القصيدة			
- الجاهلية	حسين سلمان جمعة	٧٩	٢٢
- الملاحة الشيخ أحمد محمد حيدر وكتبه			
- التراثية الفكرية	فاطمة عصام صبرى	٢٣١	٢٩
- علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون	تيسير شيخ الأرض	١٦٠	٢٩
- النصائح من عبارات العامة	هشام النحاس	٢٠١	٢٩
- في علم الجمال وفلسفة الفن			
(الوجه الآخر للفنان أو العلاقة بين الأثر			
الفنى وحياة الفنان)	عبدالكريم اليافي	٧	٢١
- فهرس السنة الثامنة	عبداللطيف أرناؤوط	١٥٣	٣٢



العنوان	الكاتب	العدد الصنفية
- الفيحاء (شعر) - التابسي وفكرة التربوي بين الأصالة والتجديد	ندير الحسامي	٢٩
- الكافي في الكل لخليفة ابن أبي المحسن الحلبي « دراسة ميستوريغرافية »	محمود مصطفى حلاوي	٣١
- الكتابة والكتاب والمكتبات لدى الحضارات القديمة في الشرق الأوسط « ترجمة »	نشأت العمارنة	٢٩
- كتب تراثية وفكرية - كتب وأنباء تراثية	محمد موافاكو	٣١
- المجالات الثقافية للمرأة العربية في بلاد الشام	فاطمة عصام صبري	٣١
- الميل السعدي - ميلاده ونشأته	فاطمة عصام صibri	٣٠
- مع ابن العديم وكتابه (بنية الطلب في تاريخ حلب)	صالحة سنقر	٣٠
- مفهوم الفساحة بين ابن سنان وعبدالقادر العرجاني	بسام الزعبي	٣١
- المنحى السلفي وظاهرة المعراضة في شعر شفيق جبرى	سهيل زكار	٢٩
- المؤلفات العربية في علمي الفلاحة والنبات	وليد سراقيبي	٢١
- النهاة وحرنوف الجر	عمر العقاد	٢٩
- النهاة والقياس	محمد زهير البابا	٢٩
- النهاة والمقولات	صلاح الدين الزعبلاوي	٣١
- نشاطات في خدمة التراث	صلاح الدين الزعبلاوي	٣٢
- هل قوة استمرار الحكم السابق ثابتة بالاستصحاب شرعاً أو عقلاً ؟	صلاح الدين الزعبلاوي	٣٠
- هل يمكن معرفة ميلد المواليد في زمن النبي ﷺ	عبداللطيف أرناؤوط	٢٩
- وهذا .. كان العرب أيضاً ..	محمد فتحي الدريري	٢٩
- فاطمة عصام صibri	نهلة العصبي	٣٢
		٢٠

الكتاب

الصفحة	العدد	
- ١ -		
٦٩	٣٢	أبو زيد ، علي ـ الخيل في شعر تغلب - في المسر العجمي
١٥٣	٣٢	أرناووط ، عبداللطيف ـ فهرس السنة الثامنة
٢٣٥	٢٩	ـ نشاطات في خدمة التراث
- ب -		
٩٢	٢٩	البابا ، محمد زهير ـ المؤلفات العربية في علمي الفلاحة والنبات
- ت -		
٨٢	٣٠	تامر ، عارف ـ رحلة مع يعقوب بن كلتس
- ج -		
٧٩	٢٢	جمعة ، حسين سلمان ـ ظاهرة الانتقام والانتقام في القصيدة الجاهلية
- ح -		
١٢٢	٣٠	الحافظ ، محمد وليد ـ أسباب الغلاف اللغوي وأسلوب البحث في تراث العالم

الصفحة	العدد	
١٦٠	٢٩	الحسامي ، نذير - الفيحاء - شعر -
١٤٤	٣١	حلاوي ، محمود مصطفى - القابسي وفكرة التربوي بين الأصالة والتجديد
١٢٦	٢٩	الحارثة ، نشأت - الكافي في الكحل الخليفة ابن أبي المحاسن العلبي / دراسة هيستوريوغرافية /
٩٨	٣٠	العصبي ، نهلة - وهنا .. كان العرب أيضاً
- خ -		
٧٥	٣١	خوري ، ابراهيم - الطواف حول البحر الأحمر - القسم الأول -
٩٦	٣٢	الطواف حول البحر الأحمر - القسم الثاني -
- د -		
٢٨	٢٩	الدريري ، محمد فتحي - هل قوة استمرار الحكم السابق ثابتة بالاستصحاب شرعاً أو عقلاً؟
٥٨	٢٩	الدقاق ، عمر - المنع السلفي وظاهرة المعارض في شعر شفيق جبرى
- ز -		
٣٩	٣١	الرعبلاوي ، صلاح الدين - النعاء وحرروف البحر
٧	٣٢	- النعاء والتقياس
٣١	٣٠	- النعاء والمفولات

الصفحة	العدد	
		الزعبي ، بسام
١٢٠	٣١	- المغيل السعدي - ميلاده ونشاته
		زكار ، سهيل
١٨٦	٢٩	- مع ابن المديم وكتابه (بقية الطلب في تاريخ حلب)
		- س -
		السباعي ، فاضل
١١٦	٣٠	- الصيدلانى الأندلسى : أبو العباس التبائى « ابن الرومية »
		صرابى ، وليد
٥٩	٣١	- منهوم الفصاحة بين ابن سنان وعبدالقاهر البرجاني
		سنقر ، صالحة
١٥	٣٠	- المجالات الثقافية للمرأة العربية في بلاد الشام
		- ش -
		شمسى باشا ، خير الدين
١٢٩	٣٢	- استدراك على ديوان (ديك الجن) (٢)
		شيخ الأرض ، تيسير
١٦٠	٢٩	- علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون
		شيخ موسى ، محمد خير
٤٩	٣٠	- ابن خلدون شاعراً
		- ص -
		صبرى ، فاطمة عصام
٢١٣	٢٩	- الملامة الشيخ احمد محمد حيدر وكتبه التراثية
١٥٨	٣١	- كتب تراثية وفنكية

الصفحة	العدد	
١٥٨	٣٠	- كتب وأنباء تراثية
٣٤	٣٢	- هل يمكن معرفة معدل المواليد في زمن النبي ﷺ
		- ع -
		عبدالكريم ، أحمد
٨٨	٣١	- دمشق ٢٠٠٠ حدائق الإسلام « ترجمة »
		- ف -
		الفاخوري ، ياسين محمد
٧٤	٣٠	- شعر أبي الطمحان القيني بين جميين
		فيصل ، شكري
١٤٩	٣٠	- التراث العربي ٢٠ خطة ومنهج
		- ق -
		قيطاز ، محمد عدنان
٦٩	٢١	- ابن بكران العموي ، قاضي قضاة بغداد
		- ك -
		الكاتب ، حسان
١٢٢	٣٠	- ابن رشد ٢٠٠ العالم والفلسوف
		الكيلاني ، راشد
٩٦	٣٢	- التعاون الثقافي الإسباني العربي
		- م -
		مردم بك ، عدنان
		شمس الدين سامي فراشري
٢٢٦	٢٩	(الرائد الأول في البلاد الإسلامية لقاموس الأعلام)

الصفحة	العدد	
		معاذ ، عبد الرزاق
٢١٦	٢٩	- اسهام المرأة في العمارة بدمشق « خلال المهد الأيوبي »
٨٩	٣٢	- سوق ساروجا .. بدايات نشوء حي بدمشق
		موفا tako ، محمد
١٢٩	٣١	- الكتابة والكتاب والمكتبات لدى الحضارات القديمة في الشرق الأوسط (ترجمة)
		الميداني ، محمد عصام
١٣٩	٣٠	- سور دمشق - حارس أعمى من الخدمة بعد ١٥٠٠ عام
		- ن -
		النعاشر ، هشام
٢٠١	٢٩	- الفصاح من عبارات العامة
١٤٦	٣٠	- نشاوي ، نسيب تلخيص المتشابه في الرسم
		- و -
		وند ، صادق أثينة
٩٠	٣٠	- الحياة الفكرية في العصر المملوكي
		- ي -
٧	٣٠	اليافي ، عبدالكريم
٧	٢٩	- أبو نصر الفارابي - المعلم الأول
٧	٣١	- الحس المشترك والترااث العربي ونظريه النسبية في علم الجمال وفلسفة الفن (الوجه الآخر للفنان أو العلاقة بين الأثر الفني وحياة الفنان)